أطلت عليها الشمس بأشعتها الذهبية ، وما كانت تعهد فى الشمس هذا اللون البهيج ، فاعتمدت رأسها بين ركبتيها وجلست تفكر.

يا ترى ليه غنيم الخولى بتاع الزراعة فى عزبة السيد بيه جه النهارده ، مع إن امى بتقول إنى بقالى شهرين عيانة ... وصارت تكرر كلماته وتعيدها كلمة كلمة ، حتى وصلت إلى قوله : (أنا بدور على مصلحتك يا مبروكة) .

حقيقى الراجل ده صحيح إنه شديد فى الشغل ، ولكنه محافظ على عيشه ، لجل البيه صاحب العزبة صعب فى الشغل بتاعه ، وإنما الكلام اللى قاله ده يخش العقل ، وخصوصاً إن أبويا وأمى مبسوطين منه أوى ، ولا يقولوش عليه إلا الراجل الطيب ، ومبسوطين منه أوى. الله يخليك ياغنيم ... وسرعان ما غيرت رأيها فيه وقامت تتحامل حتى إذا ما وجدت أمها منشغلة باعداد المنزل استأذنتها فى الخروج ، وخرجت فاجتازت نصف الطريق ، ولم تقو على المضى فى سبيلها ، فجلست للراحة ، ثم قفلت راجعة إلى عقر دارها .

صارت صحتها فى طريق التحسن ، حتى إذا استجمعت قوتها وشجعها شوقها إلى ابيها غنيم الخولى لترد له الجميل ، طلبت من أمها تجهيز غداها فى المنديل المحلاوى علشان حتروح تشتغل النهارده ، فأعطتها أمها ما طلبته وأوصتها بنفسها خيراً .

قابلتها زميلاتها بالفرح والسرور وبدأن فى التشمير عن أيديهن وأرجلهن استعداداً للنزول إلى غيط الرز للنقاوة ، وما أن رفعت سروالها قليلا عن رجليها حتى بهتت من نظرة عم غنيم إلى رجليها نظرة كأن لسان حاله يقول :

ساق تجلى كأنه قمر يحمل شمساً أفديه من ساق
شمر عن ساقه غلائله فقلت مهلا واكفف عن الباقى
لما رآنى قد فتنت به من فرط وجدى وعظم أشواقى
غنى وكأس المدام فى يده قامت حروب الهوى على ساق

فعلت خديها حمرة الخجل ونزلت ، ولما مضى نصف النهار وحان وقت الطعام خرجن زرافات ووحداناً ، وأقبلت زوجة الخولى من بعيد تحمل له طعامه ، فما أن قاربته حتى بادرها بالشتم ونهرها وامرها بالرجوع ، فقنعت من الغنيمة بالاياب .

وهنا انتحى الخولى ناحية حيث نام فى ظل الصفصافة ، وطلب من مبروكة ان توقظه بعد انتهائهم من تناول الطعام للبدء فى العمل .

نام ، وقد جعل غايته النوم وسعى إليه بكل الطرق ، ولكنه لم مدركه ، لأن عينيه تحملقان فى الشجرة التى من تحتها يطل خيال مبروكة ، ويتقلب ذات اليمين وذات الشمال ، لعل الشبح

يبعد ، ولكن انى لمحب أن ينجو من غائلة الخيالات ؟ مضت فترة الطعام وكأنها ساعات طويلة قضاها المسكين على أحر من الجمر ، ولم يتنبه إلا على صوت يقول :

— أبا غنيم ! أبا غنيم ؟

يتناوم .

تقترب وتهزه بخفة وحنان قائلة : أباغنيم . ابا غنيم .

— مين . آه مبروكة . زيينى كنت رحت فى النوم . اتغديتوا يا مبروكة ؟ آيوه خلاص يا باغنيم . طيب ياختى اقعدى بس على ما أفوق.

تجلس عن كثب . ثم يعتدل فى جلسته :

— والله آنستينا يا مبروكة

— الله يآنسك يا باغنيم . إنما انا زعلت منك ثانى .

— ليه بقى . بعد الشر .

— علشان شخطت فى خالتى حنيفة مراتك النهارده .

— آه . والله يا مبروكة أنا زهقت خالص من عيشتى معاها ، وانا صممت خلاص لما أبيع القطن بتاعنا السنة دى لازم اتجوز بنت بنوت أشوف لى يومين معاها ، وبلاش اللى عيشتها هباب دى .

— تتجوز بنت بنوت ، وانت قد كده ياباغنيم ؟ وده يليق .

— يا سلام يا مبروكة . لهو أنا البنات ما يرضوش بيه ، وأنا لسه عصبى زى ما آنه . والوليه اللى معاية دى حتفقد عمرى . طيب دا أنا مفيش حد فى الرجالة دى بعون الله يغلبنى فى حاجة ، ولا حتى تقليع الحطب ، أنا باسبقهم، وما دام حادفع مهر كويس يشرفها . إيه بأه . يا سلام دى البنات فى عزبتنا متلتلة ! ! . طيب واتى ما ترضيش بى يا مبروكة ؟ ؟ : .

هنا علت حمرة الخجل خديها حتى كاد الدم ينفجر منهما .

لم يعرف الاثنان بالتحديد كيف قضيا يومهما ؛ وفى الصباح التالى طلب منها أن تزاول كنس مراعى الغنم (لكى تكون منفردة) ، ثم وافاها على انفراد بعد توجيه العمال كل إلى ما يليق له، وصارحها الحقيقة، وأنه من يوم أن حضر إليها وهو منشغل البال، وكثيراً ما كان عجبه من سلوكه معها فى الأيام الأخيرة وعدم التفاته إليها إلا عقب حادثة يوسف الأولانية ، ثم شرح لها هواه هو بلهجة لا تتطرق إلى من جاوز الأربعين، وصار يلقى بكلمات هى اقرب للشباب منها إلى الشيب ، وحنين الشيخ إلى الصبا .

اعترت الفتاة صور من أمانى وأشباح : هناك شبح المال والعز والسطوة يغريها ، وهناك شبح الضرة زوجته القديمة وأم عياله يشقيها .

لم تكن مبروكة لتستطيع مقابلته والشمس تشهدهما ، فاتخذا من ظلمة الليل ستاراً يقيهما عيون الناظرين ، رغم ما يشعر به الناس بما فى الليل من ظلمة ووحشة .

تغيرت مواعيد الرجل عند زوجته ، وخاصة تغيبه عقب صلاة العشاء وحججه التى هى فى حكم الواهية من أنه يكر راجعاً إلى الغيط لبعض الشئون بخلاف ما تعودته زوجته .

اختمر الشك فى رأس زوجته ، فقامت وراءه مرة تتبع خطواته من بعد وعن حذر ، فرأت ويا لهول ما رأت! رأته يقترب من شبح جالس وراء شجرة ضخمة ، ووقفت تسترق السمع الذى أوصل إلى أذنها كلامهما ، فكان ينزل على قلبها أشد فعلا من أثر السهام ، وأعظم مرارة من الصاب والعلقم .

قفلت راجعة وقد فقدت نصف عقلها،وظهرت كأنها الغول توشك أن تلتهم كل ماقابلها. وجلست فى عقر دارها تفكر وتدبر . فى أى المهالك تلقى بتلك الفتاة التى تعمل تحت ستار الليل على انتزاع بعلها وأعز عزيز لديها ، وجالت الأفكار فى رأسها ،وتذكرت أنه من اليوم الذى شتمها وسبها ومنعها من إحضار غدائه إلى مكان عمله ، وهذه لاتتخلف يوما عن يوم .

أى صاعقة من السماء تأتى بها ، لكى تنزل سهمها فى نحر هذه الفتاة ، وأية قوة على ظهر الأرض لاتبذل لها الغالى والنفيس ، لكى تقصم رقبة تلك الخليلة . ووصل بها التفكير إلى أن خرجت عن حدود بنى الانسان ، وأصبحت أشبه بالحيوان الذى يطارد فريسة ذات منعة وحول .

وهداها جنونها إلى سلب تلك الفتاة أعز شىء لديها ، كما أنها تسعى فى اقتناص أعز حبيب لها ، فاتفقت مع أخيه الأصغر ، وأوهمته وغررت به ، وشجعته على الاشتراك معها فى هذا الجرم الفاسد، حرصاً على أمواله التى هى أموال أخيه،وخوفاً من كثرة القيل والقال، فاندفع الشاب الطائش طوع إشارتها ورهن إرادتها .

وفى ليلة ليلاء -عقب سماع صوت المؤذن « الله أكبر. الله أكبر »- كان شبحان يتريضان بجوار الشجرة الضخمة حتى إذا ماوافت الفريسة مكانها ، انقض عليها اثنان من الزبانية فأزالا بكارتها بعد جهد جهيد بذلت فيه المسكينة أقصى ما أمكنها بذله ، فسلباها أحلى ما تتجمل به عذراء وتركاها تندب وتنتحب .

وما وافاها خطيبها إلا وهى غارقة فى حومة من الأوهام عدا بحر زاخر من الدماء المهراقة. وحاول جهده أن يعرف منها ما ألم بها، ولكنها لم تستطع - لخجلها - أن تتكلم، فظن الجاهل أنها لم تكن إلا خليلة لغيره ، وإنما تتخذه كسلم ترتفع عليه إلى عشيقها المجهول. فاستشاط غيظاً وحمل عليها حملة كادت تذيب أوصالها فرقاً وفزعاً .

أصبح داؤها دائين : فقد شرفها ، وفقد حبيبها الذى داخله الشك فيها ، وأصبح رزؤها رزئين : افتضاح أمرها وضياع مستقبلها . ثم رأته يبتعد عنها فسعت للحاق به ، ولكنه اختفى وتركها .

جلست تفكر وقد عرفت فى مهاجمها الأول صوت ابراهيم شقيق غنيم حبيبها ، فجالت فكرة فى ذهنها مؤداها أن خطيبها ماهو إلا المرسل الوحيد والمدبر الأوحد لهذه المكيدة .

ودخلت الدار وهى تتصنع الهدوء،ولا هدوء،وتعمل جهدها لجلب الابتسام،ولا ابتسام، حتى إذا ماسألها أخوها وجلت واصفر لونها فشدد عليها النكير ونادى أمها التى اعترفت لها بحقيقتها المؤلمة ، فنصحت لابنها أن يخلد إلى السكون والهدوء حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا .

وفى الصباح الباكر كنت ترى بعض عيدان الذرة تتمايل ذات اليمين وذات الشمال ، حتى إذا ما سكنت على حال واحدة ، ومضت فترة قصيرة ظهرت فى أول الطريق اثنتان من الماشية يتبعهما راكب حماراً من يتبينه يعرف فيه إبراهيم شقيق غنيم الخولى ، وكلما اقترب بخطواته المتثاقلة ازدادت أوراق الذرة حركة رغم السكون الشامل وقتئذاك . وما أن وصل إلى منعطف الطريق الموصل إلى حقله حتى دوى فى المكان طلق نارى خر على أثره إبراهيم صريعاً ، وجفلت البهائم هائمة على وجهها وسمع صوت من يجرى فى وسط مزارع الذرة حتى حدود القرية ، وهنا شاهد القوم شبحاً يجرى بسرعة فائقة ثم اختفى فى منزل أبى عبد الله .

وصل الخبر إلى العمدة وسمع الاشاعات عن وجود القاتل فى منزل أبى عبد الله ، فهاجم البيت ، وفيه عثر على بندقية وعدد من الطلقات ، وما أن قفل العمدة راجعاً إلى منزله ومعه المجرم حتى شوهد غنيم يلحق به ويبحث عن مكان أخيه الذى كان يعانى سكرات الموت ، فما كاد يراه حتى طفق يقبله ، وهنا اشار إليه أخوه القتيل أن استمع ما سأقصه عليك،فأنصت الجميع ، وساد فى المكان صوت رهيب وسكون موحش ، فقال :

(اتفقت معايه حنيفه مراتك على فض بكارة مبروكة أخت حسين بن ابويا عبدالله اللى أنا أستحق منه أكتر من كده علشان بيدارى على شرف أخته ، وامبارح بعد العشاء عملنا العمله دى . وآدينى ياخويا . . . ربنا جازانى بعملى . . . . وربنا يجازى مراتك . . . اللى . . هى . . السبب . . .)

وهنا فاضت الروح إلى باريها . تشكو ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وما كاد الجمع يتنبه من غفوة الموت حتى سمعوا مهرولا إليهم يقول . أين العمدة ؟ جناية ! وبمجرد أن وصل إلى

[البقية على الصفحة رقم ١٠٠٨]

بين المتناظرين

الحركة الاحمدية

بقلم سيد احمد فهمى

نشرت « المعرفة » الغراء ـ بعدد نوفمبر الماضى ـ مقالا بهذا العنوان لأحد القاديانيين حاول فيه أن يدافع عن مذهبه، ويعزوه إلى الديانة الاسلامية ، مدعياً أنه مستمد منها ، ومستخلص من روحها ومبادئها .

ولو كان الأمر كذلك ، أى لو كان هذا المذهب الجديد منطبقاً على مبادىء الدين الحنيف وموافقاً لروحه وتعاليمه ، فعلام كان النزاع ؟.. ولماذا يلقاه المسلمون أينما ظهر بينهم بأشد مظاهر السخط والنفور ويحاربونه بكل مافيهم من قوة ؟ .

حقيقة الأمر أن هذا المذهب ، بل هذا الدين الجديد ، بعيد عن الاسلام بعد السماء عن الأرض ، ولا يمت إليه بأدنى صلة ، ونظرة واحدة إلى هذا الدين المستحدث وإلى المبادىء والتعاليم التى يقوم عليها كافية لاظهار مافيه من المنافاة لقواعد الاسلام ، والمناقضة لأصوله وعقائده المجمع عليها فى كل عصوره وبين مختلف طبقاته

يدعى مؤسس هذه الحركة ، بل مثير غبار هذه الفتنة ، غلام أحمد القاديانى (١) أنه نبى مرسل إلى كافة البشر ، وأنه ينزل عليه وحى سماوى وتعليم قرآنى ، ولكى يدعم هذه الدعوى ويجعل لها شيئاً من القيمة ، صبغها بصبغة إسلامية ، وأدعى أنها شعبة من شعب الاسلام وأنها صفوة تعاليمه ، فهو مع كونه نبياً فان نبوته لم تخرج عن دائرة الشريعة الاسلامية ، بل هى مفسرة لها ومبينة لما فيها من الأسرار والحقائق التى تدور مع كل عصر ، وتوافق روح كل جيل من الناس، ثم إن القرآن الذى ينزل عليه لا ينسخ تعاليم القرآن الكريم ، بل هو مؤيد له ومهيمن عليه وموضح لمعانيه التى ظلت غامضة ومقفلة من عهد ظهور الاسلام إلى أن انتهت إلى هذا الغلام أحمد الهندى القاديانى ، فكان هو الذى وفق إلى حل رموزها وفك طلاسمها . ثم أورث ذلك أشياعه وخلفاءه من بعده حتى كان منهم ـ أيضاً ـ أنبياء ورسل .

---

(١) نسبة الى قاديان احدى بلاد الهند .

وكنا نود أن نأتى هنا على شيء من تاريخ هـذه الحركة وكيفية نشأتها والأغراض التى كونتها ولا زالت تتولى حمايتها ورعايتها ليكونوا على بينة من حقيقتها ، ولـكن ذلك لايعنينا الآن بقدر مايعنينا مناقشة الدعوة فى حد ذاتها ، والنظر فى الأدلة والمناهج التى تقوم عليها .

معلوم من الدين بالضرورة أن النبى محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد صرح الـكتاب الـكريم بذلك مما لا يدع ريبة لمرتاب ، ولا أى مجال للتأويل ، فقال تعالى « ماكان محمد أبا أحد من رجالـكم ، ولـكن رسول الله وخاتم النبيين » ، كما جاءت بذلك السنة المطهرة فى مواضع أكثر من أن تعد ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى ، وإنه لانبى بعدى » وقال « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنـة وأنا خاتم النبيين » إلى غير ذلك مما لا داعى للاطالة فيه ، وما هو معلوم لـكل مسلم ، وكانت هذه هى العقيدة التى أجمع عليها الصحابة ، فالتابعون ، فجميع المسلمين طبقة بعد طبقة إلى يومنا هذا ، وقد أجمعوا كلهم على أن من شذ عن هذه العقيدة ، وادعى النبوة لنفسه أو اعتقدها فى غيره فهو كافر بلا مراء .

فاذا ماواجهت طائفة القاديانيين بهذه النصوص الصريحة القاطعة ألفيت منهم مماحكة غريبة ، فتراهم يعمدون إلى تحريفها وتأويلها بعبارات لايقبلها العقل ولا يستسيغها المنطق والذوق ، يقولون : إن خاتم النبيين ـ فى الآية والأحاديث ـ ليس معناه آخر النبيين ، بل تاج النبيين وحليتهم ! ... كما لو قلت : زيد خاتم العلماء ، فان معنى ذلك أن زيداً أعلاهم مكانة وأنه لهم بمثابة التاج والحلية ... وعلى هذا فليس مايمنع من ظهور أنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم مادام مقـام الخاتمية محفوظـاً له ، لأن الذين يجيئون بعده يكونون مندرجين فى نبوته وداخلين تحت حيطتها ... ولا أدرى فى اى قاموس وجدوا هذه المعانى البديعة الرائعة ! ! ولا من أى مصدر جاءونا بتلك الطرف الجميلة والتعابير الرشيقـة التى ما كنا لنعرفها من قبل ؟ !

ومما يستندون عليه فى تأييد دعواهم النبوة قولهم : إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وعد بظهور المسيح فى آخر الزمان ليجدد للناس أمر دينهم ، فذلك مما يؤخذ منه أنه سيظهر أنبياء بعده ، وينبنى عليه أن نور النبوة مازال سارياً فى الناس إلى أن تقوم الساعة ... وما دام أن عيسى عليه السلام قد مات بنص القرآن ، فلا يكون عيسى الذى بشرت به الأحاديث

هو عيسى بن مريم الذى كان فى بنى إسرائيل ، بل هو كل رجل تترقى فيه البشرية إلى أن تتصل بأفق النبوة ، وبعبارة أجلى هو غلام أحمد ، وكل من سار على شريعته ! .

أولا ترى مقدار ما فى هذا القول من المناقضة الواضحة والمغالطة الصريحة التى يصادمون بها نصوص الكتاب والسنة القاطعة ؟ . . . إنهم يصدقون البشارات التى جاءت على لسان النبى -صلى الله عليه وسلم- ويسلمون بظهور عيسى ، ولكنهم فى الوقت نفسه ينقضونها، ولا يسلمون بأن المراد بها عيسى بن مريم ، بل المراد بها عيسويتهم هم ، ولهم فى ذلك تأويلات وتلبيسات نذكرها على سبيل الفكاهة ، ككل مايصدر عنهم من الأعاجيب .

يقولون : صحيح أن الأحاديث صرحت باسم عيسى المسيح بن مريم ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون ماتنطوى عليه هذه الاشارات من المعانى الجليلة ، فالمراد بمريم هى النفس البشرية فى طورها العادى الجبلى ، وعيسى معناه روح النبوة ، أى أن الانسان يكون أولا فى الحالة المريمية ، ثم لايزال يتهذب ويترقى حتى تنبثق فيه الروح العيسوية التى هى كناية عن النبوة فيشرف على الملأ الأعلى،وينزل عليه الوحي القرآنى لهداية الناس - الذين ما يزالون فى الطور المريمى - . وعلى هذا النحو، بل على هذا الهذر يعتمدون فى ترويج دعوتهم ، ونشر تعاليمهم التى لا ندرى لها أولا من آخر ، والتى لا تعتمد على حجة معقولة ، ولا على كتاب ، ولا على منطق ، ولا على أى شىء إلا مجرد الدعوى ، وتعمد تحريف النصوص ومجابهة الحقائق الملموسة .

وإليك مثلا من مجادلاتهم ، وهو ماجاء على لسان حضرة « منير الحصنى أحمد » ناشر المقال الآنف الذكر ، لترى مبلغ مافى هذه الدعوة من صدق ، وانطباق على الشريعة الاسلامية التى يتحككون بها .

فقد ذكر حضرته عن عيسى بن مريم أن الأحمديين يقولون: بموته حتف أنفه ، ولم يرفع بجسده العنصرى إلى السماء ،وهولايريد طبعاً -بقولهحتف أنفه- إلا أنه قد قتل على الصليب، وذلك لينفى من أذهان الناس - بتاتاً - أنه رفع عليه السلام حياً ، وأنه سينزل هو بعينه فى الزمان والمكان الذى عينته الأحاديث النبوية الشريفة ، مع أن القرآن صريح فى أنه لم يصلب ولم يقتل . قال تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وماقتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه » .

لكنهم يتورطون فى أمثال هذه المآزق ليقولوا : إنه مادام عيسى قد قتل فلن يعود ، ومادام الأمر كذلك ، فالذى يعود هو الأرواح العيسوية فى الأشباح المريمية ؛ وما مثلهم فى ذلك إلا كمثل الذى يحرق بيته ليوقد مصباحه .

ومما قاله فى بقاء الوحى : « إن الذى لايتكلم لايكون إلهاً » ، واستند إلى قول الله تعالى

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا » ، وذلك ليستنتج أن الله يجب أن يكون متكلماً دائماً أبداً ، وما دام الأمر كذلك ، فليس ما يمنع من نزول الوحي على غلام أحمد وأمثاله ... فهل ذلك هو معنى الآية الشريفة ، أم أن معنى الآية هو أن الله سبحانه وتعالى ينعى على بنى إسرائيل اتخاذهم صنماً أصم أبكم صنعوه بأيديهم وعبدوه مع أنه لاينفعهم ولا يضرهم ولا يهديهم سبيلا ؟ وهل إذا كان الله تعالى لاينزل وحيه على غلام أحمد يكون مثله مثل هذه ؟ . . . . استغفر الله ، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

أما عقيدة المسلمين فى أمر الوحي ، فهي أنه انقطع منذ انتقل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى ، لأن الدعوة الألهية قد تمت ،والبلاغ السماوى بلغ كماله ، وتمت على الناس نعمة الاسلام ، ولم يبق سبيل بعد ذلك ، بل لا حاجة إلى نزول وحي جديد ؛ هذا مايعتقده المسلمون مع إثباتهم صفة الكلام لله تعالى ، وأنها ذاتية له تليق بكماله ولا يتصور العقل انفكاكها عنه لحظة ، هذا مع مافهمه ؛ وما اعتقده جميع المسلمين من لدن أبى بكر وعمر إلى عصرنا هذا .

ومما جاء فى ذلك أنه عند موت النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت أم أيمن بركة الحبشية تبكى بكاءاً مراً،فدخل عليها أبو بكر وعمر وهي على هذه الحال فقالا لها: «يا أم أيمن مايبكيك، فما عند الله خير لرسوله؟»،فقالت: «إنى لأعلم أن ماعند الله خير لرسوله،وإنما أبكي لانقطاع خبر السماء » ، فهيجتهما على البكاء فبكيا .

فأولئك هم:أبو بكر،وعمر،وأم أيمن،وهم من أخص خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم المسلمون قاطبة يؤمنون بانقطاع الوحي ، ولم يدع أحد مطلقاً أنه أوحى إليه شيء ؛فكيف يجرؤ مسلم فى قلبه ذرة من إيمان على أن يدعى بذلك ، وهم يسمعون وعيد الله تعالى فى قوله : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله ، وماهو من عند الله،فويل لهم مما كتبت أيديهم،وويل لهم مما يكسبون »؛وكذلك الوعيد الذى جاء فى حق من قال أوحى إلى ، ولم يوح إليه شيء ، والذى قال:سأنزل مثل ما أنزل الله، إلى غير ذلك مما كثر وروده فى القرآن .

ولكن ما الحيلة مع أولئك القوم الذى لايقفون عند نص ، ولا يعبأون بوعيد ، ولا يقيمون للحق وزناً ؟ . .

ولولا خشية الاطالة ، وضننا بصحف « المعرفة » الثمينة من أن تضيع فى أمثال هذه المناقشات العقيمة لجئنا على سائر أدلة هؤلاء القوم - وما هى بأدلة إنما هم يسمونها كذلك -

معقبين عليها بما يدفعها ، ولـكننا معتقدون ان الحركة الأحمدية اهون واضعف من أن نأبه بها إلى هذا الحد ، فهى ـ ولله الحمد ـ تمشى وفى طيها موتها ، ولا تجد من يستمع إليها أو يلقى إليها بالا .

وإذا كان حضرة منير الحصنى أحمد وأعوانه يظنون أنهم يجدون لدعوتهم هذه فى مصر مناخاً طيباً،وجواً صالحاً،فانهم يكونون قد خدعوا أنفسهم وأساءوا الاختيار ، لأن مصر هى عرين الاسلام ، وملجؤه الأخير ، والمصريون أيقاظ ، لاتخفى عليهم خافية من أمثال هذه الدعاوى التى هى على اللسان دون أن تتطرق إلى الوجدان،وحركة منبعثة عن مآرب وأغراض لا عن يقين وإيمان . أما إذا كانوا يريدون لها نجاحا ورواجاً ، فعليهم أن يبحثوا لها عن مواطن أخرى غير مصر ،كمجاهل التبت أو أواسط إفريقيا أو جنوب أمريـكا ، لأن الجو الاسلامى لايقبلها ، ولـكنه يقتلها ويلاشيها ورحم الله أمرءًا عرف قدره والسلام ؟

سيد أحمد فهمى

ضحايا الحب

[بقية المنشور على الصفحة رقم ١٠٠٣]

الجمع صاح قائلا : تعال يا حضرة العمـدة بالعجل ، لحسن مبروكة بنت ابويا عبدالله ولعت فى نفسها النار واحترقت . ساد الهرج والمرج واشتد الصخب وتعالى النحيب من كل جانب ، ولـكن شيئاً واحداً تنبه الجميع إليه رغم الاضطراب السائد ، وما هذا إلا ضحـكة صدرت يخالها السامع صوت نذير من بركان سيقذف حممه .

فقهقه غنيم ضاحكا وفغر الجميع أفواههم لحروجة الموقف ، وما كادوا يتبينون الأمر حتى علموا أن هذه الضحكة كانت إنذاراً بذهاب عقل غنيم ؛ فما خرجت من جوفه حتى كان عقله يودعه إلى الأبد .

وكان الناظر إلى القطار المسافر عقب الحادثة بأربع وعشرين ساعة يرى جنديين يمسكان بشخص يهذى ويقول :

(هوه الجهاز بتاع مبروكه جاى فى القطر ده ؟ قرب يا ابراهيم ياخويا علشان تساعدنى فى سپيل العزال بتاع مبروكه مرات أخوك .

وعند ما آذن القطار بالقيام كان الرائى ـ يرى خلاف الجنديين الممسكين بالمجنون ـ رجلا فى يده قيد حديدى واضعاً رأسه بين ركبتيه مجهشاً بالبكاء وهوذاهب إلى المحاكمة، لأنه قتل إبراهيم أخا عم غنيم خولى الزراعة . ؟

السيد حسن طه

العلوم والفنون

دراجة للارض والماء على حد سواء



اقيم فى باريس معرض حديث للدراجات، عرضت فيه دراجة مائية هائلة الحجم، تولى مخترعها الفرنسي تسييرها أمام الزائرين على سبيل الاستعراض. ولهذه الدراجة العجيبة عجلات مجوفة وعائمات صلبة بمساعدة أربع كرات أصغر قليلا منها فى الحجم مركبة على هيكلها الخارجي - كما ترى فى الصورة الصغرى - يمكن أن تظل عائمة فى الماء، وكل من هذه العائمات الأربع تدور - مستقلة - حول محور خاص لكل العجلات تماماً، فينتج عن دوران هذه العائمات الأربع مع العجلتين قوة كبيرة، تدفع الدراجة فى الماء، فحينما (يبدل) الراكب فى الماء، فان الزعانف الموجودة فى العجلة الخلفية - وترى واضحة فى الشكل - يمكن ان تقوم مقام (بدال) آخر يدفع الدراجة إلى الأمام؛ فاذا أراد الراكب ان يسير على ارض جافة، فان هذه العائمات الخارجية يمكن أن تطوى بحيث لا تحتك بالأرض، ولكن المخترع يقيم الدليل العملى على إمكان



قيام هذه العائمات بحمل الراكب ودفع الدراجة إلى الأمام، فانه قد جرب هذه الدراجة أمام جمهور كبير من المشاهدين على مياه بركة كبيرة فنجحت التجربة نجاحاً كبيراً.

الراديو جزء من منهج الطيران !!



أصبح من الضرورى للطلبة فى مدارس الطيران بأميركا من دراسة تركيب أجهزة (الراديو) المختلفة دراسة جدية قبل أن يبدءوا تسيير الطائرات بأنفسهم ، وترى فى هذه الصورة احد الطلبة رافعاً يده ليدل على أنه تسلم رسالة (راديومية)

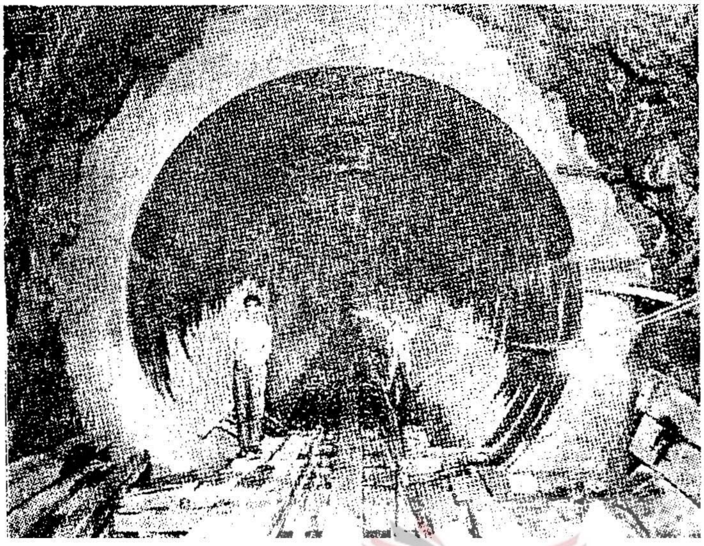
آلات تصوير

تحمل معها ضوءها الكشاف



يستعمل الصحفيون الغربيون الآن نوعاً جديداً من آلات التصوير ذا سرعة فائقة ، ويولد الضوء الكشاف لنفسه بنفسه ؛ ذلك أنه إلى جانب (الفوتوغرافيا) يوجد تجويف يحوى جهازاً للانارة الكهربائية. أما (البطاريات) فتوجد مختبئة داخل (الماكينة) نفسها تحرك (الموصدة Shutter) فيحدث تفاعل كهربائى ينجم عنه ضوء كاشف .

أطول ممر فى العالم



هناك فى (نيويورك) عند مواطىء أقدام الملايين، أوشك أطول نفق من نوعه فى العالم على الانتهاء . وهذا النفق يبلغ العشرين ميلا فى طوله والمقصود منه توزيع بليون من (جالونات) الماء كل يوم، وقد أطلق عليه رسمياً اسم « ممر المدينة رقم ٢» . وهناك ممر يسمى ممر المدينة رقم ١ وقد مضى على صنعه خمسون عاماً، ومن هنا استخدم ٢٫٥٠٠ عامل ليلا نهاراً فى الثلاث سنوات الأخيرة لاقامة النفق الملحق بالأول ، ولقد كلف شقه وسط الصخور الصماء ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ رطلا من الديناميت. وبالرغم من أن الممر يخترق بقعة من أكثر البقاع تكاثفاً بالسكان فى الدنيا فقد تم ذلك دون إقلاق راحتهم، وقد صار فى الامكان وضع خط حديدى على طول النفق الجديد.

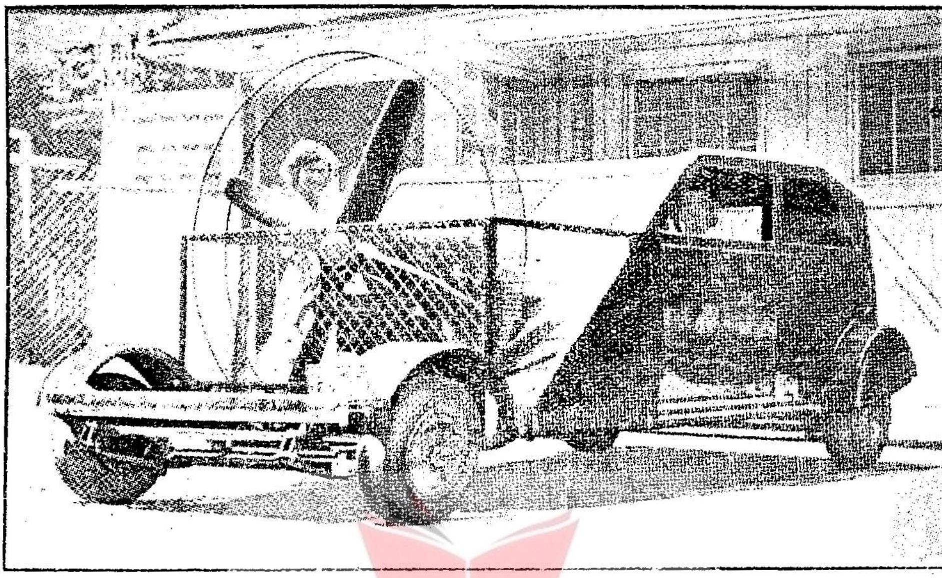
عين كهربائية تصنع ينبوعاً من الماء



الينابيع السحرية عقدة لا يمكن تقليدها، وقد ظهرت فى بلدان عديدة . وهذه الينابيع يتفجر منها الماء (أوتوماتيكياً) عند ما ينحنى الشخص عليها ليشرب ، وتقف من تلقاء نفسها كذلك عند ما رفع وجهه عنها وينسحب؛ وهاتان العمليتان تحدثان بلا صمامات ولا صنابير .

أما السر فى الينبوع فذلك أن هناك ضوء عين كهربائية حساسة مركبة بدقة إلى حد أن كل من ينحنى عندها للشرب يقطع خيوط الضوء المركزة على العين ، كما أن ظله يبدأ مرحلة كهربائية جديدة ينساب من دفعها الماء

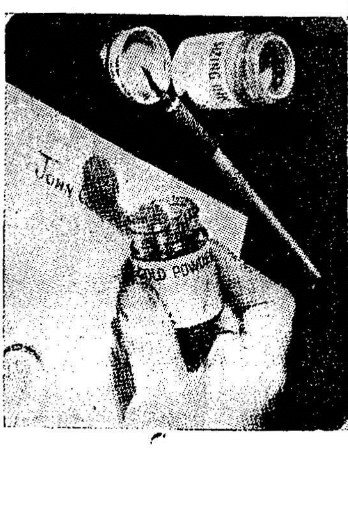
سيارة يسيرها الهواء وتقطع ثمانين ميلا فى الساعة



فوق هذا الكلام يرى القارىء صورة محرك يدفعه الهواء فيسير السيارة ، وعلى اليمين منظر جانبي للسيارة التى اخترعت للمحرك ، وهى تقطع ثمانين ميلا فى الساعة بهذه الطريقة .

طريقة سهلة جديدة

تقلب الكتابة العادية البارزة وتلونها بلون الذهب او الفضة



يمكنك الآن أن تقلب كتابتك العادية إلى كتابة بارزة ، ملونة بلون الذهب أو الفضة ، وهذا باستعمال نوع جديد من المداد يضاف إليه قليل من بودرة خاصة .

ولا يشترط فى الورق الذى تكتب عليه كتابتك إلا أن يكون من نوع لا يمتص الحبر ، وبعد أن تنتهى مباشرة من الكتابة تنثر عليها قليلا من هذا المسحوق ويمكنك ان تزيل منها مازاد على الحاجة بالنقر البسيط على ظهر الورقة .

ثم امسك الورقة بعد ذلك وعرضها للهيب غازى أو صفيحة كهربائية ساخنة أو مصباح كحولى ، وارجعها عن اللهب بعد أن تجد أن المسحوق قد امتزج بالمداد تماما .

مملكة المرأة والبيت

فوائد منزلية

بقلم الآنسة بهية محمد سعيد

حمام محمر

الطريقة : ينظف ويشيط ويلف بطبقة من الدهن ، ويوضع تحت ورق العنب وينضج على النار مدة نصف ساعة .

حمام فى الحلة

الطريقة : يوضع فى حلة ومعه السمن، وصفان من قطع دهن شرائح ، وملح، وفلفل، وبهار ؛ ويقلى الحمام من حين لاخر حتى ينضج، ثم ينظم مع عصير اللحم المستخرج منه، ويحاط بقطع من فتات الخبز الأفرنجى المحمر وعصير الليمون .

السلطة الانكليزية

الطريقة : يسلق البيض ويؤخذ منه صفار بيضتين ، ثم يسحق فى طبق عميق ، ثم تضاف إليه ملعقتان صغيرتان من الخردل ومعهما مفروم الأعشاب الرفيعة، ثم يضاف الخل ، والملح ، والفلفل ويمزج الجميع معاً ، ثم تخفق أربع ملاعق وتمزج بالقشدة وتقلب.

فطيرة جوزة الهند

تعمل مما يأتى :

(١) ملعقة جوز هند ، (١) ربع كيلو سكر ، (١) ملعقة مسلى ، (١) ملعقة دقيق ، (١) بيضة بقسماط .

الطريقة : تقشر الجوزة وتبشر بالمبشرة، ويوضع مقدار من السكر الناعم بقدر وزن الجوزة، وعليه نصف ملعقة مسلى ، وزلال بيضة ، وملعقة دقيق ، ويخلط الجميع ببعضه ، ثم تدهن الصينية بالمسلى ، ويرش عليها مقدار من مسحوق البقسماط ، ويوضع المعمول فيها على وجه باقى البقسماط وينضج فى الفرن .

مكتبة المعرفة

الاسلام دين عام خالد

تأليف الأستاذ محمد فريد وجدى

[كتاب فى ١٩٢ صفحة من الحجم المتوسط — طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين]

الكتابة فى الشئون الاجتماعية عامة ، والدينية خاصة ، دقيقة كل الدقة ؛ وهى على دقتها خطيرة جد الخطورة ، لما تتطلب من دقة بحث ، وصحة استقراء ، وسعة اطلاع ، ووافر إلمام بأصول الدين وفروعه ، سواء منها ما يتعلق بالعبادات او المعاملات .

لذلك كان الشأن لدى معشر المثقفين -الذين يرون ان يطبقوا النظريات العلمية الحديثة على فروع الدين المتعددة - ان يقفوا من كل مؤلف جديد موقف الحذر والاحتياط ، أو - إن شئت صراحة فى التعبير - موقف المرتاب فى صحة ما يحتويه المؤلف الجديد من آراء ، وفى مقدار ما يحمل بين طواياه من تعصب - إن كان الكاتب ممن يتعصبون للقديم - او فى القيمة العلمية الفقهيــة إذا كان الكاتب ممن يتأثرون بالجديد .

كان الشأن لديهم ذلك الذى قدمنا ، وما نزال لديهم حتى الآن ؛ لكننا إذ نقــدم إليهم هذا الكتاب القيم ، نعتقد أننا إنما نقدم إليهم كتاباً علمياً فقهياً جليل القيمة ، دينياً اجتماعياً عصرياً كبير القدر .

نقول ذلك بعد ان تصفحناه وقرأناه ، بل بعد ان دققنا النظر فيما احتواه من آراء جليلة ، وأفكار سديدة ؛ فاذا بنــا أمام تحقيق علمى دقيق لأهم مسائل الاسلام وأكثر مشاكله تعقيداً ، بل أشدها حرجاً فى البحث والتأليف ؛ ذلك أنه يتناول الكلام عن الاسلام كدين عام ، وعن الدين إطلاقاً ، والوحى وما دار حوله من شبهات علمية ، وما ارتطمت به عقول المعاصرين من عقبات ذهنية وعقد نفسية ، فى تفهمه على وجه تطمئن إليه نفوسهم اطمئناناً قائماً على الدين من ناحية ، والمنطق من ناحية أخرى ، والعلم الحديث من ناحية ثالثة ؛ وفى هذه النقطة تناول الأستاذ فريد بك وجدى الكلام على روح الوجود ، والمملكة النباتية ، والمملكة الحيوانية ، وصلة ذلك كله بالعقل الباطن الذى لا يحس الانسان وجوده .

فماذا كان فى كل ذلك ؟

الحق ان الأستاذ العلامة الجليل والمحقق الكبير محمد فريد وجدى ، قد استطــاع أن

يمحو ظلمات الشك المتغل فى اذهان اكثر المتشككين فى هذا العصر، واكثر الشباب الملأى عقولهم بالشبهات الدينية التى ولدها فيهم حب كل جديد والأخذبه دون تروأو تفكير .

على أن الكتاب لم يتناول تلك الموضوعات التى قدمنا فحسب ـ وإن كانت وحدها تؤلف حشداً من المشكلات الدينية والعقلية ، وخصوصاً فى هذا العصر الذى نعيش فيه ـ لكن الأستاذ وجدى أبى إلا أن يعلن سلطان العقل والعلم فى كل ما كتب فى هذا الكتاب ، فأثبت ان الاسلام دين يعلن سلطان العقل والعلم ، ومن ثم تناول الكلام على الاسلام والرق ، والاسلام ولذات النفس، والاسلام والآراء العلمية ، والمذاهب الاسلامية المتعددة، وأسلوب الاسلام فى التطور، وشريعته وهى القرآن، وحدوده المقررة على بعض الجرائم، وحكم الايات المتشابهة ، وحظ العامة منه ، وأثره فى العالم كافة، وخط الدفاع عنه ، ودفع الشبهات التى تتعلق به . فكان فى كل ذلك موفقاً كل التوفيق ، وكان موقفنا منه موقف المأخوذ بهذه الأدلة الصحيحة العديدة الآخذ بعضها برقاب بعض ، مما لايتوافر لغير رجل فى منزلة الأستاذ وجدى ، سواء أكان ذلك فى الدين أم العلم .

لهذا نقرر أن موقفنا من ذلك الكتاب كان موقف المأخوذ وكأنه لم ير مثل ذلك من قبل، أو موقف عمر بن الخطاب بعد وفاة محمد بن عبد الله، فقد جرد عمر سيفه على كل من تحدثه نفسه بأن محمداً قد مات، ولم يعد إلى سكينته حتى سمع قول ابى بكر الصديق يتلو قوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » .

وبعد فاننا لانستطيع أن نوفى هذا الكتاب حقه من التقدير الان، وبحسبنا أن نقرر ـ فى صراحة وصدق ـ أن الأستاذ وجدى قد كسب ـ بهذا الكتاب ـ المعركة التى قامت فى أوائل هذا العام بينه وبين مخالفيه فى الرأى .

أيان يسير الاسلام ؟

Whither Islam ?

عرض وتحليل للحركات الحديثة فى العالم الاسلامى

وهذا أيضاً كتاب عن الاسلام له قيمته ومنزلته ، سواء أكان ذلك راجعاً إلى قيمة البحث فى ذاته ، أم إلى منزلة الذين بحثوه أنفسهم .

طبع هذا الكتاب باشراف الأستاذ ه . ا . ر . جب المستشرق الانجليزى المعروف وأستاذ اللغة العربية وفروعها بجامعة لندن ، وهو الذى كتب مقدمته وخاتمته ، أو هو الذى جمع هيكله بعبارة أدق ، واشترك فيه الأساتذة المستشرقون المعروفون : لويس ماسينيون

بجامعة باريس، والدكتور ج. كامفاير بجامعة برلين، وج. ج. برج بجامعة ليدن والليفتينانت كولونيل م. ل. فيرار بالجيش الهندى.

قسم مؤلفو الكتاب بحثهم إلى خمسة أقسام أوخمسة فصول دون التمهيد والمقدمة، وهما بقلم الأستاذ جب.

أما الأول، فالبحث فيه مقصور على أفريقيا ـ عدا مصر ـ؛ وهذا الفصل بقلم الأستاذ ماسينيون.

وأما الثانى فمقصور على مصر وغربى آسيا، وهو بقلم الأستاذ الدكتور كامفاير.

وأما الثالث فمقصور على الهند، وهو بقلم الليفتينانت كولونيل فيرار.

وأما الرابع فمقصور على أندونيسيا، وهو بقلم الأستاذ ج. ج. برج.

وأما الخامس ـ وهو الأخير ـ فهو موضوع الكتاب المعنون به، وهو بقلم الأستاذ جب.

هذه الأقسام التى ذكرنا، كتب كل واحد من المؤلفين نصيبه منها تحت مسئوليته، كما ذكر الأستاذ جب فى التمهيد، وقد فصلت ـ فى الأصل ـ من سلسلة المحاضرات التى ألقيت تحت عنوان «الحركات الحديثة فى العالم الاسلامى Modern Movements in Islamic World» بمدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن فى نوفمبر سنة ١٩٣١.

والكتاب ـ على مابذله المؤلفون من دقة وعناية تستحقان الاعجاب والتقدير ـ لايخلو من بعض نقدات وملاحظات، سنبديها حين تترجم بعض فصوله، وهذا ما سيفعله صاحب «المعرفة» قريباً.

ونحن ـ على كل حال ـ لانخفى إعجابنا بمقدار مابذله المؤلفون فى عملهم، راجين أن ينتفع به أولئك الذين لم يعرفوا من الاسلام إلا صوره المظلمة التى صورتها لهم أخيلتهم، مؤملين أن يحفز هذا العمل بعض المستشرقين الاخرين للقيام بشىء مثله، لنستطيع الاطمئنان إلى مايقولون، ولتنأى عن الأذهان فكرة اتهامهم بالكيد للاسلام والاستعمار، وهذا مانتوجه فى طلبه إليهم مخلصين.

أما فمطبوع فى شركة (فيكتور جولانجز ليمتد بلندن: شار هنريت رقم ١٤) وثمنه ١٥ خمسة عشر شلناً إنجليزيا.

القاموس العصرى

تأليف الأستاذ إلياس أنطون إلياس

[فى أكثر من ٧٠٠ صفحة من الحجم الكبير ـ طبع المطبعة العصرية]

كنا أيام طلب العلم نفزع إلى القواميس المؤلفة عن اللغة الانجليزية، محاولين التعرف إلى

الأصل الانجليزى الدقيق للكلمة العربية الصحيحة ، فلا نجد ذلك متوفراً فيها تمام التوفير ؛ خصوصاً فى الاصطلاحات العلمية الدقيقة، لأن هذه القواميس وضعت فى الأصل لأبناء السكسون لا لأبناء الضاد، فكانت تضيع الفائدة المرجوة فى أكثر الأحيان، ثم جاءت الحرب العالمية فأحدثت انقلاباً عاماً فى جميع النواحى عامة والانتاج العقلى خاصة ، فكان من أهم مظاهر الانتاج ما يتصل بعلوم الطبيعة والكيمياء والهندسة والبيولوجيا وعلم فنون الحرب وآلاته ، بل فى جميع العلوم النظرية والتجريبية التى تقوم على الآلات الدقيقة التى لم يتوصل إلى اختراعها إلا بعد الحرب .

وقد جاء الأديب الفاضل الأستاذ إلياس أنطون إلياس محققاً لنا هذه الحاجة مسهلا علينا طريقها ؛ فأخرج قاموسه العصرى الكبير الذى يعد بحق معجزة القواميس الانجليزية العربية، والعربية الانجليزية حتى الآن ؛ وبحسبك أن تتصفحه لتعرف مبلغ ما عاناه المؤلف فى تحقيق الكلمات تحقيقاً دقيقاً ، وفى دراسة مرادفات الكلمات وفقهها، وإرجاعها إلى أصولها، مما لا تجد له نظيراً فى غيره .

والنسخة التى بين أيدينا من الطبعة الثالثة ، وهى أكثر من الطبعتين السابقتين دقة وعدداً؛ يدلك على ذلك العناية ــ إلى حد ما ــ بالتصحيح ، وإضافة ٢٣٠٠٠ كلمة على سابقتيها . فنثنى على همة الأستاذ إلياس ، ونكبر فيه هذه الروح العلمية الطيبة ، راجين أن يلقى عمله تشجيعاً ورواجاً .

والكتاب يطلب من حضرة مؤلفه ، وعنوانه : (صندوق البريد رقم ٩٥٤ . مصر) .

بين المعرفة وقرائها

المرأة والعمل

(كيب تون . جنوب أفريقيا) عبد اللطيف الانبابى المصرى ـ هاجرت وطنى مصر منذ خمس عشرة سنة ؛ وقد علمت أن المرأة المصرية تزاحم الرجل ـ الآن ـ فى الأعمال الحرة ، فما رأيكم فى هذا ؟ وهل تصلح للعمل ؟

(المعرفة) مزاحمة المرأة للرجل فى العمل موجودة الآن فعلا ، ولكنها بنسبة ضئيلة جداً لا يعتد بها؛أما الأصلح فى نظرنا لها،فهو الأمومة والعمل المنزلى ؛ لأن إدارة البيت ليست هينة ، وعالم الأمومة يسمو كل عالم خارجى ؛ على أنه فى حالة ما إذا كانت الفتاة فقيرة ، أو تعول أهلها ، أو عانساً لا أمل لها فى الزواج ، يحسن بها أن تطرق باب العمل الحر الشريف الذى يجب أن تحسن اختياره .

نظرية التطور

(اسكندرية . مصر) أحمد حجاب — ما رأيكم فى نظرية التطور ؟ هل هى صحيحة ؟ ولماذا لا تكتبون عنها تأييداً أو نقضاً ؟

(المعرفة) نحن لا نؤمن بشىء مطلقاً ما لم تقم الأدلة كلها على صحته؛فمتى وصل العلماء إلى قرار حاسم فى هذا الموضوع، نستطيع الاطمئنان إليه اطمئناناً كلياً؛ ولا يعنى كلامنا هذا أنا ننكرها إطلاقاً ، فنحن ممن يؤمنون ببعض قوانينها ، ونطبقه شخصياً فى كثير من مباحثنا.

نظرية المعرفة

(بومباى . الهند) عماد الدين بن عبد الله السلامى — قرات لكم ـ فى الجزءين : الأول والثانى من السنة الأولى من « المعرفة » ـ بحثاً راقياً عن نظرية المعرفة وترتيب صورها ، ولكنكم لم تتموه ، فما السبب ؟

(المعرفة) شغلتنا آنئذ بعض الشواغل عنه ، وصرفنا جمود بعض المشايخ عنه ايضاً ، ومتى أتيحت الفرصة لاتمامه نفعل . وحسبنا الله ونعم الوكيل فيمن يرغمون الناس على أن يعيشوا فى القرن العشرين بعقلية ما قبل التاريخ .

الموالد

(حيفا . فلسطين) شرف الدين أيوب — سمعت من أحد مشتركيكم أنكم تنكرون الموالد ، فكيف ذلك وأنتم من خيار المسلمين ، ومن نسل سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله

فهل هذا صحيح يا أيها السيد الشريف ؟ وإن كان هذا صحيحاً فما الذى قلته بالنص ؟ وكيف يكون موقفك من أجدادك وهم من العترة النبوية ؟

(المعرفة) لا تحاول يا سيدى الفاضل عبثاً ، فقد حققنا هذا الموضوع ، فاذا به بدعة فارسية لا أصل لها من الدين مطلقاً ؛ ويعلم الله أن نسبتها إلى بيت النبوة ظلم وغبن فادحان ، فلا تأخذ بالأوهام ، وثق بأن ما تراه من تأخر الأمم الشرقية عامة ، والاسلامية خاصة ، إنما سببه هذه الخرافات المنتشرة بينهم :

أما ما قلته أنا فى هذا الموضوع مفصلا ، فقد نشر فى العدد الثامن من السنة الأولى : ديسمبر سنة ١٩٣١ .

رواية فى ظل الغرام

(شبرا . مصر) ماهر الحسينى — وقعت فى يدى منذ شهور رواية عنوانها « فى ظل الغرام » كتب على غلافها بقلم ع . م . الاسلامبولى ، فاستنتجت من ذلك أنها بقلمكم البليغ الممتع . وقد أراد بعض أقاربى شراء نسخة منها فلم يجدها فى جميع المكاتب ، فهل نفدت ؟ وهل عندكم نسخ منها ؟

(المعرفة) أثار سؤالك عوامل الأسى والشجون فى نفسى، وقاتل الله أكثر فئة الناشرين فى مصر . أقسم لك أنه ليس لدى نسخة واحدة، فقد بعت أصلها المخطوط لأحد الناشرين بدراهم معدودة، وهذا منذ سبع سنين تقريباً، وقد حاولت إعادة طبعها فلم أوفق إلى نسخة، بالرغم من أن طابعها طبع منها أكثر من خمسة آلاف نسخة على ما سمعت، ولست أعرف أين ذهبت جميعاً ؛ والأدهى والأمر — على حد تعبير بعضهم — أنى لم أجد منها نسخة واحدة فى دار الكتب . بل هناك ما هو أدهى من ذلك ؛ وهو أن بعض القصصيين — وقد يكون الطابع نفسه — أعاد طبعها بعنوان آخر لم أعرفه ، لأن وقتى لا يسمح بتتبع الروايات ، سواء أكانت عربيـة أم أفرنجية .

ولست أعرف ماذا أقدمه هدية إليك لو تفضلت فبعثت بالنسخة التى لديك ، وكل ما أستطيعه أن أشيد بذكرك فى أول صفحة من صفحاتها فى طبعتها الثانية لو قدر لها ذلك .

الغريزة الجنسية

(المنيا . مصر) على المملوك — قرأت جوابكم عن سؤال بهذا العنوان فى العدد الماضى ؛ ولكنه كان جواباً فلسفياً تقريباً ، يعنى أنه شديد التنفيذ مع ضعاف الارادة . والحق أقول لكم إننى ضعيف الارادة ، فهل لديكم طريقة عملية لكبت هذه الغريزة ؟

(المعرفة) حل المسألة بسيط جداً ، وهو الزواج ، فاذا كنت عاجزاً عن ذلك ، فقلل من أكل اللحوم وإياك والمثيرات النفسية ، أو قراءة القصص المصبوغة بصبغة الأدب المكشوف.

وبعبارات أصرح الروايات الجنسية (Sexual) ، وإذا لم يمكنك هذا ولا ذاك ، فلا تحاول سؤالنا مرة أخرى كفاك الله شرك .

كيف أكون جميلة ؟

(القاهرة . مصر) آنسة ح. ا — تربيت تربية عالية،وكنت دائماً موضع تقدير أساتذتي ومعلماتي ، وقد تخرجت في مدرسة (الفرير) من خمس سنوات تقريباً،ولكني لم أتزوج حتى الآن ، ويعلل أقاربي ذلك بأني لست جميلة، فهل هناك من سبيل لتجميل الوجه؟وهل أستعمل المساحيق ، وهذا شيء أكرهه بطبيعتي ويأباه خلقي ؟

(المعرفة) ثقي يا سيدتي الآنسة أن كل طلاء يذهب بالجمال الطبيعي الساذج الذي يجب أن يكون سلاح المرأة دائماً ، وثقي — أيضاً — أن كل شابة تزين نفسها بهذه المساحيق إنما تأتي أمراً نكراً ، وتقيم في الوقت نفسه دليلا صريحاً على أنها قبيحة المنظر. وإذا كان بعض الشبان أو بعض الأزواج يؤخذ بمثل هذه الحال المصطنعة ، فثقي أن ذلك عرض زائل ، وأن الزوجة أو أي إنسان آخر يكون من العسير عليه جداً رؤية المرأة على غير ما رآها به في المرة الأولى ، فهل تستطيع أن تحتفظ بهذه المساحيق دائماً ؟ . . كلا ، وقديماً قيل :

ثوب الرياء يشف عما تحته فاذا التحفت به فانك عاري

والرأي الأصوب في الجمال هو قول الشاعر :

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب

فبحسبك صفاء روحك وطهارة قلبك لتكوني أجمل النساء ، فاذا لم يوافقك هذا توجهي إلى طبيب من الأطباء المختصين في فن التجميل .

أمنية الانسان المتمدين

(إسكندرية . مصر) أمين علي — ما هي أمنية الانسان المتمدين من الحضارة، وما هو أفضل مايعيش من أجله الانسان ؟

(المعرفة) لكل إنسان في الوجود أمنية هي سلواه ونجواه ، وتختلف باختلاف مايتخيله الانسان لنفسه من مثل أعلى يختلف باختلاف تكوينه وبيئته وخلقه ومبلغ ما لديه من طموح ومطامع واستعداد .

وقد أثبتت نظريات علم النفس الحديث أن الانسان كلما تحضر اتجه ذهنه إلى مثل أعلى من المثل الذي يتخيله الانسان الذي قبله ، فلهذا لا يمكن تحديده .

أما أفضل ما يعيش له الانسان ، فهو الحب والتضحية والايثار ، والخلاصة : العمل لخير المجتمع وسعادته .

لماذا سبقنا الغربيون ؟

(القاهرة . مصر) آنسة س. صالح أحمد — لماذا سبقنا الغربيون ، مع اننا اسبق منهم

حضارة ؟ وهل ينتظر ذلك اليوم الذى نتساوى فيه معهم ؟

(المعرفة) السر فى ذلك راجع إلى الاستعمار من ناحية ، ومن ناحيـة اخرى عدم تعليم المرأة المصرية تعليماً كافياً، أو عدم إقبالنا على تعليمهن جميعاً .

والمرأة هى العنصر الهام فى حياة المجتمع ، وبدونه لا تتم الحياة الكاملة المثلى التى يتنافس فيها الأفراد ويتطلعون إلى العلى . فمتى أتيح للمرأة نصيبها من الحياة الحرة الصحيحة ، أتيحت لنا الحرية الكاملة ، ومساواة الغربيين .

الشاعر والكاتب

(القاهرة . مصر) أحمد فتحى ناصف — أيهما أفضل : الشاعر أم الكاتب ؟

(المعرفة) للشاعر رسالته ، وللكاتب رسالته ، ولكل منهما مثله الذى ارتضته نفسه ، وقد يكون من العسف الحكم على شيئين متناقضين لا تصح الموازنة بينهما ما لم تتوفر فى كلا الشيئين الشروط اللازمة لوجود الموازنة ؛ لهذا يصبح من العسير جداً تفضيل أحدهما على الآخر ؛ وليس كل شاعر ـ عند التحقيق ـ شاعراً ، كما انه ليس كل كاتب كاتباً .

هدايا السنة الثانية

١ـ خلاصة علم النفس

تخيرت « المعرفة » لقرائها كتاباً نفيساً ـ انتهت من طبعه فى قسم الطبع والنشر من دارها ـ تأليف الأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى أستاذ المنطق وعلم النفس فى المدارس الثانوية لأميرية ، والحاصل على ليسانس فى الفلسفة من الجامعة المصرية ، ودبلوم معهد التربية العالى.

وهذا الكتاب ـ كما يدل عليه عنوانه ـ خلاصة الآراء الحديثة فى « علم النفس » .

وقد بدأت « المعرفة » فى إرساله إلى حضرات مشتركيها الذين سددوا اشتراكها عن هذا العام ؛ وليس من شك فى أن بحوثه القيمة ، ستكون من بين الأسباب التى تدعو من لم يسدد اشتراكه إلى المبادرة بدفعه حتى يقتنيه ، ويزود به مكتبته ، ويضيف به إلى آرائه فوجاً جديداً ، لا من الناحية الفلسفية فحسب، وإنما فى كل ناحية من نواحى النفس : فى تحليلها ، والغرائز الدافعة للانسان إلى العمل ، والانفعالات والعواطف وأثرها فى حياة الانسان ، والاحساسات، والإدراك ، والتفكير ، والخيال، والابتداع، وتسلسل المعانى، والعادة وأثرها والاقلاع عنها ، والذاكرة ، وعلاج الضعيفة منها . . . الخ .

وقد جعلنا ثمنه عشرة قروش مصرية تسهيلا لطلاب العلم والقراء غير المشتركين .

وهو يطلب من دار « المعرفة » ومن المكاتب الشهيرة فى أهم البلاد المصرية والشرقية .

هدية السنة الاولى — الرسالة العذراء

﴿ الرسالة العذراء ﴾ اسم لرسالة نفيسة ، تعد إحدى ذخائر الأدب العربي النفيس ، لابراهيم بن المدبر ؛ حوت من جليل البحث ، وطريف الفكر ، ورقة الأسلوب ، وسلاسة اللفظ ، ما جعلها ـ بحق ـ كنزاً من كنوز أدبائنا العرب المغاوير .

وقد صححها وشرحها باللغة العربية ، ووضع لها مقدمة مفصلة بالفرنسية ، تناول الكلام فيها على فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث ، الأستاذ البحاثة والعالم الفاضل الدكتور زكي مبارك .

وقد بعثت إدارة « المعرفة » بهذه الهدية النفيسة إلى حضرات المشتركين (الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الأولى) .

ورجاؤنا أن يتفضل حضرات الذين لم يسددوا قيمة اشتراك تلك السنة بتسديدها ، لنبعث بتلك الهدية إليهم .

أول ديسمبر سنة ١٩٣٢
شعبان سنة ١٣٥١

المعرفة

الجزء الثامن
السنة الثانية

مجلة — شهرية — جامعة
لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول
عبد العزيز الإسلامبولي

المجلد الرابع | شعارها : اعرف نفسك بنفسك | العدد ٢٠

عاطفة الحب

فى نظر العلم والفلسفة

– ١ –

[من محاضرة لصاحب « المعرفة » أذيعت من محطة راديو مصر الملكية]

فكرة البحث

قد أكون فى حاجة إلى ذكر ما دعانى إلى طرق هذا البحث – الذى لم أتعوده من قبل – فلتعلم – منذ الآن – أن الذى دعانى إليه عاملان قويان ليس إلى دفعهما من سبيل .

١ — أما الأول ، فذلك أن زميلى وصديقى المؤرخ الكبير الدكتور « أحمد فريد رفاعى » مدير المطبوعات الأسبق ، قد طلب إلى ، وبعبارة أصرح طلب منى [١] أن أذيع محاضرة عن هذا الموضوع من (محطة راديو مصر الملكية) التى يشرف على قسم المحاضرات بها ، وما أحسبك تجهل منزلة الدكتور من نفوس أصدقائه وإخوانه والمنتفعين بعلمه وأدبه.

٢ — وأما الثانى ، فذلك أنى أجبت – فى العدد الماضى – عن سؤال خاص بالحب بما نصه : « إن الحب جوهر أساسى ، لا يخلو منه عنصر من عناصر الوجود ؛ وقد أثبتت

(١) طلب منى تفيد الامر .

التجارب العلمية الحديثة أنه ليس مقصوراً على الإنسان فحسب . وإنما يشمل الحيوان والنبات والجماد أيضاً » [١] .

قلت هذا ولم أكن أقدر أنه سيثير عاصفة من الآراء المتباينة ، فقد مضى الشهر المنصرم كله ، والبريد يحمل إلى إدارة هذه المجلة حشداً من الرسائل : بعضها ينكر الرأى ، وبعضها يستبعده وإن كان لا ينكره ، وأكثرها يستزيدنا القول شرحاً وتبياناً . وما أحسبنى ممن يدع القراء يتخبطون ولا يقيم لهم وزناً .

هما عاملان قويان إذاً ، بل خطيران أيضاً ـ وكيف لا يكون الأمر كذلك ، وأنت ترى أنهما يدفعان الكاتب إلى طرق موضوع الحب ، وهو جد خطير ؟

على أنا لا نريد ـ ونحن نعالج هذا الموضوع ـ أن نساير الخيال ، أو نتابع الأمانى والأحلام ، أو نطلق لعواطفنا العنان ، وإنما نريد أن نحتكم إلى العقل ، وإلى العلم ، وإلى الفلسفة ، فإن هذه كفيلة أن تمدنا بحشد من الأدلة المنطقية ، وجمهرة من البراهين العلمية ، تحقق لك ما قدمنا من علاقة الحب بكل كائنات الوجود .

فلتنصرف جمهرة الشباب والشواب ـ المأخوذين بالحب الجنسى ـ عن هذا البحث إلى غيره ، فليست فيه طلبتهم ، وهى إن وجدت ، ففى حدود وأوضاع وقيود لا تروقهم ، ولا ترضاها نفوسهم .

الحب فى اللغة

الحب فى اللغة ضد الكراهية ، أو هو الوداد ، يقال حببت فلاناً ـ وهو فى الأصل ـ بمعنى أصبت حبة قلبه نحو شغفته وكبدته وفأدته ، وأحببت فلاناً : جعلت قلبى معرضاً لحبه ، لكن فى التعارف وضع محبوب موضع محب ، أى على غير قياس ، واستعمل حببت أيضاً فى معنى أحببت [٢] .

الحب فى الاصطلاح

أما تعريف الحب فى الاصطلاح تعريفاً جامعاً مانعاً فأمر يكاد يكون من المستحيل ، وإن كانت أكثر التعاريف تكاد تتفق فى أنه : إرادة ما يراه الإنسان أو يظنه خيراً ، ولهذا يفسر أحياناً بأنه الإرادة ذاتها وهو خطأ ، لأن الحب أبلغ من الإرادة وأشد أثراً . ومن ثم نعلم أنه يشترط أن يكون كل حب إرادة ، وليس شرطاً أن تكون كل إرادة حباً .

وإذا كانت أكثر التعاريف تدور حول هذا المعنى ، فإن بعضاً منها يذهب مذاهب أخرى ، كمذاهب الفلاسفة ، والمثاليين [٣] ، والصوفيين ، والوضعيين .

(١) « المعرفة » عدد نوفمبر ١٩٣٢ ص ٨٩٠ .
(٢) عن مفردات الراغب الاصفهانى واللسان والقاموس .
(٣) خصصنا المثاليين Idealists بالذكر ، لأنا نراهم حلقة الاتصال بين الفلاسفة اطلاقاً والصوفيين عامة . وان كان مذهبهم يندرج تحت مذاهب الفلاسفة

فالحب عند الفلاسفة : « عارض صادف قلباً فارغاً ، دقت على الأفهام مسالكه ، وخفى عن الأبصار موضعه ، وحارت العقول فى كيفية تمكنه ، وعظم سلطانه على النفس ، وهو يبدأ فى القلب ، ثم يتفشى فى سائر الأعضاء ، ثم يبدى الرعدة فى الأطراف ، والصفرة فى الأبدان ، واللجلجة فى الكلام ، والضعف فى الرأى ، والزلل والعثار ، حتى ينسب صاحبه إلى الجنون »[١] .

وعند المثاليين أو الأفلاطونيين : « تذكر المثال (Remembrance) ، والاندماج فيه ، والوحدة به »[٢] .

وعند الوضعيين : « حدوث الجاذبية »[٣] .

وعند الصوفيين : « حال شريفة شهد الحق سبحانه بها » ، و« ليس مراد القوم بالمحبة الإرادة ؛ فإن الإرادة لا تتعلق بالقديم ، اللهم إلا أن يحمل على إرادة التقرب إليه ، والتعظيم له »[٤] .

وإذا كان القارىء قد وجد تلك الآراء مختلفة متباينة ، متعددة متناقضة ، فمرجع ذلك إلى ما للحب من سلطان فى الوجود كله ، وما له من أثر فى شئون الحياة جميعاً ؛ على أن « ابن الفارض » قد تخلص من هذا الإشكال فقال :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضنى به وله عقل

تحذير وإغراء

فماذا ترى فى هذا البيت ؟ ألست ترى اعترافاً تاماً بالعجز عن تعريف الحب ، ورسم حدوده وأوضاعه ؟ أفلا يدلنا هذا دلالة بالغة الأثر على أن الحب لا يمكن تعريفه بغير الحب ؟ ... لقد أجهد « ابن الفارض » نفسه كما أجهد غيره نفسه فى تعريفه فلم يفلح ، فاكتفى بقوله : هو الحب وكفى ؛ ذلك انه لم يجد كلاماً يفى بوصفه اللائق بعظمته وجلاله ، فاضطر إلى اصطناع أساليب النصح والتحذير ، واضطر أن يبدو لنا فى موقف الناصح المحذر ، الناصح بالبعد عن شواظ ناره المحرقة ، المحذر من الوقوع فى حبائله الشائكة ؛ لكنى أرجو أن تتفهم البيت ، وتتبين معانيه جيداً ، وأرجو ألا تنسى أن « ابن الفارض » ممن دنفهم الحب ، وأنساهم أنفسهم وأذهلهم عن كل ما فى الوجود سواه ؛ وأرجو أن تضيف ـ إلى ذلك ـ أن « ابن الفارض » كان صادق العاطفة ، وأن قلبه كان جياشاً بالأحاسيس السامية ، والخلجات العلوية الشريفة ، وأنه من أعلام المتصوفة المحبين . أرجو أن تفهم ذلك كله ، لتعلم أنه ليس تحذيراً ولا نهياً ، بل إغراءاً بالحب ، وترغيباً فى الحب ، وتشويقاً إلى الحب ، يدلك على ذلك قوله فى مستهل قصيدته المعروفة بتائية السلوك :

---

(١) ينسب هذا التعريف الى أرسطو ، ولسنا نعرف مبلغ هذه النسبة من الصحة ، وقد لخصناه عن كتاب « تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق » الطبعة الازهرية سنة ١٣١٩ هـ .

(٢) عن كتاب « تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها الى الآن » .

(٣) عن كتاب « Love. by Menary » .

(٤) عن الرسالة القشيرية : باب المحبة .

سقتني حميا الحب راحة مقلتي وكأس محيا مَن عن الحسن جلت

وكيف يحذر وينهى عن الحب وهو القائل :

إن مت وزار تربتي من أهوى لبيت مناجياً بغير النجوى

في السر أقول: يا ترى ما صنعت ألحاظك بي؟ وليس هذا شكوى

ألم يقل هو : (١)

غيري على السلوان قادر وسواي في العشاق غادر

لي في الغرام سريرة والله أعلم بالسرائر

ومشبه بالغصن قلبي لا يزال عليه طائر

أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر

لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدى حاضر

ما القلب إلا داره ضربت له فيها البشائر

يا تاركي في حبه مثلا من الأمثال سائر

أبداً حديثك ليس بالمنسوخ إلا في الدفاتر

يا ليل ما لك آخر يرجى ولا للشوق آخر

يا ليل طل يا شوق دم إني على الحالين صابر ...؟

لعلك أدركت المعنى الدفين في نفس « ابن الفارض » ، ولعلك عاذره ان لم يقل في تعريف الحب أكثر مما في قدرته ، ولعل من الحق أن تقرر بعد ذلك أن « ابن الفارض » قد وفق التوفيق كله في تعريف الحب ، وإن كان يبدو ـ لأول وهلة ـ في صورة العاجز عن تعريفه ، ولعلك عاذره ـ أيضاً ـ في عدم تصريحه بأكثر من هذا ، فتلك كلمة صغيرة المبنى ظاهراً ، ولكنها كبيرة المعنى باطناً . وبحسب هذه الكلمة الصغيرة المكونة من حرفين؛ أن تكون مناط الوجود ورجاءه ، وأمله وسعادته ، وزهرته وريحانته ، بل قطبه ومحوره ، ودائرته ومركزه ، بل حسبهما أخيراً أن يمثلا روح الوجود وكائناته ، أن يمثلا الروح الإلهية ، ويستمدا كيانهما منها، ليكون ذلك دليلا على سرمديتهما واستحالة الفناء أو الزوال عليهما .

وبعد ، فقد أطلنا الكلام كثيراً في تعريف الحب، وإن كنا لم نستقصه ـ لكن يشفع لنا في هذا كله ما سنرتب عليه من نتائج . ولننتقل الآن إلى الكلام عن الحب في أهم مراحله ، بادئين بمرحلة التاريخ :

الحب في التاريخ و (البيولوجيا)

لعب الحب في التاريخ ـ قديمه وحديثه ـ أدواراً خطيرة ، بل قلب العالم بأسره دفعات متتاليات ، ولم يقتصر أمره على عصر من العصور، أو شعب من الشعوب ؛ كما يقول بعض علماء

(١) تنسب هذه القصيدة للبهاء زهير أيضاً .

التاريخ الطبيعى (Biology) الذين يرون ان عاطفة الحب لم تكن موجودة فى الانسان الأول، ولا فى القبائل المتوحشة ، ولا فى بعضها حتى الآن ، مستدلين على ذلك بأنهم لم يجدوا أثراً له فى الأمم القديمة ، كاليونان ، والمصريين ، والاسرائيليين ؛ وفى نقض تلك الدعوى نقول :

إن الحب ميل فطرى فى الانسان ، وجد فيه منذ نشأ،فهو فى حكم الغريزة إذاً ، وإن كان علماء النفس يطلقون عليه كلمة عاطفة ، لأنه ميل فطرى مصحوب بالوجدانات ؛ ودليلنا على وجوده ـ منذ الأزل ـ ما ورد فى الكتب المقدسة ـ وأخصها التوراة ـ عن حب آدم وحواء ، وما جاء فى كتاب (راما يانا الهندى) عن حب (راما وسيتا) ، وكتاب (مهابارتا) عن غرام (كرشنا ورادا) منـذ آلاف السنين ، بل يؤيده ما جاء فى القرآن وكتب التاريخ الصحيحة عن حب يوسف النبى وزليخا ، وشمشون ودليلة ، وسليمان وبلقيس ، وبركليس وأسباسيا ، ومارك أنطوان وكليو باترا ؛ وما ورد فى أشعار الجاهلية والإسلام عن حب : عنترة وعبلة ، وامرىء القيس وعنيزة ، والمجنون وليلى ، وقيس ولبنى ، وهارون الرشـيد وخالصة ... الخ ؛ وما جاء فى أوراق البردى من قصص الحب والغرام عن قدماء المصريين .

وما فى القرون الوسطى من حب: أبيلار وهيلوييز،ودانتى وبياتريس،وبترارك ولورة... الخ

وفى العصور الحديثة كثيرون لا يقعون تحت حصر ، أخلدهم بالذكر لامارتين وجرازيلا، وجورج روميني ولادى هاملتون ، وابن الفارض وخمرته .

بل يكفى أن يكون الحب قد تم بين آدم وحواء لنقض هذه الدعوى ؛ أو بين فصـيلة (الشمبانزى) لهدم زعمهم من أساسه .

الحب والاجتماع (Sociology)

كذلك يرى بعض علماء الاجتماع أن عاطفة الحب لا توجد إلا حيث تكون الجماعة فقط ، فاذا فرض أن إنساناً نشأ وسط الصحراء وحيداً،فإن الحب لا يعرف إلى نفسه سبيلا ، أو إنه لا يستشعر الحب فى قلبه ؛ ويكفى للدلالة على ما فى هذا الرأى من بعد عن الصواب ، أن الإنسان ميال بطبيعته إلى حب الاستطلاع والتعرف إلى ما يحيط به ، سواء أكان ذلك جماداً أم نباتاً أو حيواناً أو إنساناً ؛ وأنه يستشعر من نفسه ـ فى سبيل هذا التعرف ـ الخوف أولا والاطمئنان ثانياً ، وهما ظاهرتان من ظواهر الحب : الحب السالب، والحب الموجب ، فاذا لم يكن للانسان زميل آخر ، انصرف حبه للنجم ، للقمر ، للسماء ، للوردة ، للحيوان الأليف ، لمظاهر الوجود ، لله متمثلا فى مخلوقاته.

الحب وعلم النفس

أما رأى علماء النفس فى الحب فأرفق به من غيرهم ، ذلك أن أكثرهم ينظرون إليه باعتباره عاطفة من العواطف السامية . وقد قسموا عواطف الانسان جميعاً إلى ثلاثة أقسام لا تخرج عنها ، هى نتيجة بحث الانسان للمجتمع الذى يعيش فيه ، وفى صلته بغيره من الأفراد الذين يحتاج إليهم ليتعاون وإياهم على القيام بأعباء الحياة الرزينة التى لا يستطيع أن يقوم بها منفرداً ، فاذا اتصلت العاطفة بين شخصين سميت حباً ، وإذا باعدت بينهما سميت كرهاً ، وإذا نظر الانسان إلى غيره نظرة عليا رفيعة ، نظرة التقدير والتسلط ، فهى ليست حباً ولا كرهاً ، وإنما هى احترام.

وتتجلى عاطفة الحب فى مثلها الأعلى الظاهر الجلى للناس وهو حب شاب لفتاة ، يدل على هذا أن الشاب يدور شعاع نفسه الفياض حول هذه الفتاة التى يشملها بعاطفة الحب ، فلا يعبأ بأى شىء سواها فى الوجود ، وتجد هذا واضحاً فيه إثر كل حركة تصدر عنها ، حتى توافه الأعمال ، فانها تثير فى نفسه أعمق التأثرات وأصدق الانفعالات ، وهو يشعر أن وجودها جزء من حياته ، بل متمم ومكمل لهذه الحياة ، إذا فقدها شعر بنقص عظيم وفضاء فسيح ، وإذا ما بعدت عنه استحضر صورتها فى ذهنه فى كل وقت وفى كل مكان ، وهذه الظواهر كلها يعبرون عنها بعبارة « تحول العواطف » ، وقد قسموها إلى ثلاثة أقسام : قانون المشابهة ، وقانون التجاور الزمانى ، وقانون التجاور المكانى .

أما الأول : فمثاله أن المحب إذا ما رأى فتاة أخرى تشبه حبيبته بأى أسلوب من أساليب التشابه ، فانه يكن لها نفس العاطفة التى يشمل بها محبوبته ، ولكنها ـ فى هذه الحال ـ عاطفة تقليدية ليست صادقة كل الصدق ، لأن الحب للحبيب الأول . أليس الشاعر يقول :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول ؟

بل إن هذه المشابهة لتؤثر فى المحب أثراً غريباً يكاد يكون شاذاً ، ذلك أنه يحب اقتناء كل ما يعجب محبوبته ، بل يحب كل ما تحبه وتميل إليه ، ولو كان مخالفاً لذوقه أو نفسه ، بل يحب كل من يمت إلى محبوبته بنسب القرابة أو صلة الزمالة ، أياً كانت صفته ، وقد يكون هذا القريب عدواً للمحب أو مخالفاً له فى المزاج والروح وغير ذلك .

وفى الدلالة على وجود هذه الظاهرة نذكر قصة « جميل بن معمر » الشاعر العربى المعروف ، والذى شغف بحبيبته « بثينة » شغفاً تسلط على كل لبه ومشاعره ، وأصاب شغاف قلبه ..... رآه « شبيب » أخوها يوماً عندها ، فآذاه كل الايذاء ، ولم يتركه من بين يديه إلا وهو بين حى وميت .

لكن انظر إلى « جميل » هذا المحب المسكين ، وانظر إلى أثر الحب فى نفسه ، فقد كان بمكة وله فيها عز وسلطان ، ووفد عليها « شبيب » ذاك ، فقال قوم لجميل « دونك شبيباً فخذ

بثأرك منه » ، فماذا تنتظر منه ـ أيها القارىء ـ بعد الذى قصصنا عليك من أمرهما ؟ هل تظن إلا أنه قاتله، وإلا أنه آخذ بثأره منه ؟ ستظن هذا دون شك ، لكن الحب أوحى إلى « جميل » أن يقول فى رده على الذين دعوه إلى الأخذ بثأره :

وقالوا : يا « جميل » ! أُتى أخوها فقلت : اتى الحبيب أخو الحبيب

أما ما يسمونه « التجاور المكانى » ، فنراه ممثلا فى تحول عاطفة المحب إلى حب كل مكان حلت فيه محبوبته ، أو اجتمعا فيه معاً ، أو حب البلد أو الحى أو المنزل المجاور لها ، فيتجه ذهنه دائماً إليه ، ونراه ممثلا فى قول مجنون ليلى :

أمر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغلن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

كذلك نجد « التجاور الزمانى » موجوداً فى نفس هذه العاطفة ، حيث نرى المحب يحن دائماً إلى استذكار أول عهد اتصاله بمحبوبته ، والساعة التى كانا يتلاقيان فيها ، والزمان الذى قضياه معاً ، يذكر هذا كله فى لذة وسرور آناً ، وفى ألم وحرقة آناً آخر ، بل فى بشر وحنين طوراً ، وفى مرح وأنين طوراً آخر ، وهذه حال اجتماع الاضداد ، وترى هذا القانون ممثلا فى قول القائل :

كم منزل فى الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل (١)

الحب والعلوم الأخرى

وإنه لمن العبث كل العبث أن نحاول الالمام بكل مراحل الحب ، وعلاقاته بجميع أنواع العلوم والكائنات ، فذلك شىء مفروغ من بحثه ، تضيق عنه صفحات « المعرفة » الآن ، على أنا سنذكر الآن إلمامة وجيزة عن علاقة العلوم جميعاً بالحب ، أما التفصيل فذلك ما نرجئه إلى العدد التالى إن شاء الله .

والآن فلنتساءل أى إنسان فى الوجود عن الحب يجبك إجابة إن اختلفت عن غيرها لفظاً فانها تتفق معنى ، فهو للشيخ العجوز يتوكأ على عصاه سلوة ، وللعابد فى محرابه قرآن ، وللشاب أمنية ، وللفتاة هوية ، وللفيلسوف رجاء ، وللقائد سيف ، وللجميع حياة وروح وفردوس ونعيم .

تصور الكون بلا حب ، فماذا يكون معناه ؟ هل يكون إلا ظلاماً فى ظلام ؟

إنك إذا أمعنت النظر فى نظرية (نيوتن) التى أثبتت الجاذبية بين أجزاء النظام الشمسى ، وان دوران الأرض حول الشمس قائم بمقتضى قانونها ، لو تأملت هذا القانون نفسه ، وجدته قانون الحب ذاته . وهذه الكواكب السيارة التى لا تستطيع أن تلبث فى عوالمها ما لم

(١) لا يدل هذا البيت على وجود التجاور الزمانى ، دلالة كافية ، ولكنها دلالة ضمنية : زمانية مكانية ، على أن الشواهد كثيرة لا تحضرنا الآن .

تكن منجذبة إلى نوعها ، هي هي بنفسها قانون الحب المزدوج .

وإذا كان ليس شرطاً لجميع الكواكب أن تكون مقترنة، فكذلك ليس شرطاً في الحب أن تكون جميع حالاته مقترنة . ألست ترى الشاعر يقول :

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا وغيرها بنا مجنونة لا نريدها

دع هذا كله ، واسمع قول (انبيدوكليس) الفيلسوف اليوناني (٤٠٠ ق . م) : « إن جميع القوات الطبيعية ، كالفلكية والكيميائية ، هي نفس الارادة البشرية ولو لم تكن كاملة النمو مثلها ، وإن أشد العواطف المتسلطة على الانسان ـ وهما الحب والبغض ـ لهما الفاعلان في إدارة شئون الكون كله » (١)، واسمع قولا آخر له: « إن العناصر الأربعة المكونة من: الأرض، والماء ، والهواء ، والنار (٢) ، كانت منذ الأزل مجتمعة معاً بعامل الحب ، ثم دخل بينها البغض فانفصلت بعد اتصالها ، وتعددت أشكالا متباينة ، فتولد منها النبات والحيوان على سنة التطور ؛ وقد كانت أعضاء هذه الكائنات منفصلة قبلا ، فلما « جازبها » الحب تألفت منها أجسام الحيوان المعروفة الآن ؛ وقد اتفق أن كثيراً من هذه الأعضاء لم يركب في محله، فوجد رأس ثور على جسد حمار ، وقرن غزال على رأس حصان ؛ غير أن هذه المخلوقات الغريبة ، انقرضت سريعاً ، وما بقي من الحيوانات توالد وكثر لموافقته أحوال الزمان والمكان ! ! » .

أليس هذا بعينه هو مذهب النشوء والارتقاء ؟ بل أليس الحب والبغض يمثلان قوتي الجذب والدفع ؟ لهذا قسم الفيلسوف (ليو) الحب أو الجاذبية ثلاثة أقسام :

١ ـ الحب الطبيعي : وهذا هو القوة التي تجذب مياه النهر إلى النهر، والحجر إلى الأرض، وتحفظ النظام الشمسي والنجوم في دوائرها .

٢ ـ الحب الشعوري ، ويقصد به حب الحيوانات بعضها بعضاً، وتعلقها بمن يحن إليها .

٣ ـ الحب العقلي ، وهو الحادث بين الكائنات العاقلة .

ويقول الدكتور (لودوج بختر) : « إن الألفة الكيميائية التي بين الدقائق والجواهر الفردة لهي مظهر آخر من مظاهر الحب »، ويدلل على هذا بقوله : « كما أن الرجل والمرأة يجذب أحدهما الآخر ، كذلك يجذب الأكسوجين الأدروجين فيؤلفان الماء باتحادهما بعامل الحب معاً ؛ وللبوتاسيوم والفوسفور غرام شديد بالأكسوجين حتى إنهما يحترقان تحت الماء ، أي أنهما يتحدان مع محبوبهما » (٣) .

وقد لا يخلو هذا الرأي من اعتراضات عليه نعرض لها في حينها ، كما سنعرض لعلاقة الحب بالفلسفة ، والتصوف ، والأخلاق ، والثقافة ، والفنون الجميلة ، والدين ، والآداب ، والجمال ؛ ثم أقسامه وأنواعه ، وشروطه بين المرأة والرجل ؛ ثم نتكلم عنه في الجماد والنبات والحيوان ، فإلى العدد القادم .

---

(١) عن كتاب: الحب بقلم (هنري فنك) .
(٢) يلاحظ أن الفلاسفة قديماً لم يكن معروفا في عهدهم تقسيم الذرة كتقسيمنا لها الان .
(٣) الكتاب المذكور .

محاكمة الحيوانات

فى القرون الوسطى

بقلم الاستاذ محمد بك فريد وجدى

لو كان للعجماوات ألسنة لعجت بالشكوى من الإنسان، ولسردت من سيرته فيها ما يندى له جبين إنسانيته خجلا ؛ فهو لا يكتفى بذبحها ليغتذى بلحومها ، ولكنه يعسف بها عسفاً ، فيقتل بعضها لاتخاذ أسنانه حُلياً ، ووبره دثاراً ، وجلده حقائب، وعظامه أمشاطاً، وريشه نمارق ؛ ويغرق فى تعسفه ، فيتخذ من تقتيلها لهواً ولعباً ، ولكنها محرومة من نعمة البيان فتتحمل جاهليته صاغرة، جاعلة قصارى وسائلها - فى توقى شره - الهرب من وجهه، وهيهات ! فان حيله العقلية تستخرجها من مخابئها ، وتستنزلها من معاقلها ، وتقتادها من مساربها ، فانحصر الأمل فى نجاتها من عدوانه فى تلطف شعوره ، وتهذب طبيعته ؛ وأكبر ما نالها من الحقوق الشرعية ما نصت عليه الديانة الاسلامية من : وجوب البر بهـا ، وعدم تعذيبها ، وتحريم صيدها لغير حاجة ملجئة ؛ وكان أجل وأكبر ما يؤثر عن مشترع من الاشادة بحقوقها قول النبى صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى وجوب العناية بصحتها ، وعدم إرهاقها فى الاعمال ، فكان ذلك أصلا لكل مايروى من ضروب العناية بها ، حتى لقد روى أن أحد أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - دخل عليه وهو يحمل هريرة رحمة بها ، فدعاه بأبى هريرة ، وغلب عليه هذا اللقب حتى نسى اسمه ، فلا يعرفه المسلمون إلا بهذه الكنية ، وهو من أكبر رواة الحديث فى العالم الإسلامى .

فلما جاءت المدنية الأوربية ، وتلطفت طباع الغربيين ، شعروا بوجوب الدعوة إلى الرفق بالحيوانات ، حتى أدخلوه فى تشريعهم وألفوا الجمعيات لذلك ، وزادوا فأسسوا المجلات لبث هذه الروح فى نفوس الناس .

وكان لعلمائهم ولع كبير باجراء تجارب تشريحية فى أجسادها، فكانوا يربطون الأرانب ، والكلاب والفيران وغيرها ، على ألواح من الخشب ليمنعوها الحركة ، ثم يعمدون إلى فتح صدورها لينظروا إلى حركات قلوبها ، أو يبقرون بطونها ليتأملوا فى أدوار الهضم لديها فى حالات معينة ، وتحت تأثير علاجات أو أدوية معينة، فحرمت عليهم الحكومات هذا الضرب من التعذيب العلمى .

وقد لفت نظرى واستدعى إعجابى حكم قضت به محكمة جنايات اسيوط ، وهو أول حكم صدرفى هذا ، فيما أعلم. ولعظم قيمته أنقله بنصه من جريدة « الأهرام » التى صدرت فى ٢٠ نوفمبر من هذه السنة ، وهو تحت عنوان (حبس المتهم ستة أشهر لقتل معزة) :

« اتهمت نيابة جرجا القرويين : السيد محمد أبا العلا ، وعبد المنعم سليمان، بأنهما تضاربا، فأحدث الأول بالثانى عاهة مستديمة ، هى فقد جزء من عظام أعلى الرأس مما يعرض حياته للخطر ، وقتل معزة مملوكة لداود سليمان ، وقد قضت محكمة جنايات أسيوط بسجن كل منهما ثلاث سنوات عن جناية الضرب ، وأضافت عقوبة الحبس لمدة ستة أشهر مع الشغل للمتهم الأول بالنسبة لقتل المعزة ، فطعن المحكوم عليهما فى هذا الحكم ، وقضت محكمة النقض برفض الطعن قائلة : يشترط للضرورة الملجئة لقتل الحيوان ، أن يكون الحيوان المقتول خطراً على نفس إنسان أو ماله ، وأن تكون قيمة ذلك الحيوان ليست شيئاً مذكوراً بجانب الضرر الذى حصل اتقاؤه بقتله ، وأن يكون الخطر الذى استوجب القتل حائقاً وقت القتل ، وما كان يمكن اتقاؤه بوسيلة أخرى ، وفى هذه الدعوة لم تتوافر شروط الضرورة الملجئة للقتل » انتهى .

لا شك فى أن المشترع المصرى عنى بالحكم تحريم قتل الحيوان باعتبار أنه عمل ينافى الرحمة ، وينكره الطبع السليم ، لا باعتبار أن الحيوان المقتول ملك للغير لا يجوز العدوان عليه ، وإلا لاكتفى بتغريمه ثمن المعزة ، ولم يوقع عليه هذه العقوبة البدنية ، وهذا فى نظرنا أمر يوجب الاعجاب ، ويفتح للمتفائلين فى الفلسفة باحة واسعة لما ينتظر أن تبلغه الانسانية من الرقى الروحانى على مدى الدهور ، ولا غرو ، فقد حرم كثير من الناس فى كل أدوار التاريخ على أنفسهم أكل اللحم لا لشىء غير كراهتهم أن يعذب حيوان بسببهم ، على حين أن فى المملكة النباتية ما يقوم بأودهم على أكمل الوجوه .

نقول هذا ولا نزال نرى أن للحيوانات حقوقاً علينا ضائعة، فإن الذين لا يفتأون يعملون الحمير ، والبغال، والخيول ، والجمال، والأبقار، والجواميس ... يكلفونها فوق طاقتها ، ولا يعطونها الغذاء الضرورى لاستعادة قوتها ، وليس لدينا جمعيات للرفق بالحيوان تعمل على تخفيف هذه الأعباء المضنية عن كاهل هذه العجماوات التى نستعين بها على تذليل عقبات أعمالنا أيما استعانة ، وهذه الكلاب والهررة، وهما النوعان الوحيدان من الحيوان اللذان آثرا — طوعاً — أن يعيشا فى جماعات الإنسان ، فانها تلقى من عنت الناس شر ما يلقاه مستجير من مجيره، ولا يلفت ذلك نظر الهداة والوعاظ فينبهون الناس إلى تداركه .

أما وقد ألممنا بشىء من سيرة الناس مع الحيوانات ، وما حدث من الرقى فى التشريع من ناحيتهم ، فنرى أن نتحف القراء بما كان عليه الناس فى عهد القرون الوسطى فى اتهام الحيوانات ومحاكمتهم أمام المحاكم وتنفيذ حكم القضاء فيهم فى احتفالات رهيبة ، مقتبسين

ذلك من كتاب « محاكمة الحيوانات أمام القضاء » ، تأليف المسيو (إدوارد روبرت)، قال « أكثر القضايا التى رفعت على الحيوانات كان موضوعها : الجراح التى يقترفها حيوان على إنسان ، سواء أأحدثت موت المجروح أم لم تحدثه »

« وكان أكثر الحيوانات تعرضاً للتهم بهذه الجريمة : الأبقار ، والثيران التى تستخدم قرونها استخداماً مميتاً ، والخيول والبغال التى تجرح أناساً من طريق الركل ،وكذلك الخنازير التى اعتادت أن تأكل صغار الأطفال »

« ومن الأسباب التى كانت تحمل الناس على رفع القضايا على العجماوات ، تعديها على قوانين الطبيعة فى نظرهم ، فكانت تتهم فى هذه الحال بجريمة السحر ، وهى جريمة يجب أن يعاقب مقترفوها عقاباً زاجراً ، وكان العقاب المتفق عليه على هذه الجريمة هو الإحراق بالنار » .

« وقد رفعت قضية فى مدينة (بال) من سويسرا سنة ١٤٧٩ على ديك اتهم بالسحر لأنه باض بيضة ، فقبض عليه ، وحوكم أمام القضاء وصدر الحكم عليه بالإحراق ، فنفذ فيه الحكم أمام الناس ».

قال المؤلف: «ومسألة بيضة الديك لا تزال شائعة إلى أيامنا هذه عند الفلاحين، ولكنهم لا يحرقون الآن الديكة المتهمة بذلك ، لأن الفلاحين صاروا الآن أشحة جامدين ، ولكنهم يعتقدون أن بيض الديك إنذار بحدوث فتن عظيمة من أنواع شتى » .

« والحقيقة ان بأنضة تلك البيضة التى تعزى للديك هى دجاجة صغيرة ، ولكن الديك يتحمل هذه التبعة ويستوجب عنها اللعن والاحتقار »

« وفى سنة ١٣٨٦ تجارت خنزيرة على تمزيق وجه ابن أحد أصحاب المصانع فى (فاليزويديه) فحوكمت هذه الخنزيرة أمام المحكمة ، وحكم عليها أن يفعل بها مثل ما فعلت بالغلام »

« وقد قاد الجلادون هذه الخنزيرة إلى ميدان التنفيذ لابسة (جاكيتة)، وحذاءً طويلا،وفى يدها قفازان ، وعلى وجها وجه من ورق لتكون كأنها إنسان »

« وكانت العقوبات العادية : القتل شنقاً أو إحراقاً » .

« وفى سنة ١٤٠٦ علق خنزير من ركبتيه فى وجهة من وجهات محكمة (فودروى) عقاباً له على قتله طفلا » .

« وكان السجانون يتقاضون عن الحيوانات المقبوض عليها ـ بسبب جناياتها ـ الأجرة التى يتقاضونها عن الناس كنفقات للغذاء »

« وقد كان الناس يحتفلون احتفالا كبيراً بتنفيذ العقوبات على الحيوانات » .

قال المؤلف نفسه : « حكى لى صديق من الأطباء ، قال : إن جدته حكت له أنها حضرت فى أواخر القرن الثامن عشر فى (اللورين) حفلة تنفيذ العقوبات على بعض السنانير ـ الهررة ـ فقالت : أتى الجلادون بقطع من الحطب ووضعوها وسط الميدان ، وأتوا بالس

المحكوم عليها... كل هرة فى قفص من حديد ، وكانت الجنايات التى اتهمت بها هذه السنانير مختلفة ، أهمها السحر »

« قالت : فلما حان وقت تنفيذ العقوبة ، جاء بعض القسوس يصحبهم بعض الحكام،فتقدم قس ،وفى كلتا يديه شعلتان من نار،فأضرم تلك الأكوام من الحطب،فاشتعلت وقذفت فيها تلك السنانير،فماتت احتراقاً على صورة فظيعة عقاباً لها على ممارستها السحر فى زعمهم إذ ذاك» .

محمد فريد وجدى

اقرأ فى العدد المقبل

التصوف فى الشرق والغرب

للأستاذ (أريرى) . تعريب السيد محمد الغنيمى التفتازانى

أدب الاستقالى

بحث ممتع للدكتور أحمد فريد رفاعى

مملكة الحيرة فى أيامها الاخيرة

بقلم الاستاذ يوسف بك غنيمة
وزير مالية العراق الأسبق

تمهيد ــ حكم اياس بن قبيصة الطائى ــ يوم ذى قار ــ ازاذبة ــ المنذر الخامس المغرور ابن النعمان أبو قابوس ــ الفتح الاسلامى ــ بقايا اللخميين وحكمهم في الاسلام .

١ : تمهيد

عالجت ــ فى مقال سبق نشر فى مجلة « المعرفة » الغراء [١] ــ تاريخ خمسة ملوك من اللخميين حكموا الحيرة ، وهم : عمرو بن عدى رأس السلالة اللخمية (٢٦٨ — ٢٨٨ م) ، وامرؤ القيس البدء بن عمرو بن عدى (٢٨٨ — ٣٢٨م) ، وعمرو الثانى بن امرىء القيس (٣٢٨ — ٣٧٧م) ، وأوس بن قلام الدخيل (٣٧٧ — ٣٨٢م) ، وامرؤ القيس الثانى بن عمرو الثانى (٣٨٢ — ٤٠٣م) . وبعد هؤلاء الملوك ساد المملكة خلفاؤهم ، وهم : النعمان الأول بن امرىء القيس الثانى المعروف بالنعمان الأكبر ، والسائح ، والأعور ، وابن الشقيقة (٤٠٣ — ٤٣١م) ؛ ثم المنذر الأول بن النعمان الأول (٤٣١ — ٤٧٣م) ، وعقبة الأسود بن المنذر الأول (٤٧٣ — ٤٩٣م) ، فالمنذر الثانى بن المنذر الأول (٤٩٣ — ٥٠٠م) ، ثم النعمان الثانى بن الأسود بن المنذر (٥٠٠ — ٥٠٤م) ، فأبو يعفر علقمة الدخيل (٥٠٤ — ٥٠٧م) ، فامرؤ القيس الثالث بن النعمان الثانى (٥٠٧ — ٥١٤ م) [٢] .

وحكم الحيرة بعد ذلك المنذر الثالث بن امرؤ القيس الثالث المعروف بالمنذر بن ماء السماء (٥١٤ — ٥٦٣) ، وتخلل حكمه استيلاء الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار [٣] .

وتوالى على الحيرة اولاد المنذر بن ماء السماء الثلاثة ، وهم : عمرو الثالث المعروف بعمر ابن هند ، ومضرط الحجارة (٥٦٣ — ٥٧٨م) ، وقابوس المعروف بفتنة العروس (٥٧٨ — ٥٨١م) ، واندس هنا دخيل ، وهو فيشهرت أو زيد (٥٨١ — ٥٨٢م) ، ثم جاء آخر أولاد المنذر

---

(١) فى عددى : أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٣٢ من « المعرفة » الغراء (٢) نشرت تاريخ ملوك الحيرة من النعمان الأكبر حتى امرىء القيس الثالث (٤٠٣ — ٥١٤م) فى مجلة « المشرق » الزاهرة ديسمبر سنة ١٩٣٢ وما بعده (٣) ونشرت تاريخ المنذر بن ماء السماء فى مجلة « المقتطف » الغراء ديسمبر سنة ١٩٣٢ .

الثالث ، وهو المنذر الرابع الملقب الأسود الثانى (٥٨٢ — ٥٨٥م) [١] .

وعقبه النعمان الثالث أبو قابوس قتيل كسرى أبرويز (٥٨٥ — ٦٠٧م)[٢] ، وبعد قتله هرب أولاده من الحيرة، وولى كسرى على حكمها الولاة من العرب والفرس ، حتى كان الفتح الاسلامى ، فدالت دولة الحيرة ، وتبددت بقايا اللخميين فى الأقطار ، وكان منهم حكام فى الاسلام كما سنرى .

فوددت أن أنشر القسم الأخير من تاريخ المناذرة فى مجلة « المعرفة » الغراء ، كما نشرت بدء تاريخهم فيها ، وألمعت فى هـذا التمهيد إلى سنى حكم كل من الملوك الذين سادوا هذه المملكة العربية الشهيرة فى الجاهلية .

٢ : اياس بن قبيصة الطائى

٦٠٧ — ٦١٧ م [٣]

بعد قتل النعمان بن المنذر هرب أولاده من الحيرة وظعنوا إلى بلاد أخرى حذراً من بطش كسرى أبرويز،فولى كسرى على الحيرة إياس بن قبيصة الطائى،ولم تكن هذه ولايته الأولى عليها ، بل رأيناه وقد عهدت إليه قبل ذلك فى فترة من ملوكها المناذرة بين موت المنذر وحكم ابنه النعمان أبى قابوس[٤]،وإياس هذا ، هو ابن قبيصة بن أبى عفراء بن النعمان بن حية بن سعبة بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سفر بن هنىء بن عمرو بن الغوث بن طيىء ، وهو ابن أخى حنظلة بن أبى عفراء الذى بسببه تنصر المنذر صاحب الغريين[٥] .

وكان إياس من أشراف طيىء وفصحائها المشهورين ، وله منزلة عظيمة عند كسرى أبرويز لما سبق له من الخدمات الجليلة والبلاء الحسن فى الدفاع عنه:أولها فى موقعة بهرام جوبن ، إذ أهدى كسرى فرساً وجزوراً لما مر عليه[٦]؛ وذكر سايكس [٧] أن كسرى أبرويز هرب،وكان

---

(١) نشرت هـذا القسم من تاريخ المناذرة فى مجلة « الإخاء » المصرية الوضاء : ديسمبر سنة ١٩٣٢ (٢) نشرت تاريخه فى مجلة « المجمع العلمى العربى » الزاهرة (٣) جعل برسفال حكم إياس من ٦٠٥ — ٦١٤، وتابعه فى ذلك بعض المعاصرين، وجعله غيرهم من ٦١٣ — ٦١٨؛ وقال حمزة الأصفهانى :لسنة وستة أشهر من ملك إياس بعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك لست عشرة سنة مضت من ملك أبرويز ؛ ومحمد بن حبيب يقول : مضت لعشرين سنة من ملكه ، فاخترنا نحن هذا التاريخ الوسط ونظنه صحيحاً أو أقرب إلى الصحة (٤) الأغانى ٢ : ٢١ (٥) شعراء النصرانية ١٣٥ (٦) الطبرى ٢ : ١٥٢ ، وجاء فى الشاهنامة ٢ : ٢٠٥ من الترجمة العربية : قيس بن حارث بدلا من إياس بن قبيصة .

دليله رئيساً عربياً اسمه إياس حتى بلغ قرقيسيا فالتجأ إلى الروم ؛ وذكر ابن الأثير (١) أن إياساً أهدى هدية إلى كسرى لما اجتاز به سائراً إلى ملك الروم ؛ وذكر ياقوت (٢) أن الروم تجاوزوا تخوم بلاد فارس فى حرب بين هاتين الدولتين ، فبعث كسرى إياساً لقتالهم بـ «ساتيدما» ـ وهو جبل بين ميافارقين وسعرت بديار بكر (آمد) ـ ، فأدركهم إياس بمكان يعرف بدرب الكلاب ، سمى بذلك لأن قيصر انهزم من جيش كسرى بحيلة عملها عليه ، فاتبعه إياس فأدركهم بساتيدما مرعوبين مغلولين من غير قتال ، فقتلوا قتل الكلاب ، ونجا قيصر فى خواص من أصحابه ، فعاد كسرى ظافراً وقدم كسرى إياساً ، وكانت هذه الحرب بعد موت الامبراطور موريقا بين سنة ٦٠٣ و ٦٠٧ (٣) ، ومكافأة لهذه الأعمال أقام كسرى أبرويز إياساً عامله على عين التمر وما والاها إلى الحيرة وأطعمه ثلاثين قرية على شاطىء الفرات (٤) ، ولم تكن منزلة إياس عند كسرى فقط كبيرة بل فى مملكة المناذرة أيضاً ، وكانت له الكلمة الراجحة فى قصرهم وانتصر لحاتم الطائى عند النعمان بن المنذر (٥) .

ومع ثقة كسرى أبرويز بإياس فإنه لم يوله وحده على الحيرة بعد قتل النعمان بن المنذر ، بل جعل إلى جانبه رجلا فارسياً سماه المؤرخون الهمرجان (٦) أو البحرجان (٧) أو النخرخان (٨) ، ومهما كان الأمر فقد ارتكب الفرس شططاً بتقويض ولاية اللخميين على الحيرة بعد النعمان (٩) .

٣ - يوم ذى قار

أمر كسرى إياساً أن يضم ما كان للنعمان أبى قابوس ويبعثه إليه ، فبعث إياس إلى هانىء أن أرسل إلى ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها ، فأبى هانىء أن يسلم خفارته ؛ قال : فلما منعها هانىء غضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل وعنده يومئذ النعمان بن زرعة التغلبى ـ وهو يحب هلاك بكر بن وائل ـ فقال لكسرى : ياخير الملوك ! أدلك على غرة بكر ، قال : نعم قال : أمهلها حتى تقيظ فإنهم لو قاظوا تساقطوا كالفراش فى النار فأخذتهم كيف شئت وأنا أكفيكهم . فأقرهم حتى إذا قاظوا جاءت بكر بن وائل فنزلت الحنو ـ حنو ذى قار ـ وهى من ذى قار بليلة ، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال :

---

(١) الكامل ١ : ١٩٩ (٢) معجم البلدان : المادتان «ساتيدما» و « درب الكلاب » . راجع أيضاً شعراء النصرانية ١٣٥ (٣) سايكس : تاريخ فارس ١ : ٥٢١ (٤) الأغانى ٢٠ : ١٣٤ (٥) الأغانى ١٦ : ٩٦ (٦) شعراء النصرانية : ١٣٧ (٧) حمزة الأصفهانى : ٧٤ (٨) ابن الأثير ١ : ٢٠٠ (٩) الأب لامنس : المعلمة الاسلامية .

إما ان تعطوا بأيديكم فيحكم الملك بما شاء، وإما أن تعروا الديار، وإما أن تأذنوا بحرب، فآذنوا الملك بالحرب، فأرسل كسرى إياس بن قبيصة الطائى أمير الجيش ومعه مرازبة الفرس، والهامرز النسوى، وغيره من العرب: تغلب، وإياد، وقيس بن مسعود بن قيس بن ذى الجدين وأرسل الفيول. فقسم هانىء بن مسعود دروع النعمان وسلاحه، فلما دنت الفرس من بنى شيبان قال هانىء بن مسعود: يامعشر بكر لا طاقة لكم فى قتال كسرى فاركنوا إلى الفلاة، فسارع الناس إلى ذلك، فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلى، وقال: ياهانىء أردت نجاءنا فألقيتنا فى الهلكة، فرد الناس وقطع وضن الهوادج، وضرب على نفسه قبة وأقسم ألا يفر حتى تفر القبة، فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر، فأتتهم العجم فقاتلتهم بالجنود فانهزمت العجم خوف العطش إلى الجبابات، فتبعتهم بكر وعجل، وأبلت يومئذ بلاء حسناً. فاصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس: هلكت عجل، ثم حملت بكر فوجدت عجلا تحارب فقاتلوهم ذلك اليوم، ومالت العجم إلى بطحاء ذى قار هرباً من العطش، فأرسلت إياد إلى بكر وكانوا مع الفرس، وقالوا لهم: إن شئتم هربنا الليلة، وإن شئتم أقمنا ونفر حين تلاقون الناس، فقالوا: بل تقيمون وتنهزمون إذا التقينا، وقال زيد بن حسان السكونى ـ وكان حليفاً لبنى شيبان ـ: أطيعونى واكمنوا لهم ففعلوا ثم تقاتلوا، وحرض بعضهم بعضاً فقطع سبعمائة من بنى شيبان أيدى أقبيتهم من مناكبهم لتخف أيديهم لضرب السيوف فجالدوهم وبارز الهامرز، فبرز إليه برد من حارثة اليشكرى فقتله برد ثم حملت ميسرة بكر وميمنتها، وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم إياس بن قبيصة الطائى، وولت إياد منهزمة كما وعدتهم فانهزمت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت إلى سلب وغنيمة، وأسر النعمان بن زرعة التغلبى ونجا إياس ابن قبيصة على فرسه فكان أول من انصرف إلى كسرى بالهزيمة.

وكان كسرى لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفه، فلما أتاه ابن قبيصة سأله عن الجيش فقال: هزمنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم فعجب بذلك كسرى، وامر له بكسوة، ثم استأذنه إياس فقال: إن أخى قيساً مريض بعين التمر أريد زيارته فأذن له، ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة ـ وهو بالخورنق ـ فسأل: هل دخل أحد؟ فقالوا إياس، فظن أنه حدثه الخبر فدخل عليه وأخبره بهزيمة القوم وقتلهم فأمر به ونزعت كتفاه.

عرف العرب هذه الموقعة بـ «يوم ذى قار»، وكان لانتصار العرب على العجم فى هذا اليوم رنة سرور ومجلبة مفخرة وحبور عند العرب فى أقطار المسكونة، وخلد ذكره عند القوم على توالى القرون، وتعاقب الأجيال، فنقل عن النبى (صلعم) انه قال لما بلغه خبر

هذا الانتصار: « هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى انتصروا[١] »، ومما لاريب فيه أن اندحار الفرس فى هذه المعركة سهل سبل الفتح على المجاهدين فى الاسلام[٢].

وذكر أبو الريحان البيرونى[٣] أن العذارى النصرانيات من العرب صمن شكراً لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذى قار فنصروا عليهم، وقال: إن صوم العذارى نشأ من هناك، وهو يقع يوم الاثنين بعد عيد الذبح ويدوم ثلاثة أيام[٤].

وأكثر الشعراء من التغنى بهذا الانتصار القومى بقصائدهم الرنانة وأشعارهم، كما أنهم سلقوا ـ بألسنة حداد ـ إياس بن قبيصة لاتفاقه والفرس على بنى قومه.

ومن ذلك قول أبى تمام يمدح أبا دلف العجلى[٥]:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها   وزادت على ما وطّدت من مناقب
فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم   عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

ومن قوله يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى[٦]:

أولاك بنو الأحساب لولا فعالهم   دَرَجْنَ فلم يوجد لمكرمة عقب
لهم يوم ذى قار مضى وهو مفردٌ   وحيدٌ من الأشباه ليس له صحب
به علمت صُهْبُ الأعاجم أنه   به أعربت عن ذات أنفسها العُرب
هو المشهد الفرد[٧] الذى ما نجا به   لكسرى بن كسرى لا سنام ولا صلب

وقال جرير يذكر ذا قار[٨]:

فلما التقى الحيّان ألقيَت العصا   ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
أبيتُ بذى قارَ أقول لصحبتى   لعل لهذا الليل نحباً نطاوله
فهيهات هيهات العقيق ومن به   وهيهات خلٌّ بالعقيق نواصله
عشيةَ بعنا الحِلمَ بالجهل وانتحت   بنا أريحياتُ الصبا ومجاهله

(١) راجع عن يوم ذى قار: الطبرى ٢ : ١٥٢، والكامل لابن الأثير ١ : ١٩٦، والعقد الفريد ٣ : ٣٧٤، والأغانى ٢٠ : ١٣٤، وأبا الفداء ١ : ٧٢، والعمدة لابن رشيق ٢ : ١٦٩، ومعجم البلدان مادة «قار»، وغير ذلك (٢) سايكس: تاريخ فارس ١ : ٥٢١ (٣) الآثار الباقية: ٣١٤ (٤) نسب ياقوت فى معجمه فى المادة « دير العذارى » منشأ هذا الصوم إلى غير ذلك. (٥) ديوان طبعة محمد جمال ص ٤٢ (٦) ديوان أبى تمام الطائى ص ٣١-٣٢ (٧) ويروى هو المشهد الفصل (٨) معجم البلدان: المادة «قار».

[البقية على الصفحة رقم ٩٢١]

٤ – المعانى الافلاطونية عند المعتزلة*

للاستاذ محمود الخضيرى

عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس

الخصائص المذهبية

ح — الوعد والوعيد

تتصل مسألة الوعد والوعيد أو الجزاء والعقاب فى الحياة الآخرة [١] ، بمسألة حرية الإرادة الانسانية، وذلك لأن أهل السنة ذهبوا إلى أن « الوعد والوعيد كلامه [= الله] الأزلى وعد على ما أمر وأوعد على ما نهى ؛ فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده ، وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده ، فلا يجب عليه شىء من قضية العقل ؛ وقال أهل العدل [= المعتزلة] : لا كلام فى الأزل ، وإنما أمر ونهى ووعد ، وأوعد بكلام محدث ، فمن نجا فبفعله استحق الثواب ، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب ؛ والعقل من حيث الحكمة يقتضى ذلك » [٢] .

ويطبق المعتزلة مذهبهم العقلى فى الأخلاق عند نظرهم فى طبيعة الخير والشر، الذى يتوقف على عملهما الجزاء أو العقاب ؛ وذلك لأن أهل السنة كانوا يميزون بين أصلين للعمل الخلقى وهما : السمع والعقل ؛ فقالوا : « الواجبات كلها بالسمع ، والمعارف كلها بالعقل ، فالعقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا يقتضى ولا يوجب ، والسمع لا يعرف ، أى لا يوجد المعرفة ، بل يوجب ؛ وقال أهل العدل [= المعتزلة] : المعارف كلها معقولة بالعقل ، واجبة بنظر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح » [٣] .

---

* راجع « المعرفة » : أعداد أغسطس وأكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٣٢ .

(١) ذكر الشهرستانى تعريف المعتزلة لمبدأ الوعد والوعيد فى العبارة التالية : « واتفقوا على أن المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض . . . . واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود فى النار ، ولكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار ، وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً » الملل والنحل ، طبعة القاهرة ١٣٤٧ هـ ، ج ١ ص ٥٢. انظر الفقرة التالية من هذا الفصل .

(٢) الكتاب المذكور ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٣) الكتاب المذكور ، ج ١ ، ص ٤٩ — ٥٠. والحسن القبيح فى علم الكلام يعبران عن الخير والشر .

وقد كان المعتزلة يفرقون بين الخير فى ذاته والشر فى ذاته من جهة، والخير والشر بالأمر، أو النهى من جهة أخرى. قال النظام - (٢٤٠ هـ ٨٥٤ م) الذى سنفرد له أكبر قسم من هذا البحث - : « كل معصية كان يجوز أن يأمر الله سبحانه بها فهى قبيحة للنهى، وكل معصية كان لا يجوز أن يبيحها الله سبحانه فهى قبيحة لنفسها، كالجهل به، والاعتقاد بخلافه، وكذلك كل ما جاز أن لا يأمر الله سبحانه فهو حسن للأمر به، وكل ما لم يجز إلا أن يأمر به فهو حسن لنفسه » (١).

ء — المنزلة بين المنزلتين

والآن نصل إلى الأصل الرابع، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين، والذى سبق لنا أن تكلمنا عنه، أى أن مرتكب الكبيرة : لا مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق، ولكنه فى منزلة بين المنزلتين (٢).

والإيمان عند واصل بن عطاء -(١٠٣هـ ٧٢١ م) الذى أحدث هذا القول- هو : «عبارة عن خصال خير، إذا اجتمعت سمى المرء مؤمناً» ؛ ولكن لما كان الفاسق لم يستجمع كل خصال الخير، التى هى الشرط الذى لا قيام للإيمان إلا به، فهو لا يسمى مؤمناً، ولكنه فى الوقت نفسه لا يسمى كافراً، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير لم تذهب عنه، بل هى موجودة فيه ؛ ولكن إذا مات عن كبيرة ارتكبها من غير توبة فمصيره إلى النار، إذ لا يوجد فى الآخرة إلا فريق فى الجنة، وفريق فى النار، وهو أيضاً خالد فى العذاب، ولكن عذابه أقل من عذاب الكفار (٣).

والإيمان عند أصحاب العلاف (٢٣٥ هـ ٨٤٩ م) : هو جميع الطاعات فرضها ونفلها، ولكن الكفر عندهم لا يكون إلا بارتكاب نوع محدود من الكبائر خاصة بتصور الله، مثل تشبيه الله بالخلق، أو نسبة الظلم إليه، أو القول بأنه خلق الظلم، أو نسبة الصفات الجسمية إليه؛ أما العلاف نفسه فقد قال : « إن الإيمان كله إيمان بالله : منه ما تركه كفر، ومنه ما تركه فسق ليس بكفر، كالصلاة وصيام شهر رمضان، ومنه ما تركه صغير ليس بفسق ولا كفر، ومنه ما تركه ليس بكفر ولا بعصيان كالنوافل » (٤).

ويذهب النظام (٢٤٠ هـ ٨٥٤م) إلى أن الإيمان، هو اجتناب الكبائر وتعريف الكبائر

(١) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ، جـ ٢ ، ص ٣٥٦ .
(٢) « المعرفة » ، عدد أكتوبر سنة ١٩٣٢ ص ٧٠٤ .
(٣) الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ ١ ص ٥٥ — ٥٦ .
(٤) الاشعرى : المقالات ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

عنده « ما جاء فيه الوعيد » ، على أنه يضيف إلى هذا قوله : « وقد يجوز أن يكون فيما لم يجئ فيه الوعيد كبير عند الله، ويجوز أن لا يكون فيه كبير ، وإن لم يكن فيه كبير ، فالإيمان اجتناب ما فيه الوعيد عندنا وعند الله سبحانه، وإن كان فيما لم يجئ فيه الوعيد كبير، فالتسمية له بالإيمان وبأنه مؤمن يلزم باجتناب ما فيه الوعيد عندنا ، فأما عند الله سبحانه فاجتناب كل كبير » [١] . وأما الجُبَّائى (٣٠٣ هـ ٩١٥ م) فانه قال : إن الكبيرة لا تجعل المرء غير مؤمن ، وإنما تجعله فاسقاً فقط ، وذلك لأن « الايمان لله ، هو جميع ما افترضه الله سبحانه على عباده ، وأن النوافل ليست بايمان، وأن كل خصلة من الخصال التى افترضها الله سبحانه ، فهى بعض إيمان لله ، وهى أيضاً إيمان بالله الخ ... [٢] » .

وبالجملة فان المعتزلة يقسمون المعاصى إلى قسمين : الكبائر والصغائر، ثم إن الكبائر تنقسم إلى نوعين : النوع الأول ، هو ما يجعل العاصى غير مؤمن ، والنوع الثانى هو ما لا يتكون منه عدم الايمان ، ثم إن المرء يصبح غير مؤمن إذا ارتكب واحداً من الأفعال التالية : تشبيه الله بالخلق ـ أى نسبة الصور الانسانية لله ـ ، ثم القول بأن الله ظالم فى بعض أفعاله أو أحكامه ، وعدم التصديق لكلامه، وأخيراً عدم الأخذ بما أجمع عليه المسلمون تبعاً للنبى . ثم إن أكثر الأعمال إيجاباً للكفر عند المعتزلة، هو الاعتقاد بأن الله جسم مركب محدود ، وإلى هذا يذهب أيضاً أصحاب العلاف الذين يضيفون إلى أفعال الكفر أنواعاً اخرى أهمها القول بامكان رؤية الله فى المكان ، أو الاعتقاد بأن الله خلق الظلم [٣] .

ومن المعتزلة من يقول: إن كل ما نص عليه الوعيد ـ أى كل النواهى الالهية ـ هو من الكبائر ، وكل ما لم يجئ به الوعيد ، فهو من الصغائر ، وآخرون يذهبون إلى أن كل ما عينه الوعيد أو يبدو قبيحاً للعقل فهو كبيرة ؛ وأما ما لم ينص عليه الوعيد ، أو ما يشبهه ، فهو إما كبيرة كله ، أو بعضه كبيرة وبعضه صغيرة [٤] .

هـ ـ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

أما أصل المعتزلة الخامس ، فهو أقل الأصول اتصالا بالفلسفة ، ولا يفرد الأشعرى لشرحه أكثر من سطرين ، ويقضى هذا المبدأ بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بقدر

---

(١) الكتاب المذكور : جـ ١ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .
(٢) « « ، جـ ١ ص ٢٦٩ .
(٣) « « ، جـ ١ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .
(٤) « « ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

المستطاع: باللسان واليد والسيف [1] . ويشتمل هذا المبدأ - فى الواقع - على بعض غايات البعثة الاسلامية ، أى الجهاد فى سبيل الله، لكى تسود فى كل مكان شريعته وإرادته .

وبذلك نختم تلك الصفحات التى ما أُردنا بها إلا مقدمات لدرس ناحية سامية من نواحى الفكر الاسلامى تعبر لنا عن اتجاه إنسانى ، هو أجمل ما تستطيع الانسانية ان تتجه إليه ، أعنى النظر فى كل القيم العليا الخاصة بمجتمع معين، بمقاييس عقلية خالصة تستطيع كل المجتمعات - رغم اختلاف قيمها العليا الخاصة بها - أن تستعين بها. وبهذا وحده تزول الفوارق التى لا مبرر لها إلا اختلاف التجارب التاريخية ، وتمسك ساذج يصدر عن ضعف فى الطبيعة الانسانية بالتقاليد الماضية ، جرياً وراء سراب جذاب من الشخصية . ونرجو - إذا كان فى «المعرفة» الغراء سعة لموضوعنا ، أن نتمكن من موافاة القراء - الذين يهتمون بالمسائل الفلسفية - ببحثنا عن المعانى الأفلاطونية عند المعتزلة . ؟

محمود محمد الخضيرى

(١) الكتاب المذكور، ج ١ ص ٢٧٨ .

مملكة الحيرة فى أيامها الاخيرة

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٩١٧]

وقد اختلف المؤرخون كل اختلاف فى تاريخ هذه المعركة ؛ فمنهم من جعلها فى سنة واقعة بدر الكبرى (سنة ٢ هجرية ٦٢٤م)، ومنهم من جعلها فى السنة الأولى من البعثة الموافقة لسنة ٦١٠ م، ومنهم من جعلها بين سنة ٦١٣ وسنة ٦١٨م؛ أما (نلدكه) الألمانى فيذهب إلى أنها كانت بين ٦٠٤ و ٦١٠، والمؤلف (ميور) يقول فى سنة ٦١١ [1] .

وكانت هذه الحرب - على أكثر الترجيح - فى السنة الأولى من تولى إياس أمر الحيرة بعد موت النعمان بن المنذر ؛ ولكن تاريخ هذه الولاية مختلف فيه كما سبق لنا ذكره قبيل هذا ، وعلى كل ، فان إياساً عزل من ولاية الحيرة وتولاها بعده رجل فارسى ، وبقى إياس حياً ، وحارب جيش المسلمين الفاتحين كما سنرى . ؟

يوسف غنيمة

(١) سايكس : تاريخ فارس ١ : ٥٢١ .

ذكريات من ايطاليا

بقلم الأستاذ زكى محمد حسن
عضو بعثة الآثار الاسلامية بالسربون بباريس

سيرا كيوز — نابلى — بركان فيزوف — پومبى — روما

فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت ، أخذت السفينة تمخر بنا عباب البحر عائدة إلى أوربا ، وأخذ شاطىء الاسكندرية يغيب عن أنظارنا شيئاً فشيئاً إلى أن تلاشى، وأصبحنا بين زرقتين : زرقة الماء، وزرقة السماء .

خمسون يوماً من عطلتى الصيفية قضيتها فى مصر ، رأيت تطوراً فى الحياة الاجتماعية ، لست أدرى ما مداه : رأيت فى البعض ميلا للتفرنج ونبذاً للتقاليد ، وفى آخرين تهوراً فى ذلك ومبالغة فيه ؛ ورأيت فريقاً يرقب الحوادث عن كثب ، وليس يدرى أى الطريقين يسلك ، ولا أى الخطتين يتبع .

ولن أعرض اليوم لهذا التطور ، ولكنى أود لو تنبه القوم إلى أن تقليد الغرب — دون تبصر أو روية — سوف يكون وخيم العاقبة ، وسوف يؤدى بنا إلى انهدام الأسرة والزواج كأسين من أسس الحياة الاجتماعية فى مصر ؛ وفى المشاهدة أكبر دليل ، ففى بلد دينها المسيحية كانجلترا تدل الاحصائيات الرسمية قبل الحرب على وجود نحو ٦٠٠ قضية طلاق فى العام ، بينما بلغ هذا العدد فى العام الماضى نحو ٤٠٠٠، ذلك عدا نحو ٢٠٠٠٠ قضية يمنح فيها الزوجان حق الانفصال .

وقصارى القول أن الحرية الكبيرة والامتيازات الجمة التى حصل عليها نساء الغرب — بعد الحرب الكبرى — تجعله يئن الان تحت عبء داء اجتماعى كبير ، وتهدد بالقضاء على الزواج كنظام اجتماعى محترم؛ ونظرة واحدة إلى عامة الشعب وطبقاته الوسطى فى فرنسا، وانجلترا ، وألمانيا ، تؤيد قولنا كل التأييد.

ظلت السفينة تسير بنا فى بحر هادىء ، ومضى الوقت سراعاً إلى أن كان ظهر يوم الاثنين حين لاحت لنا فى الأفق جزيرة صقلية، ولم يمض وقت طويل حتى وقفت بنا الباخرة (اسبيريا) على مقربة من (سيرا كيوز) ثغرها الشرقى الذى يرجع تأسيسه إلى عام ٧٣٥ قبل المسيح؛ والذى شتهر فى الحروب البونية ، بين روما وقرطاجنة فى القرن الثالث قبل الميلاد ، حين انتهى

الأمر به إلى الخضوع لروما بعد دفاع باسل كان من ابطاله (أرشميدس) صاحب النظرية المعروفة فى علم الطبيعة ، والذى يدعون أنه توصل بواسطة مزايا تعكس ضوء الشمس وتركزه إلى أن يحرق سفن العدو على بعد .

و (سيرا كيوز) شهيرة بآثارها القديمة وأنقاضها اليونانية ، ومن ثم تقف الباخرة فى (مينائها) ساعتين ، يتاح فيهما لمن يريد من الركاب أن يستمتع برؤية هذه الآثار ، ولما كانت الباخرة كبيرة، فإنها تضطر إلى أن ترسو فى عرض البحر على أن يأتيها زورق بخارى ينقل هؤلاء الركاب إلى الشاطىء ، ثم يعيدهم إلى الباخرة بأجرة قدرها نحو ١٣ قرشاً للراكب الواحد .

وما وطأت أقدامنا أرض (سيرا كيوز) حتى أحاط بنا جمع من التراجمة والأدلاء ، ولم يكن هذا أول عهدى بهم ، فقد عرفتهم قبل ذلك فى (البندقية) ، ثم أخيراً فى (نابلى) و (روما) ، وهم فى (إيطاليا) كلها طائفة يجب على الأجنبى أن يكون على حذر منها ، فان شعارها : الالحاح ، والخديعة ، والطمع .

بدأ كل منهم يقتنص فريسته ، ولكنى رأيت عن كثب صفاً من عربات الخيل كثيرة الشبه بأمثالها فى الاسكندرية ، غير أنها تمتاز كغيرها من العربات فى إيطاليا (بعدادات) تحدد الأجرة على نحو ما فى السيارات بالبلاد الأخرى ، ولما كنت لا أثق كثيراً بما يقوله أمثال هؤلاء التراجمة ، فقد رأيت أن أعتمد على القليل الذى أعرفه من اللغة الايطالية، وعلى الدليل الانجليزى الذى أحمله ، فركبت إحدى هذه العربات ، وطلبت إلى السائق أن يسير بى إلى متحف المدينة ، ثم إلى مناطقها الأثرية .

وانطلقت العربة تسير بنا فى شوارع مدينة كثيرة الشبه بمدن الشرق : شمسها مشرقة ، وشوارعها مرصوفة بالأحجار ، أهلها سمر البشرة ، وليس فيها من الجمال والروعة ما يشعرك بأنها جزء من أوربا ، ولا سيما إذا لا حظت سطوح بيوتها المستوية ، وسكانها البسطاء ، وعرباتها (الكارو) وغير ذلك ، وانتهى بنا المطاف إلى دار الآثار فأعجبت بما تحويه من تحف أثرية ، ثم واصلنا السير إلى ضواحى المدينة،حيث المنطقة الأثرية وفيها أنقاض المدينة القديمة ، وأهمها مسرح كبير محفور منذ عهد الرومان فى الصخور أهليلجى الشكل ، يبلغ قطره نحو ١٤٠ متراً ، ثم مسرح (إغريقى) وعدد من محاجر صخرية شاهقة إلى جانبها حديقة غناء وكهوف كبيرة ، أحدها مشهور بتركيبه العجيب الذى يسبب صدى لما يصدر فيه من كلام أو أصوات ، حتى لقد يجمع الحارس فريقاً من السياح ، ثم يبدأ فى الكلام ، وما هى إلا بضع ثوان بعد كل كلمة أو حركة من السياح أو من الحارس حتى يسمع صداها واضحاً جلياً .

ثم انتهت بنا الزيارة إلى الدهاليز المشهورة فى باطن الأرض (Catacombes)، وهناك مثلها فى (نابلى) و(روما) و(باريس)، لم تكن فى أول الأمر إلا محاجر مهجورة، ولكنها خصصت بعد ذلك لدفن الموتى، وكان المسيحيون يأوون إليها فى عصور الاضطهاد الأولى ويستطيعون فيها القيام بطقوسهم الجنائزية ودفن موتاهم بدلا من حرقهم، كما كان الحال عند الوثنيين.

وأخيراً عدت إلى الباخرة، وأقلعت بنا ميممة شطر (نابلى) حيث نهاية رحلتى فيها؛ ولما كنت أحرص على أن أرى (نابلى) تظهر فى الأفق، وأن أرقب دخول الباخرة (ميناءها) فقد بكرت فى الساعة السادسة من صباح الثلاثاء فى الصعود على ظهر الباخرة، وكان منظر المرتفعات يتوجها بركان (فيزوف) ومنظر (نابلى) على سفح هذه المرتفعات بمنازلها طبقة فوق أخرى على شكل مدرج، بعضها فى مستوى أبنية الميناء، وبعضها معلق فوق المرتفعات يطل أصحابه على باقى المدينة، وعلى البحر الأبيض .... أقول كان كل ذلك وغيره مما يضيق المجال عن وصفه مصدقاً لما فى اللغات الأوربية من أمثال معناها «إن مت قبل أن ترى (نابلى) فقد فاتك كل شىء»، وفى المثل الانجليزى See Naples and die .

وفى الساعة السابعة رست الباخرة فى ميناء (نابلى)، فتركتها إلى الجمرك، ولم تمض ساعة من الوقت حتى كنت فى غرفتى بأحد الفنادق أعد العدة لزيارة المدينة، ولم أكن أدرى بأى الأشياء أبدأ، فرأيت أن أركب عربة طافت بى أهم شوارع المدينة، وكانت تسير أحياناً سيراً حلزونياً، لا ألبث معه أن أرانى فى طريق عال يطل على آخر أقل منه علواً، وهكذا حتى سطح البحر، ولم يكن يسعنى حينذلك إلا أن أترك العربة بين حين وآخر برهة من الزمن لأمتع فيها الطرف بمنظر خليج (نابلى) وطرقاتها، وحدائقها، وميادينها العديدة، ونافوراتها الجميلة.

وفى (نابلى) كما فى (روما) تتمثل الحياة الايطالية بأجلى معانيها: مرح الأهالى وخفة روحهم، ونهضة جديدة يريد بها هذا الشعب أن يقتعد مكانه بين أمم أوربا الكبيرة، ولكنك إن دققت النظر، فلا بد قانع بأنك لا زلت قريباً من الشرق تشاهد كثيراً من عاداته؛ وقد يتاح لك أن ترى أناساً حفاة الأقدام لباسهم رثة وعلى وجوههم سيماء البؤس، وإن كانوا لا يشعرون؛ ولست أنسى أنى أقمت فى (لندن) وفى غيرها من مدن (انجلترا) مدة طويلة، ولا أذكر أن نظرى وقع فيها على صبى حافى القدمين.

ولفت نظرى فى (نابولى) وفى (روما) بعد ذلك، نظام فى عربات الترام (والأتوبيس)، هو ان لها بابين: أحدهما لدخول الركاب والآخر لنزولهم؛ ومهما يكن من شىء فوسائل الراحة فيها ليست موفورة، والمقاعد - على نحو ما فى باريس - أكثرها خشبى غير مريح تجعلنا نحسد

أهل لندن على عرباتهم ذات المقاعد الوثيرة والدرجة الواحدة .

زرت بعد ذلك متحف (نابلى) ، فوجدته غنياً بعادياته وأكثرها مما اكتشف فى حفريات (پومبيى Pompéi) ، وفى اليوم التالى كان طوافى بأكثر الآثار المشهورة والكنائس القديمة مما لا يتسع المجال لوصفه أو الاحاطة بجماله .

أما اليوم الثالث فقد خصصته لزيارة بركان (فيزوف) وأطلال (پومبيى) ، ومن ثم بكرت إلى المحطة لأستقل قطاراً يسير فى ضواحي (نابلى) - على نحو خطى المطرية وحلوان فى القاهرة - ولكن جيوش التراجمة والأدلاء أحاطت بى إحاطة السوار بالمعصم : هذا يكلمنى بالايطالية ، وذاك بالانجليزية ، وغيرهما بالفرنسية ، ورابع يمنينى بالوعود ، وآخر يريد إطلاعى على ما يحمله من خطابات الشكر وبطاقات المديح .

ولم أستطع النجاة من إلحاحهم إلا حين أفهمتهم أنى أدرس الآثار ، وأنى على استعداد لأن أشرح أطلال المدينة لمن يريد منهم ذلك - وهكذا ركبت القطار إلى (پومبيى) بعد أن اشتريت ايضاً تذكرة تصدرها شركة (كوك) لزيارة قمة بركان (فيزوف) - وسار القطار بنا فى ضواحى (نابلى) وإلى يميننا البحر الأبيض ، وعن يسارنا المرتفعات البركانيـة ، وعلى سفوحها مزارع الكروم .

ووصلنا (پومبيى) بعد ساعة وبضع دقائق ، وتبعت غيرى من السواح إلى عامل يقيد أسماءنا ويفحص جوازات السفر ، ومن ثم يتقدم كل منا للسير بين أطلال المدينة ، والذى يلاحظه السائح : أن الحكومة الايطالية تبذل جهدها فى جذبه إلى بلادها وتغريه بالتسهيلات المختلفة ، فهى لا تتقاضى منه رسماً للتأشير على جواز السفر ، ولا أجراً لزيارة المتاحف أو الأبنية الأثرية ، بيد أنها تطلق عليه جيوش التراجمة والأدلاء وتظلمه بتعريفة مرتفعة لأجور الفنادق ونفقات السفر والانتقال ، يدفع فوقها ضرائب نسبية وغير ذلك .

أما (پومبيى Pompéi) فكانت فى عهد (الرومان) مدينة صغيرة ، سكانها ثلاثون ألف نسمة ، يهرع إليها أغنياء الرومان لقضاء وقت الراحة ؛ ولكن ثوران بركان (فيزوف) سنة ٧٩ م ، ردمها تحت طبقات من الرماد ، فأصبحت نسياً منسياً إلى أن كان عام ١٧٤٧ ، حين وجد أحد الفلاحين تماثيل فى أنقاضها ، فبدأت أعمال الحفر وظلت حتى أيامنا هذه ، وتمكن القوم من إزاحة التراب عن خمسى المدينة .

زكى محمد حسن

[يتبع]

أسلوب التفكير فى الأزهر

ومنزلته من تطور الفكر البشرى

بقلم الاستاذ أحمد توفيق عياد

المدرس بالليسه فرانسيه

رأينا فى المقال السابق [1] كيف انحط الفكر الانسانى وفقد كماله بعد « أرسطو » حيث ضاع استقلال اليونان السياسى ، وضعف فيها الروح الفلسفى ، بعد سيادة مقدونيا عليها ، وحكم الرومان لها .

واستعرضنا ـ فى شىء من الإيجاز ـ المدارس التى تأثر بها الفكر منذ ذلك العهد : الرواقيين والأبيقوريين والشكاك ؛ ووقفنا عند « الأفلاطونية الحديثة » وهى الخطوة التى أعقبت ذلك ، وهى التى عملت كثيراً فى تكييف الفكر العربى وتشكيله ، وكانت أغلب هذه التعاليم الأفلاطونية ـ بعد أن عملت فيها الشيعة وحاولت تطبيقها على دعوتهم ـ تدرس بالأزهر أيام الفاطميين ؛ وقد استمد « إخوان الصفا » تعاليمهم منها .

والعامل فى ظهور هذه الفلسفة الجديدة ، أن النصرانية لما جاءت فى ذلك العهد لجأت إلى الفلسفة اليونانية لتستعين بها على الجدل ولتؤيد تعاليمها وعقائدها أمام الوثنيين أولا ، ثم أمام المسلمين أخيراً ، وكان من جراء هذا أن امتزج الدين بالفلسفة وظهرت « الأفلاطونية الحديثة » بعيدة عن فلسفة اليونان ، حتى إن بعض المؤرخين يعدونها من فلسفة القرون الوسطى ؛ لأن طابعها مصبوغ بصبغة الإلهام الشرقى ، وكانت الأسكندرية هى مركز هذا المزج بين الديانة النصرانية والتفكير اليونانى ؛ والحاصل أن المذاهب : الرواقى والأبيقورى والشكى ، تحجرت حتى جاءتها الفلسفة الجديدة بعد ثلاثة قرون أو أربعة ؛ وفى بحر هذه المدة ظهر بالأسكندرية عالم يهودى كبير هو « فيلون » درس الفلسفة اليونانية ، والديانة اليهودية ، وآمن بالاثنين معاً ، وكان يؤمن بالوحى وفق ما جاءت به التوراة ، ويؤمن بالفلسفة وفق ما جاء به الفلاسفة ، بل كان له رأى واضح فى أن الاثنين معاً يكونان ما فى العالم من حق ، وذهب إلى أكثر من هذا فقرر أن المنبع للاثنين واحد ، وأن الفلسفة اليونانية مأخوذة من طريق الديانة اليهودية ، وأن أرسطو وأفلاطون أخذا فلسفتهما

---

(١) نشر فى العدد الماضى من « المعرفة » .

عن طريق موسى؛ والغزالى يرى هذا الرأى ايضاً ويقول: إن تعاليم الفلاسفة منبعها النبوات. وسعى (فيلون) فى التوفيق بين الدين والفلسفة ، وهو اول شخص مسئول عن خلطهما؛ وعلى هذا النحو جرى فلاسفة الإسلام والفلاسفة العصريون .

فى الاسكندرية إذاً تمت عملية المزج هذه ، وكان من نتيجة ذلك ظهور روح جديد أسس على مبدءين متناقضين ممتزجين : أحدهما الشك والنقد ، والاخر سرعة التصديق ؛ وتقابلت آراء الشرقيين والغربيين اليونانيين،فامتزج روح اليونان بروح المشارقة ، فأنتجا عقائد ونظماً دينية متأثرة بتأمل الأولين وإلهام الآخرين : مما لليونان من علم ، وما للمشارقة من أساطير ؛ ثم جاء الروح اليونانى بما له من ذكاء ودقة وقدرة على الشرح المبين ، فأصابته شرارة من الشرق أشعلته وأحيته ؛ كذلك أخرج الروح الشرقى ـ الذى من خصائصه الطموح إلى ما وراء عالم الشهادة ـ نظاماً ملتئماً ، ونظريات مرتبة ، لم يكن يخرجها لولا مساعدة العلم اليونانى ، فانه رتب مأثور الشرقيين ، وحل من عقدة لسانهم ، فاستخرجوا العقائد الدينيه ، والنظم الفلسفية التى بلغت الذروة فى مذاهب : الغنوسطية ، والأفلاطونية الحديثة، ويهودية (فيلون) ، ومذهب الاشراك الذى ينسب إلى (يوليان الصابى) .

إن الشرق بما له من ميل إلى الغيب وخوارق العادات،وما فى طبيعته من تصوف وتدين؛ واليونان بما له من فحص دقيق ، وبحث عميق ، وإن شئت فقل : إن ما للأول من شعور ، وما للثانى من تحليل منطقى،قد امتزجا ونتج منهما فكر خاص انتشر فى الاسكندرية فى القرون الأولى للميلاد ؛ وقد صبغ ذلك الفكر بصبغتين مختلفتين: صبغة الكاملين والصوفيين،وصبغة أهل البحث العلمى ؛ ولذا امتاز هذا العصر بميل الفلسفة إلى الدين ، وميل الدين إلى الفلسفة .

ومؤسس هذا المذهب الجديد (أمنيوس سكاس) وهو أول المعلمين الأسكندريين الذين حاولوا التوفيق بين تعاليم أفلاطون وأرسطو ؛ ولذلك كانت معلوماتنا عنه قليلة، ويعد تلميذه (أفلوطين) منظم هذا المذهب ، وإليه ينسب ؛ ولد فى (لوكوبوليس) ـ أسيوط الآن ـ وتعلم بالاسكندرية ، ولازم أستاذه إحدى عشرة سنة ، والتحق بحملة سارت لغزو فارس ليتعلم علوم الفرس والهند،ثم سافر إلى روما سنة ٢٥٤م،وأسس بها مدرسة للفلسفة ؛ والعرب تطلق على مذهبه « مذهب الاسكندرانيين » ، وتسميه « الشيخ اليونانى » ؛ وهو يقول : إن هذا العالم كثير الظواهر ، دائم التغير ، وهو لم يوجد بنفسه ، بل لا بد لوجوده من علة سابقة عليه هى السبب فى وجوده ، وهذا الذى صدر عنه العالم واحد غير متعدد لا تدركه

العقول ، ولا تصل إلى كنهه الأفكار ، لا يحده حد ، وهو أزلى أبدى ، قائم بنفسه فوق المادة وفوق الروح وفوق العالم الروحانى ، خلق الخلق ، ولم يحل فيما خلق ، بل ظل قائماً بنفسه ، مسيطراً على خلقه ، ليس ذاتاً وليس صفة ، هو الارادة المطلقة، ولا يخرج شيء عن إرادته ، هو علة العلل ولا علة له ، وهو فى كل مكان ولا مكان له .

كيف نشأ عنه العالم ؟ وكيف صدر هذا العالم المركب المتغير عن البسيط الذى لا يلحقه التغير ؟ أكان هذا العالم موجوداً ثم وجد ؟ فهل يمكن أن يصدر عن الخالق ذلك من غير أن يحصل تغير فى ذاته ؟ كيف يصدر هذا العالم الفانى من الله غير الفانى ؟ هل صدر هذا العالم من الصانع عن روية وتفكير أم من غير روية ؟ ولم وجد الشر فى العالم ؟ ما النفس ؟ وأين كانت قبل حلولها بالبدن ؟ وأين تكون بعد فراقه ؟ .

ويقول : إن المادة سبب الشرور ، وغاية الانسان أن يتحرر من ربقة المادة ، ويجب على الإنسان ألا يخضع لهذه المادة ، ولذلك خطوات : أولى هذه الخطوات التحرر من سيطرة الجسم والحواس ، ولا يكون الإنسان عبداً ذليلا لها ، فإذا وصل إلى هذا فقد تحلى بالفضائل العالية ، وأن يحرر عقله بالفكر والتفلسف ، وأن يتحرر فى النهاية من الفكر والتفلسف ، وذلك هو العلم اللدنى ، وهو الكشف الآتى لا عن طريق المنطق ، إنما عن طريق الالهام والغيبوبة والوجد ؛ وهكذا يستمر الانسان حتى يذوب فى الله . . . وهذا كلام الصوفية بعينه ، والحقيقة أن التصوف الاسلامى دخله شيء كثير من هذا المذهب .

وبعد الأفلاطونية الحديثة لم يظهر فى أوربا تفكير مجدد ، وتولاها على العموم عصر مظلم ليس فيه مجال للبحث والتفكير العميق ، إلى أن أنشأ (شرلمان) مدارس تتابع الرجوع إلى الفلسفة اليونانية ، ولهذه تنسب تسمية هذا العصر بالمدرسى (Scholastic) ، وأكثر هذه المدارس كان تابعاً للكنائس أو الأديرة، فلذلك كانت مصبوغة بالصبغة الدينية، والمشتغلون فيها كانوا دينيين .

أحمد توفيق عياد

المعرفة فى تونس

الأخلاق عند أفلاطون *

بقلم الاستاذ يوسف كرم
مدرس الفلسفة بالجامعة المصرية

٣ - الحياة العقلية

ا - بعد أن وضع أفلاطون هذه المبادىء ، رسم صورتين للحياة مضى فى الواحدة على مقتضى نظرية المثل وطبقها أدق تطبيق ، فكانت « حياة علوية » كلها حكمة ، وترفق فى الأخرى، فعرف للذة بعض الحق ، فكانت «حياة معتدلة» ، مؤلفة من حكمة ولذة ؛ ولما كانت الصورة الأولى ترجع إلى الكهولة ، والثانية إلى الشيخوخة ، ارتأى بعض مؤرخى الفلسفة أنه نسخ الواحدة بالأخرى ؛ والحق أن هذا التعارض ظاهر يرفع باعتبار الحياة العلوية مثلا أعلى ، يطمح إليه ويهتدى به إلى أن يتحقق ، والحياة المعتدلة ضرورة راهنة خاضعة لأختها ؛ ونحن نقدم الكلام على الثانية ، لأنها تعد بمثابة تمهيد للأولى ، فقد حلل أفلاطون اللذة تحليلا دقيقاً خرج منه بأنها خير بالإضافة ، وأدنى الخيرات جميعاً ، تدخل فى الحياة الخيرة بمقدار ضئيل جداً ، وأن الحكمة خير بالذات ؛ بحيث يمكن القول إنه لم يسلم باللذة إلا ليرهقها بنقده .

ب - يقول أفلاطون فى (فيلاب) : ما من أحد يرضى أن يعيش بالحكمة دون أية لذة ، لأن الحكمة وحدها لا تفى بشرائط الحياة الأرضية ، ولا أن يعيش باللذات جميعاً دون عقل ، لأن اللذة ليست شيئاً إلا بالعقل ، يدركها ساعة حدوثها ، ويذكرها بعد فواتها ، ويتوقعها قبل أن تحصل، فيجب أن تشتمل الحياة الخيرة على الحكمة واللذة، وأن يطلب الخير فى مزاج منهما ، ولأجل تعيين هذا المزاج ننظر أولا فى كل على حدة ، ثم نقابل بينهما.

أما اللذة : فمنها الخالصة ، ومنها المشوبة، والمشوبة هى التى تنشأ عن ألم،أو تنتهى إلى ألم، والتى تنشأ عن ألم،أى عن حاجة واشتهاء، فهى عبارة عن وقف الألم؛ ومعظم لذات البدن من هذا القبيل، ينشأ الألم عن اختلال النظام، واللذة عن رده إلى نصابه؛ والتى تنتهى إلى ألم، مثل لذات المريض، والشره، والحسود، فهى جميعاً مزاج من لذة وألم، أى من خير وشر فى الجسم، أو فى النفس؛ ولا يمكن أن تقوم الحياة السعيدة فى مثل هذا المزاج ؛ وأما اللذة الخالصة ، فهى إحساس لطيف ،

---

* بقية البحث الذى نشر فى عدد نوفمبر سنة ١٩٣٢ من « المعرفة » .

لا يشوبه ألم ، يحصل بالألوان والأشكال الجميلة بالذات ، كما هى فى الأشكال الهندسية ، لا بأشكال الأجسام الزائلة وألوانها ، وبالروائح العطرة ، وبعمل وظائفنا المختلفة عملا معتدلا ، وبالعلوم لا يصاحبها أى شغف بالتعلم ، لأن الشغف مؤلم .

واما العلوم ؛ فمنها الخالص ، ومنها المشوب كذلك ، والمشوب مثل الطب ، والزراعة ، والحرب ، والملاحة ، فإنها تقوم على التجربة والعادة ، وتستعمل التخمين ؛ والخالص مثل الحساب ، والهندسة ، والفلك ، والموسيقى ، وفوقها جميعاً « الاستدلال »،وهو علم العلوم ، موضوعه الوجود الحق الدائم غير المشوب ، فهو أخلصها .

حـ — فإذا أردنا أن نقابل بين اللذة والحكمة ، وجب أن نتبين مقدار تحقيق كل منهما لصفات الخير الذى نطلبه ، والخير : حق ، واعتدال ، وجمال ، فمن حيث الحق اللذة أخدع الأمور ، إذ تمنى النفس بأكثر مما تعطيها من الغبطة ، من يجر وراءها يحى حياة شبحية ظاهرية ، بينما العقل ملكة الحق ومحله ؛ وإن قيل إن من اللذات ما هو حق ، أجبنا : أن العقل هو الذى يحكم فى الحق والباطل ، فهى تابعة له ـ ومن حيث الاعتدال : اللذة ميالة دائماً للإفراط ، أما العقل والعلم فليس ما يقاربهما اعتدالا ، بل إن العقل ميزان الاعتدال ـ ومن حيث الجمال ، لا شك أن الرجل الفاضل جميل جليل ، وأن صاحب اللذة بشع مضحك ، وإذاً فمن الوجهات الثلاث : اللذة لاحقة للحكمة خاضعة لها .

زد على ما تقدم أن اللذة ليست شيئاً معيناً بذاتها ، ولكنها حركة وتغير فى النفس، تختلف نوعاً وكمية ، ولا تصير شيئاً ، ولا تتعين بالنوع والكمية إلا بالقصد إلى خير متمايز عنها ، فإنها فعل القوة الطبيعية ، وللقوة موضوع تميل إليه وتتكمل به ، كما يتكمل العقل بالحق ، والبصر باللون والشكل ؛ فالغاية: الموضوع والكمال، أما فعل القوة فواسطة ، لذلك لا توصف اللذة بأنها خير ، من حيث إن هذا الوصف يليق فقط بالأشياء القائمة بأنفسها ، وليس من النظام فى شىء أن تراد اللذة لذاتها .

لهذه الاعتبارات يدخل فى المزاج المنشود أولا كل ما هو حكمة : الاستدلال ، فالعلوم، فالفنون ، ثم الآراء الصادقة فى المحسوسات ، إذ أن الانسان مفتقر فى هذه الحياة إلى العلوم المشوبة ، يقضى بها حاجاته ، أما اللذات فلا يدخل منها إلا الخالصة والضرورية ، والتى تقارن الصحة والفضيلة ، فإنها كلها معتدلة ، وتستبعد الرديئة العنيفة بلا رحمة ، لأنها كلها مسرفة ، يمتنع بوجودها الاتفاق والتناسب فى المزاج ، وبالجملة : تترتب الخيرات وفق ترتيب الموجودات ، فيجب أن يراعى هذا الترتيب فى النفس .

هذا وصف الحياة المعتدلة ، ترى منه أن أفلاطون قد وسع معنى اللذة حتى شملت الاغتباط بالعلم والفضيلة، ثم حسب ما للذة والحكمة من قيمة بالقياس إلى الحق والاعتدال والجمال ، فكانت قيمة للذة متواضعة غاية التواضع ، تسيطر عليها الحكمة وتحدها من كل جانب، ثم قسم للذة الحكمة الحظ الأوفى ، ووضع اللذة المشوبة فى المكان الأخير، أليس من البين أنه باق على عهده ، وأن ميله متجه كله إلى الحياة الحكيمة ؟

٤ – الحياة العلوية

ا – هذه الحياة الحكيمة مطلب النفس الحقيقى ، فإن النفس – لو تأملناها – وجدنا فيها قوة عظمى تحركها أبداً : هى الحب، والحب اشتهاء صادر عن الحرمان، إذ ما من أحد يشتهى ما هو حاصل له ؛ هو قلق دائم وشوق إلى الخير ، أى إلى ما من شأنه أن يعوض من الحرمان وجوداً ، وأن يملأ فراغ النفس ؛ فالحب مبدؤه الخير وغايته الخير ، هو وجود ناقص ووسط متحرك أبداً من الحرمان إلى الوجود ، وإلى الوجود الذى لا يفنى ، فهو اشتهاء الحصول على الخير حصولا دائماً ، هو جهد الكائن الفانى فى سبيل الخلود ، فإن اشتهاء الخلود متحد باشتهاء الخير.

ويتجه الحب أول ما يتجه إلى جمال الأجسام والأشكال ، ويقف الأكثرون عند هذا الجمال ظانين أنه الغاية ، وأن الخلود « الولادة فى الجمال المحسوس » . ولكن النفس الحكيمة تشعر أنه زائف زائل ، لا يبرد شوقها ، ولا ينضب معين حبها ، فتجاوز هذا الوهم ، وتنهج فى الحب نهجاً استدلالياً موازناً لنهجها فى المعرفة ، إذ ترتقى من الإحساس إلى الرأى ، إلى العقل والمعقول ، فتدرك أن الجمال المتحقق فى جسم أخ للجمال المتحقق فى سائر الأجسام ، وأن الجمالات الجسمية جميعاً أشباه بعيدة لجمال واحد بعينه يحويها فى وحدته ، هو مثال الجمال المحسوس ، فتخلص من التعلق بواحد ، وتمد إعجابها ومحبتها إلى الجمال الحسى أينما تألق لعينيها ، ثم تدرك أن ما تحب فى الأجسام إنما هى صفاتها ، وأن هذه الصفات فائضة عليها من النفس مصدر حياتها ، فترتفع من المعلول إلى العلة ، وتنفذ إلى النفس ، بل تنفذ إليها مهما كان غلافها دميماً ، لعلمها أن النفس جميلة فى ذاتها وتتعلق بها ، وتولد فيها الأفكار الجميلة والعواطف الشريفة ، ثم تعلم أن النفوس مشتركة فى جمال واحد، هو الجمال المعنوى ، فتصعد من جمال النفوس إلى جمال الفنون ، وبالأخص القوانين ، فإلى جمال العلوم النظرية ، ولا تزال تصعد من علم إلى علم ، حتى تبلغ إلى الجمال كله ، فتقف متأملة ، وتتهيأ بهذا التأمل إلى مشاهدة الجمال المطلق غير المخلوق ، وغير الفانى ، لا يزيد ، ولا ينقص ، ولا يتغير بحال

الجمال بالذات الذي يحب لذاته من يشاهده ويتغذى به ، يولد فى نفسه الفضائل الحقة ويخلد فيه ، وأن ما يعطى قيمة لهذه الحياة ، إنما هو مشاهدة الجمال الأزلى ، تقياً لا تشوبه شائبة ، بسيطاً لا تغطيه أشكال وألوان مصيرها إلى الفناء .

هذه مراحل الحب يقطعها فى البحث عن ضالته وشفاء غليله ، فهو واسطة ومساعد يحفز النفس إلى الكمال ويهيج فيها الذكرى القديمة ـ ذكرى المثل والحياة السماوية الأولى ، ذكرى « الفردوس المفقود » تحن إليه بكل جوارحها ـ ؛ فالمحب الكامل [الأفلاطونى] ، هو الفيلسوف يزدرى الجمال الزائل ، الذى يملأ النفس جنوناً ، ليتعلق بالجمال الدائم .

ب ـ انظر الآن إلى أفلاطون يطبق فى « فيدون » ما يقوله فى « المأدبة » ، ويصور المحب الكامل والحكيم العادل رجلا حياً ، يشعر ويعقل ، هذا الرجل هو « سقراط » فى حبه وقد دنا أجله ، لا يكفى القول فى وصف حاله إنه لا يخشى الموت ،أو إنه ينتظره بشجاعة ، فهو مغتبط به أشد اغتباط ، نعم هو يعلم أننا ملك الآلهة ، وأنهم وضعوا كلا منا فى مكان وعينوا له مهمة ، فلا يجوز له أن يهجر مكانه ، وأن يجبن دون أداء مهمته ، وأن الانتحار مخالف لإرادة الآلهة ، ولكنه يرحب بالموت يأتى على يد غيره ، لأن الفيلسوف يحس فى نفسه الشوق للإلهيات ، ويحس ثقل الجسم يعوقه عن اللحاق بها ، نفسه محبوسة فى جسمه ، والجسم مجلبة للهم الدائم : بآلامه ، ولذاته ، ومخاوفه ، وشهواته يصرف النفس عن تأدية وظيفتها الخاصة ، وهى تأمل الحقيقة ، فالموت خلاص النفس وبداية حياة جديدة مع الآلهة وفضلاء الناس ،والفيلسوف الحق يجتهد منذ الآن ـ ساعة فساعة ـ أن يعيش العيشة التى يشتهيها ، وأن يتعجل الحياة الأخرى بممارسة الفضائل ، وعلى الأخص العفة بمعناها الأسمى ،وهو الرغبة عن اللذة ، والتجرد من البدن ، والمران على الموت فيبلى جسمه ويصفيه من المادة بقدر الاستطاعة ، لأنه يعلم أن مقره الحقيقى ليس فى هذا العالم المملوء بالشرور ، وأن مهمته الفرار من هنا إلى فوق بأسرع ما يمكن (١) ، وتتوفر أسباب الفرار بالتشبه بالله ، ويتشبه الانسان بالله! بأن يصير عادلا قديساً ، بهذا تتبين المهارة الحقة ، أو التجرد من كل قيمة إنسانية ، وهذا ما معرفته حكمة وفضيلة ، وما جهله غباوة ورذيلة .

التشبه بالله ! هذه هى الغاية التى يرسمها لنا أفلاطون ، وليس بعدها غاية ، مهد لها بالرد على السوفسطائيين ، وتحديد معنى اللذة وقيمتها ، والفضيلة وأقسامها ، والحياة الروحية وشرائطها ؛ فوضع ـ لأول مرة فى تاريخ الفكر ـ مذهباً خلقياً كاملا ، هو مذهب الانسان يعرف نفسه وقدر نفسه .؟

يوسف كرم

(١) هذه العبارة وما يليها من محاورة Théetète ص ١٧٦ .

نظرية الكوانتم QUANTUM

بقلم الاستاذ محمد محمد السيد

مدرس العلوم بمدرسة طنطا الثانوية

بتجربة بسيطة وضع (نيوتن) في سنة ١٦٧٢ أساس علم جديد يعرف الآن بعلم الطيف ؛ فقد أمرّ الضوء الأبيض خلال منشور زجاجي فتحلل إلى ألوان متعددة تنتهي من جانب باللون البنفسجي ، ومن جانب آخر باللون الأحمر ؛ وأبان بهذه التجربة البسيطة أن الضوء الأبيض إن هو إلا خليط من عدة أضواء مختلفة الألوان تختلف عن بعضها في الزاوية التي تنكسر بها ، أو بعبارة أدق تختلف في معامل الانكسار ، وتكوّن ما نسميه بالطيف.

وفي أواخر القرن الثامن عشر أبان (وليم هرمشل) الفلكي الانجليزي الكبير أن الطيف ليس متصوراً على المنطقة المرئية، بل يتمدد تحت الأحمر في أشعة غير مرئية يدل (الترمومتر) على وجودها ، وكشف غيره أن المنطقة فوق البنفسجية زاخرة أيضاً بأشعة غير مرئية ؛ وبذلك حقق الباحثون امتداد الطيف على جانبي الجزء المرئي إلى مسافات طويلة .

وفي أوائل القرن التاسع عشر أضاف أحد الألمان المدعو (جوزيف فرنهوفر) – وكان يشتغل عاملا في إحدى محال صنع العوينات الزجاجية – زيادات هامة في معلوماتنا عن الطيف ، إذ كشف فيه خطوطاً سوداء مظلمة ، وذلك بواسطة خصه بمنظار دقيق ، وأمكنه أن يعد سبعمائة منها في الطيف ، وعمل خريطة أبان فيها بدقة كبيرة موضع ثلثمائة خط أساسي من هذه الخطوط.

وتتابعت الاكتشافات ، وأمكن – بصنع آلات دقيقة لتحليل الضوء، والحصول على طيف واضح – أن يحصي الباحثون عدة آلاف من هذه الخطوط تسمى الآن (خطوط فرنهوفر) نسبة لأول من كشفها في طيف الشمس ، ثم صار كل خط من هذه الخطوط علماً على عنصر من العناصر التي يمر فيها الضوء قبل أن يتحلل بواسطة المنشور ؛ إذ صار من المعلوم أن هذه الخطوط المظلمة السوداء هي مكان أمواج ضوئية امتصتها العناصر التي اعترضت سير الأشعة .

وقد صار الآن درس هذه الخطوط وكل مايتعلق بها أساس علم جديد ينكب فطاحل العلماء على الاشتغال به والتخصص فيه ، وصار في الإمكان بواسطة طيف أي مادة أن نتنبء

من أى العناصر تتكون ، واى الغازات تعترض ضوءها،واكتشفت بواسطة (السبكترومتر)- وهى الآلة التى بواسطتها يحلل الضوء - عناصر جديدة ، وكان من فخر العلم أن يكتشف عنصر (الهليوم) فى جو الشمس ، قبل أن يكشف فى جو الكرة الأرضية ، وذلك بواسطة فحص الطيف الشمسى .

***

فى أواسط القرن التاسع عشر كانت النظرية الموجية للضوء هى المقبولة لدى الأوساط العلمية فى تفسير انتشار الضوء إذ نجحت فى تفسير ظاهرة التداخل المشهورة ، وكان المعروف أن سرعة الضوء - فى وسط فرضه العلماء وسموه (الأثير) - لاتختلف باختلاف لون الضوء، ولكن تختلف طول الموجة ؛ فموجة الضوء الأحمر أطول من موجة الضوء الأزرق ، وهذه أطول من البنفسجى ؛ وبواسطة النظرية الموجية،وبمبدأ قرره أستاذ نمسوى يدعى (جوهان كريستيان دوبلر) - يشير فيه إلى العلاقة بين حركة الجسم الذى يصدر الأمواج ، وبين طول الموجة ، ويستوى فى ذلك الضوء والصوت فكلاهما ينتقل فى صورة تموجات - صار فى الإمكان الاعتماد على الطيف لكشف الحركة النسبية بين الأرض والأجرام السماوية المضيئة ، فحسب العلماء السرعة النسبية بيننا وبين النجوم الثابتة ، وبمقدار كم من الأميال تبتعد أو تقترب منا كل ثانية ؛ وبواسطة هذا المبدأ والطيف أمكن إثبات دوران الشمس حول نفسها ، وإيجاد سرعة هذا الدوران ، وأمكن أيضاً كشف أن كثيراً من النجوم مزدوجة بينا هى لاترى فى (التلسكوب) إلا مفردة .

ولم يقتصر استعمال (السبكترومتر) على حل كثير من المعضلات القديمة ، بل كان واسطة لكشف ظواهر جديدة لم تكن معلومة ، دعت العلماء إلى البحث عن تحليل جديد ؛ ففى أواخر القرن التاسع عشر كان المعروف أن طيف الأجسام المعروفة بالأجسام السوداء يختلف عما كان يتوقعه العالمون نظرياً ، فقد كان العلم يتنبأ بأن طيف مثل هذه الأجسام يحتوى على أمواج من كل الأطوال ، ولكن التجارب العملية أبانت خطأ هذا الزعم .

كذلك كان من المعلوم-حسب النظريات الديناميكية-أن إشعاع المواد للطاقة - سواء أكان الإشعاع حرارياً أو ضوئياً - لابد أن يسبب انكماشات فى مسارات (الالكترونات) تدريجياً حول نُوَيِّها ، وبذلك كان متوقعاً أن تكتشف فى طيف كل عنصر إشعاعات ذات أمواج من كل الأطوال بدل إشعاعات ذات ترددات معلومة محدودة غير متغيرة كما نجد فعلا فى طيف كثير من العناصر .

وفى الطيف المستمر للأجسام الصلبة المتوهجة نجد الطاقة أيضاً ليست موزعة بالتساوى فى جميع أجزاء الطيف ، بل توجد مناطق أمواجها محدودة الطول؛ والطاقة فيها نهاية كبرى .

مثل هذه الصعوبات كانت تحتاج لتعليل ، وقد تقدم الأستاذ (ماكس بلانك) من برلين ، بنظرية جريئة نجح فى جعلها أساساً لتفسير كل هذه الصعوبات ؛ وتتلخص فى أن أمواج الضوء أو الحرارة أو غيرهما من صور الإشعاع ليست متواصلة مستمرة كما يتبادر للذهن ، بل هى متقطعة ؛ فالجسم المضىء مثلا يشع قطاراً من الأمواج ثم ينتظر ويشع غيره ثم ينتظر وهكذا ، فالاشعاع الضوىء متقطع محبب ، والضوء الذى نراه كالجسم الصلب ـ مثلا ـ مكون من أجزاء صغيرة تفصلها فواصل:ففى الجسم الصلب : الذرات متباعدة رغم مايبدو لنا من تواصلها ، وفى الضوء:الوحدات الصغيرة يسمى كل منها (كوانتم) تنطلق كالقذائف من الذرة المهتاجة فى الجسم المنير ، واحدة تلو الأخرى .

هل (كوانتم) الضوء الأحمر يشبه تماماً (كوانتم) الضوء البنفسجى؟يجيب (بلانك)عن هذا السؤال بأنهما يختلفان ؛ فالكوانتم الأول يحمل مقداراً من الطاقة أقل مما فى (الكوانتم) الثانى ، ولكن (بلانك) يقرر لنا مبدأ عالمياً جديداً ، فهو ينبهنا إلى أننا لو ضربنا مقدار مافى الكوانتم الأول من الطاقة فى طول الموجة التى يحملها ، لكان حاصل الضرب يساوى حاصل ضرب طاقة (الكوانتم) الثانى فى طول موجته .

ولما كان طول موجة الضوء تتناسب مع مدة ذبذبته ، فان قانون (بلانك) يمكن أن يوضع فى الصورة :

$$ط \times ة = هـ$$

أى مقدار طاقة الكوانتم × مدة الذبذبة = مقدار ثابت (هـ) .

وهذا المقدار الثابت (هـ) صغير جداً ، فهو بالتقريب كسر بسطه ٦ ومقامه واحد متبوع من جهة اليمين بسبعة وعشرين صفراً ، ولكن رغم هذا التناهى فى الصغر يخبرنا (السير جينز) الفلكى الانجليزى الكبير عن أهميته « بأنه يجب اعتبار هذا المقدار الثابت (هـ) مسئولا عن جعل العالم نشيطاً حياً رغم صغره ، فلو كان هذا المقدار صفراً ، لتحولت كل الطاقة الموجودة فى العالم إلى إشعاع ، واختفت فى جزء من ألف مليون جزء من الثانية ، فمثلاذرة(الايدروجين)العادية ـ نظراً لاشعاعها المستمر للطاقة ـ تبدأ فى الانكماش بمعدل متر واحد فى الثانية ، فلا يمضى عليها جزء ضئيل جداً من الزمن حتى يندمج (الألكترون والبروتون) معاً ، وتتلاشى الذرة تاركة مكانها ومضة من الاشعاع »(١) .

إن نظرية (الكوانتم) لا تجيز أن يشع أى جسم إلا عدداً كاملا من (الكوانتات) ، فالكوانتم كالذرة لا يتجزأ ، وما يقال عن الاشعاع يقال عن الامتصاص ، فالأجسام التى تمتص الأشعة ،

---

(١) عن كتاب A History of Physics by F. C. Cajori

لا تمتص إلا كوانتات كاملة لا كسوراً ؛ ولكي نرى جسماً مضيئاً ، يجب أن تصدم أعيننا (كوانتات) كاملة من الضوء حتى تؤثر فيها التأثير الذي يحدث الابصار .

وقد نجحت فروض (بلانك) نجاحاً كبيراً في تفسير كثير من الأحاجي التي كانت تواجه العلماء في الضوء والحرارة ، ولكن عدم قابلية الكوانتم للتجزؤ أثارت من الجانب الآخر صعوبات جديدة إذ لاحت كأنها تتعارض مع النظرية الموجية للضوء .

ولكي يوضح لنا (السير أرثر أدنجتون) العالم الانكليزي الكبير بعض هذه الصعوبات يضرب لنا مثلا بأمواج الضوء الخارجة من النجم المعروف بـ (الشعرى) ؛ فهذه الأمواج مكونة من كميات من الطاقة تنتشر - كما تقول النظرية الموجية - في دوائر تتسع باستمرار في كل الجهات ، وبعد سنين تصل الأمواج إلى الأرض ، فاذا صدمت عين إنسان بعد مسيرها نحو الخمسين مليون ميل رأى الإنسان النجم .

فاذا اعتبرنا (كوانتم) الضوء الخارج من إحدى ذرات النجم ينتشر ويتوزع على صدور الأمواج ، فلن يصيب منه كل سنتمتر مربع من هذا الصدر - بعد مسير هذه الملايين الكثيرة من الأميال - إلا كسر صغير جداً جداً من الكوانتم ، ومع ذلك فنظرية (بلانك) تقرر أن كوانتات كاملة العدد لا كسور منها هي التي تؤثر في العين ، فهل - كما يتساءل (أدنجتون) - « هل صدر الموجة عندما يجد عين إنسان يرسل إشارة إلى الجزء الخلفي من الموجة قائلا : (تعالوا نتجمع لندخل ونحدث تأثيراً ، فقد وجدنا عين إنسان) ؟ » .

إن النظرية الموجية التي تستدعي انتشار الطاقة أكثر فأكثر كلما بعدت الأمواج عن الجسم المضيء : تستلزم أن يتجزأ الكوانتم أكثر فأكثر كلما بعد عن مصدر الضوء ، وهو ما يتنافى مع الغرض الأساسي في نظرية (بلانك) .

وهناك مشاهدة أخرى تلوح فيها نفس الصعوبة ، فمن المعلوم أن الضوء إذا سقط على طبقة معدنية من الصوديوم أو البوتاسيوم سبب تأثيره على السطح تطاير الألكترونات من الطبقة المعدنية بسرعة كبيرة ، وقد حققت التجارب وجود صلة بين سرعة الألكترونات المتطايرة وعددها وبين لون الضوء الساقط ، وإذا كان مصدر الضوء قريباً من السطح المعدني كان عدد الالكترونات المتطايرة كبيراً ، أما إذا كان مصدر الضوء بعيداً ، فالالكترونات تتطاير ، ولكن عدد المتطاير منها في هذه الحال أقل منه في الحال السابقة .

إن النظرية الموجية للضوء توجب أن تكون الطاقة موزعة على صدر الموجة بالتساوي ، ولكن الظاهرة السابقة ترينا أن هناك مواضع في صدر الموجة تتجمع فيها الطاقة ، وبذا تؤثر في الألكترونات التي تصدمها ، وتسبب تطايرها ، وهذا هو السر في تطاير

ألكترون من هنا وآخر من هناك ، ومعنى هذا أن كوانتم الطاقة لايتجزأ كلما تباعد عن المصدر الذى يشعه ، بل ينتقل كمية واحدة لاتنقسم حتى يصدم ذرة من ذرات السطح المعدنى ويطيح منها ألكتروناً .

هنا يدخل العلم فروض الاحتمالات ، فيقول : إن الأمواج لا تحمل فى صدورها كميات من الطاقة موزعة بالتساوى ؛ وإلا لكان تصادم هذا السطح مع طبقة الصوديوم يخرج ألكترونات من كل المنطقة التى تمسها الموجة ، أو لا يخرج شيئا ما ، بل تحمل فى صدورها احتمالات متساوية بوجود الطاقة ، فبدل أن نقول : إن كل نقطة على صدر الموجة تحمل جزءاً من مليون من الكوانتم ، يجب أن نقول : إن كل مركز على هذا الصدر ، احتمال وجود كوانتم من الطاقة فيه هو جزء من مليون ، أو إن احتمال إطاحته ألكتروناً بالتصادم مع السطح المعدنى هو جزء من مليون ، فمن كل مليون ذرة على سطح الطبقة الملامسة توجد واحدة هى التى يتطاير ألكترونها ، أما الباقى فلا يتأثر بشىء .

هل يمكن للعلم أن يحدد الذرة التى سيطير ألكترونها ؟ الجواب عن ذلك أنه لايوجد فى الوقت الحاضر لدى العلماء ما يبعثهم على القطع بأن هذا ألكترون أوذاك هو الذى سيتطاير ، ولكن لديهم ما يمكنهم من تحديد « احتمال » ذلك بوجه عام ، ويظهر أن أملهم فى كشف العوامل التى تتحكم فى ذلك تقريباً منعدم .

هناك مراكز ممتازة على صدر الموجة هى التى توجد فيها (كوانتات) الطاقة ، كل (كوانتم) منها كامل غير مجزأ ، وهذه المراكز ذات الحظ الأوفر ، تحديدها خارج الآن — وربما إلى الأبد — عن نطاق العلم البشرى .

ولقد ساهم (أينشتين) وغيره من أئمة العلم فى التقدم بنظرية الكوانتم لتفسير كثير من الغوامض ، واستند عليها (بوهر الدانيمركى) منذ نحو خمسة عشر عاماً فى تأسيس نظريته المشهورة فى تركيب الذرة ، واستعملت النظرية النسبية جنباً إلى جنب مع آراء (بوهر) فى تفسير بعض معضلات الطيف ؛ وها نحن أولاء نرى من ثمار التقدم فى هذه السبيل « الميكانيكا الموجية » التى بنى أسسها (دى بروجلى) الفرنسى ، و(شرودنجر) الألمانى ، وغيرهما ، و « مبدأ اللاتحديد » الذى يعتقد (أدنجتون) أن له أهمية النظرية النسبية ، والذى يكشف للانسان عن جهله بما حوله عارياً أمامه ، ويدعو (أدنجتون) ليقول : « إن كل زيادة فى علمنا بالطبيعة فى ناحية من نواحيها تزيد فى نفس الوقت من جهلنا بناحية أخرى ، فمن الصعب أن نفرغ بئر الحقيقة بدلو مثقوب غير صالح » [1] . ؟

محمد محمد السيد

[1] The Nature of the Physical world by A S Eddington.

٢ – بين الادب وعلم النفس *

استعراض سيكولوجى لاحدى روايات شكسبير

شاعر الانجليز العظيم

بقلم المربية الكبيرة السيدة نظلة الحكيم سعيد

الحب والكراهية

الشخص الذى تتجه نحوه العاطفة له قيمته وأثره فيما يحدثه من السرور أو الألم فى النفس ، فإن كان ساراً أحدث ارتياحاً وشعوراً بالرضاء التام ، وغير هذا مما يتمثل فى عاطفة الحب ؛ وإن كان الأثر مؤلماً أحدث اضطراباً وقلقاً عند صاحب العاطفة ، وكانت العاطفة كراهية ؛ وهكذا كل انفعال بتأثر الشخص، يتصل – حتما – بإحدى العاطفتين الرئيسيتين اللتين تتحكمان فى نفسية الإنسان ، ويكون الانفعال قوياً أو ضعيفاً بقدر ما بين المحب والحبيب ، أو الكاره والمكروه من علاقة، كما يترتب على درجة العاطفة ذاتها [انظر الخريطة على ص٩٣٩].

وكذلك نقول – على وجه العموم – : إن الانفعالات التى تتجمع فى النفس وتكون عاطفة الحب من أية درجة ، لا تظهر دفعة واحدة، بل يكون ظهورها بالتدريج، اللهم إلا فى بعض حالات الحب من أول نظرة ، أو الحب الناشىء عن عبادة الأبطال والزعماء .

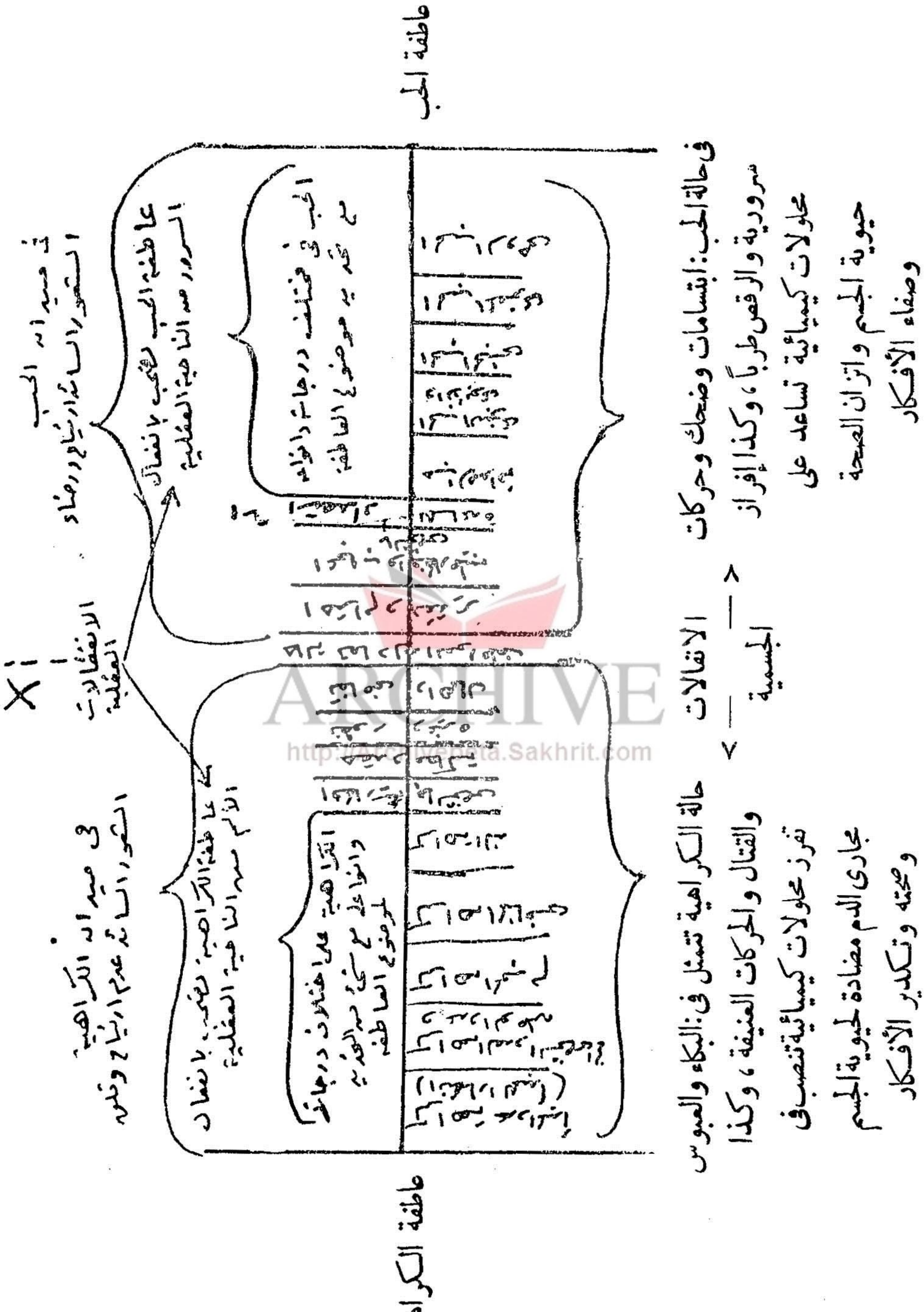
أما عاطفة الكراهية فعلى نقيض هذا ، إذ تظهر انفعالاتها فجأة من غير سابق تمهيد ، وتصل إلى حدها الأقصى فى أسرع وقت ، خصوصاً فى الأمور الماسة بالشرف والدين ، وعلى أخص ما يكون فى المسائل التى فيها علاقة جنسية – كعلاقة الزوجية – ؛ فالكراهية أسرع فى تقدم خطواتها ، وأقوى فى بطشها ، لتغلب عنصر الغضب فيها ؛ والغضب هو القوة التى تدفع الانسان إلى التورط فى أشد ضروب القسوة مما تستنكره نفس الشخص فى حال الهدوء والسكينة . ويزداد ثر الغضب سوءًا إن كان منصباً على غير ذى قرابة ورحم .

وتصدق هذه النظرية من سرعة ظهور عاطفة الكراهية فى هذه الرواية ، فإن (لينتيس) تأثر بالغيرة ، ووصلت كراهيته وغضبه إلى حدها الأقصى فى مدة يومين، حتى لقد صمم نهائياً على القضاء على زوجه (هرميون) (١) ومنافسه (بولكسين) ، وكل من أظهر

---

* نشرنا القسم الاول من هذا الموضوع فى الجزء الماضى « نوفمبر سنة ١٩٣٢ ».

(١) موضوع العاطفة .



ملاحظة : موضوع العاطفة هو الشخص الذى تتجه نحوه العاطفة من أى نوع .

شفقته بهما او مواساتهما ؛ وبعبارة اخرى نقول : إن عاطفة الكراهية قد تطورت فجأة فى ثلاث مراحل :

١ — بدأت بالغيرة والشك فى إخلاص زوجه وصديقه له .

٢ — ثم شعوره باعتبار ذاته مفصولة عن ذات زوجه ، وقد كانا وحدة كاملة ، وكذلك الحال مع صديقه ، فقد شعر بانفصام ما بينهما من عرى الصداقة .

٣ — وفى المرحلة الثالثة انتهى بطلب الثأر للنفس عن طريق القضاء عليهما .

وهكذا يرتبط الغضب بعاطفة التحيز للذات ، ويتمثل فى جريمة زوجه الموهومة مساساً بكرامته الشخصية ، وكرامة أمته ، وتحقير مركزه الأدبى ؛ وهذه الكرامة المثلومة تثير حميته لأخذ الثأر .

ونحن نجد مظاهر الغيرة جلية واضحة فى ملاحظات وكلام (لينتيس) لمجرد رؤية زوجه مع صديقه ، وتعنيفه بعبارات صبيانية غير لائقة بعقلية ملك : « Too Hot Too Hot » ، ثم هو يجتنب مجلسهما بعد أن كان يجد فيه لذة ومتعة ، ويجاهد مبدئياً فى كتم شعوره وكظم غيظه ، لأنه لا يزال يشعر فى نفسه بشىء من الاحترام لشعور زوجه ، ويصور له عقله تهماً خطيرة ، ولكنه لا يجرؤ على الجهر بها لزوجه ؛ ويذهب فى إساءة تفسير ما يصدر عنهما — من أعمال عادية بريئة — كل مذهب ؛ فإذا رآهما يسيران معاً فى حديقة القصر ، فسر هذا بأنهما يتآمران على خيانته ، ويمتلىء رأسه بهذه الوساوس حتى لا يقوى على احتمالها ، فيفضى إلى (كاميليو) صفيه وكاتم أسراره ، بأصل متاعبه ؛ ولكن (كاميليو) يعارضه الرأى ، فيوسوس إليه الشيطان بأن صفيه هذا من صنائعهما ؛ ولم لا ؟ ألا يدافع عنهما ؟ ألا يحاول جهده أن يبرئهما ؟ وهكذا يظل المسكين يتخبط فى تصورات شيطانية ، ويتوسم الشك فى كل من يحيط به من أتباع وجنود .

(هرميون) زوجى و (بولكسين) صديقى ! يخونانى فى أعز شىء لدى ! فى شرفى ، وفى كرامتى ، وجنودى وأتباعى عليهم يتسترون ، هذا والله فوق طاقة البشر !

وهكذا تصبح الصداقة والأعمال البريئة الهادئة أدلة فى نظره على الجريمة ؛ ولكنه يثوب إلى رشده — نوعاً ما — فيستعرض حوادث الموضوع وشواهده حتى يعدل فى الحكم ، هنا يذكر أول حادثة : لماذا رفض (بولكسين) رجائى فى أن يطيل مكثه عندى ، ويجيب رجاء (هرميون) من أول كلمة ؟ هذه نقطة وجيهة لها خطرها (وينسى المسكين أنه ألح عليها فى هذا الرجاء ، ولا يخطر فى ذهنه عندئذ أن (هرميون) إنما تحسن معاملة صديقه من أجله) ،

ويسترسل فى تأملاته قائلا : كلا ! الآن أعرف أن حبها تحول عنى إلى غيرى ، وليست هى زوجى ، وليست الآن جزءاً منى ، يا لله ! تخون عهدى ثم تتآمر على .

***

كأنى بشكسبير فى هذا الموقف لم يشك فى أن المرأة ضحية الحياة ، وأن الإساءة توجه إليها حتى على ما يبدو منها من صالح الأعمال .

ويتجسم الأمر فى نظر (لينتيس)،فتصبح كل نظرة وكل إشارة يتبادلانها (أى هرميون وبولكسين) وقوداً يزيد نار غضبه اشتعالا ، ويرى نفسه محاطاً بالعار الأبدى يلصق باسمه وببيته الملوكى؛وكذلك ينتقل الشك إلى أولئك الذين أنجبهم من قبل،فيسائل نفسه: ولم لا أشك؟ ألم تخنى الآن ، وقد كنت أحسبها مثال الطهر والعفاف ؟ ألا يمكن أن تكون قد خانتنى من قبل مع أحد أصدقائى أو أتباعى ؟ بلى ! لقد خانتنى بالتحقيق ، وليس هؤلاء الأولاد بأولادى؛وهكذا تصور له نفسه المريضة الخيال حقيقة؛والغة ما أقساها ! إنها ملأى بالأمثال والحكم والأقوال المأثورة ، كما تشير إلى ضعف المرأة وفساد سريرتها ؛ وهذه الحكم والأمثلة تترى فى ذهنه الآن : الواحدة بعد الأخرى ، ويراها تنطبق على حال (هرميون) تمام الانطباق . حقاً لقد صدقت أقوال الأقدمين ، بل إن الأمر لأكبر من هذا خطورة ، فـ (هرميون) تتمثل فيها أخطاء جنسها،وتتجمع فيها ضروب القوة على الغدر والخداع ، وليس هناك - بعد هذا كله - من شك فى إجرام زوجه وصديقه ، وكذلك صفيه (كاميليو) الذى يدافع عنهما مع علمه بالدسيسة ؛ أجل ، إن (كاميليو) يعلم بكل ما يدبرانه له،ولكنه لا يريد أن يظلمه ويأخذه بالشك ، فليترك له فرصة يبرهن له فيها على إخلاصه بقتله لعدوه (بولكسين) ، ولئن لم يفعل فلا بد من قتلهم ثلاثتهم .

وهنا تنقلب الحال النفسية من تردد وحيرة إلى عزم ويقين ، وتختفى صور هؤلاء الناس وتحل محلها صورة ذاته ماثلة أمام عقله ، يراها مجروحة العزة ، مثلومة الكرامة ، تطلب الثأر للشرف والوطن ، ولا ترضى بغير القوة الغشوم بديلا ؛ أما ذات (هرميون) الدنيئة الوضيعة التى كانت تتصل بذاته الشريفة العظيمة ، فيجب أن تستبعد ، وأن تقطع ما بينهما من صلة ، ويخلع هذا الخاطر الغريب على (هرميون) صفة جديدة يراها بها (لينتيس) صفة الخائنة للوطن ، لأن كرامة الوطن ممثلة فى شخصه ، وهى كرامة الملك .

وتذوب أمام هذه الصفة الجديدة كل آثار الحنو والعطف والاحترام ، فيجرؤ عليها ويتهمها فى وجهها - بعد أن كان يحترمها - وأمام الناس ، بعد أن كان يتحرج من إظهار الشك لهم - وهى لا تستحق منه حباً ولا رعاية - ؛ فهو بذلك يلقى بها إلى السجن كما يفعل بسائر المجرمين الذين لا يعرفهم ، ولا يمتون إليه بصلة ؛ فيصرخ : هل يعوزنى الدليل على

هذا ؟ أليس فى هرب (بولكسين) و (كاميليو) ما يكفينى وزيادة ؟ أجل ، إنهم جميعا يتآمرون على حياتى .

وقد يتساءل البعض هنا : لماذا يرجع (لينتيس) كل شيء إلى المؤامرة على حياته؟وجوابنا عن هذا : انه الآن فى حال نفسية أحدثتها كل هذه الظروف متجمعة ، فهو لا يستطيع أن يفكر فى شيء غير ذاته هو ، منفصلة عن ذات (هرميون) ، فيقول لنفسه : نعم ، أنا حجر العثرة فى سبيل اتصالها ، ولولاى لعاشا معاً هانئين ، وهل تتم سعادتهما بغير القضاء علىّ ؟ أجل ! أجل ! فلا بد من الدفاع عن النفس ، وأن آخذ الحيطة ، فأقتلهما قبل أن يقتلانى ، ولا غبار علىَّ إن فعلت ، أليس من واجبى أن أغسل بدمائهما ما لحق الوطن والشرف الملكى من عار ؟

وفى الحق أنه لمن المؤلم أن تجرح عزة النفس ، وتهان الذات ، ويزيد فى الألم والمرارة أن يكون المسبب لهذا كله ذاتاً كانت مندمجة فى الذات الأصلية .

وهنا يتناول الموضوع ناحية أخرى،وتظهر نزعةجديدة،هى نزعة التحقير للذات الدنيئة التى دنست ذاته هو بما ألحقته بها من عار ــ تلك هى ذات (هرميون) الوضيعة ــ ، فمن العدل أن يهينها ويحتقرها أمام أهل البلاط ــ رجالا ونساءً ــ من الذين كانوا يحترمون هذه الذات ، ليروا بأنفسهم إلى أية درجة انحطت،وبهذه الخطوة تصل عاطفة الكراهية عند (لينتيس)إلى حدها الأقصى ، وينفد صبره ، فيطلب محاكمة (هرميون) علناً أمام الناس ؛ وبينما هو يهم بتنفيذ هـذا الأمر ، إذ بالرسل يعودون بجواب العرافين الذين استشاروا الآلهة فى شأن (هرميون) ، فقضوا ببراءتها وشائر من اتهمهم الملك معها ؛ يسمع الملك هذا فتأخذه ثورة الغضب ، ويصيح بأعلى صوته : العرافون يقولون ويكذبون على الآلهة ، لقد اشترتهم (هرميون) بالمال ، فلنضرب بأقوالهم عرض الحائط،ولنستمر فى المحاكمة،وليحكم على المدنسين بالقتل جزاء ما جنت أيديهم ؛ وهنا تدفعه الحال النفسية الشاذة إلى التغاضى عن معنى العدالة، فيأمر بالقتل ، بينما يدعى محاكمتها أمام هيئة القضاء العادل .

ونلاحظ هنا : أن عاطفة الكراهية تبلغ حدها الأقصى ــ حتماً ــ عند الشعور بانفصال الذاتين تماماً ، فيعمل الكاره على مقتضى عقيدته ، على اعتبار أن كل ما يتصوره هو حق ، وما يقوله الناس باطل ، وأن شعوره لا يكذب ؛ بل إنه ينبئه بالخبر اليقين ، ويشتد الصراع فى نفسه ، ويزداد الألم ، فلا يستقر الإنسان ولا يهدأ إلا بالقضاء على من يكرهه ، وكثيراً ما يعتبر المنتقم انتقامه فعلا مشروعاً ، وواجباً أخلاقياً ، ولا يداخله شيء من الشك فى صحة ما وصل إليه عقله ؛ أليس هو الذات النقية الطاهرة ؟ فكيف يخطىء فى الحكم ؟ وكيف

يخدعه شعوره الصادق المنزه عن النقائص ؟

وتبدأ المحاكمة والملك على أشد ما يكون اضطراباً وخضوعاً لعواطفه الثائرة وانفعالاته الجامحة ، ويرى الملكة تساق إلى المحاكمة فلا يحرك منظرها عامل الشفقة فى نفسه ، بل إن هذا لا يريحه ، ولا يشبع رغبته فى الانتقام ؛ ولكن يحدث شيء لم يكن فى الحسبان ، يدفع بتيار عواطفه المتأججة فى مجرى آخر ؛ ذلك أن ولى عهده يقضى أسى على أمه وما نالها من هوان، ويصل الخبر إليهما وهما فى المحاكمة، فيغمى على الأم، حتى يحسبها الناس قد ماتت، وينفذ إلى بصيرته شعاع من الشك فى أن الآلهة غضبى عليه وعلى تصرفه ، فيسائل نفسه : ألا يمكن أن أكون ظالماً ، و (هرميون) بريئة؟ من يدرى ؟ هنا يسود الموقف شعور جديد، وتظهر النزعة الدينية والخوف من لعنة الآلهة وغضبهم ، فيأمر أن تعامل (هرميون) بالحسنى ، وأن يستدعى لها الأطباء ؛ ولا نخال شعور العطف على (هرميون) قد انبعث فى نفسه من مكمنه ، وأن قلبه قد رق لها ، وأن حبها قد عاد إليه من جديد ، وإنما الذى لطف من حدة تصرفه إزاءها هو خوفه على نفسه من غضب الآلهة وغريزة حب الذات . ونحن عند الشدائد والملمات نجد شيئين خطيرين :

أولا — انفعال الخوف المتولد من الشعور بوقوع الذات فى خطر .

ثانياً — ثم ظهور النزعة الدينيـة فى التقرب إلى الإله المعبود ، أو أية قوة أخرى يدين الإنسان بها استجداءً لمساعدتها ، واتقاءً لغضبها .

وكذلك نستخلص من كل هذا : أن النزعات النفسية ، والقوى العقلية والبدنيـة ، تتحد جميعها لتخدم العاطفة وتحقق أغراضها ، وتتولد فى النفس رغبـة ملحة ، وشعور بالقلق لا يهدأ بغير إخضاع من تتجه إليه العاطفة أو القضاء عليها .

ففى عاطفة الحب لا تهدأ الرغبات — التى تتولد فى نفس المحب، وتصبح أساساً قوياً للعاطفة — بغير إخضاع المحبوب ، من طريق إرضائه ، والحصول عليه ، والامتزاج به ، حتى يصير جزءاً لا يتجزأ من الذات الأصلية ؛ أما فى عاطفة الكراهية فإخضاع من تتجه نحوه العاطفة يكون بالقضاء عليه وطرده وإبعاده وفصله من الذات .

وقد خطر فى ذهنى — وأنا أضع نقط هذا الموضوع — أن مركز المرأة فى المجتمع يجعلها ضعيفة من حيث هى قوية ، فأقل شيء يخدش ناموسها ، وأضعف ظل يقع على كرامتها — وإن لم يصل إلى مرتبة الجريمة — يلصق بها العار طول حياتها ، وليت الأمر يقتصر عليها ، بل قد يتعداه إلى بناتها وحفيداتها ، فيحوطهن الرجل بجو من الشك والمراقبـة ، كأنهن سيرثن — ولا محالة — تلك النقيصة عن أمهن ؛ أما الرجل فهو يسرح ويمرح ، يفعل

كل ما يبدو له من غير أن تناله ألسنة الناس بسوء ، وإن نالته ، فأولاده فى مأمن ؛ ولقد قصد (شكسبير) أن ينبه الناس ـ وبخاصة النساء ـ إلى شدة حرج مركز المرأة فى المجتمعات الخاصة والعامة ، حيث يختلط الأهل والأصدقاء والمعارف ـ رجالا ونساءً ـ ، فلا يعرف الرجل مبلغ ما تبذله المرأة من تفكير وجهد ، بحيث لا يكون فى كلامها للناس وتلطفها بهم ـ بما يقضى به الأدب والواجب ـ شيء ما يسىء الزوج تفسيره ، وهو كثيراً ما يفعل ، فيسىء فهم ابتسامة تحيي بها الزوجة صديقاً له ، أو كلمة رقيقة تتحدث بها إلى أحد معارفه ، وقد يحقد عليها إن أكرمت شخصاً وتفضلت على آخر ؛ على أنها فى كل هذا ليس لها من رغبة خاصة سوى إرضاء زوجها بارضاء أصدقائه ؛ ولعل أسعد النساء حياة ، وأبعدهن نظراً ، وأهدأهن بالا ، هى التى تحرص على تجنب المواقف التى قد تلقى فى نفس الزوج ـ ولو ـ ظلا ضئيلا من الشك مهما كانت هذه المواقف بريئة ، فإن فعل الرجل هذا بدوره ؛ وقدر شعورها كما تقدر هى شعوره ، وجدا من الراحة والهناء فى البيت ما يخفف عنهما أعباء الحياة ومتاعبها .

هذه هى آراء (شكسبير) فى العاطفة وظروفها ، نفهمها نحن كذلك تحت ضوء العلم الحديث ، ونراها متفقة مع آراء كبار علماء النفس المحدثين ، ومنها نرى كيف يسبق الأديب المطبوع ـ بدقة ملاحظته وفنه ـ قواعد العلم الحديثة بمئات السنين . ؟

نظلة الحكيم سعيد

تاريخ مصر الحديثة

أو تاريخنا القومي

بقلم الاستاذ محمد فؤاد شكري

الحاصل على درجة الشرف فى التاريخ الحديث من جامعة لفربول
وأستاذ التاريخ بالمدرسة التوفيقية الثانوية

دعانى إلى كتابة هذا المقال عاملان قويان: العامل الأول تكرر ذكر تراثنا القديم، ومدنيتنا القديمة، وإغفال ذكر النهضة الحديثة التى اهتزت لها مصر، منذ نهاية القرن الثامن عشر تقريباً، فأحدثت بها بعثاً جديداً، ما لبثنا أن شاهدنا آثاره فى عصر مصر الذهبى أيام حكومة اسماعيل، وما زلنا نشاهد آثاره فى نهضتنا الحاضرة: الأدبية، والفنية، والعلمية، والاقتصادية، إلى درجة أن صارت بلادنا نبراساً تهتدى به الأمم الأخرى الشرقية، فتنقل عنا ثقافتنا، وتتبع تطورات الفكر بين ظهرانينا، مما هو معلوم لكل مطلع على نهضة البلاد الشرقية، كالعراق وسوريا مثلا. أما العامل الآخر الذى حدا بى إلى كتابة هذه العجالة، فهو افتقارنا الشديد إلى تاريخ وطنى قومى، يبين - بلا تحيز أو تمويه - مقدار تراثنا الحديث، ويوضح حياتنا الجديدة - كأمة حية لها مكانتها السياسية، والاقتصادية، والأدبية - بين أمم العالم المتمدين، فنتعرف إلى نهضتنا الحديثة ونتلمس مظاهرها بجلاء.

إن تاريخ مصر الحديث (١٧٩٨ — ١٩١٤) وحدة مستقلة، لها ذاتيتها الخاصة؛ يفصلها عن تاريخنا القديم عدة قرون متوسطة، لها هى الأخرى صبغتها ومعالمها المحدودة، غير أن الكتابات التى تناولت تاريخ بلادنا فى المدة المذكورة عامة، ما زالت قليلة مبتورة؛ فقد وضع بعضها للدفاع فى الحقيقة عن سياسة خاصة، مثال ذلك: كتاب (فرسينيه)، ووضع البعض الآخر للإشادة بمجهودات خاصة، مثل كتاب (اللورد كرومر)، بينما ينقص كتاب المسيو (لوى برييه) الاطلاع على الوثائق والمستندات التى ظهرت حديثاً، كما أنه يغفل بحث تطور النهضة المصرية، أو القومية الحديثة، فيسرد تاريخ البلاد سرداً مبتوراً. ويشمل هذا القول أيضاً بعض كتابات مؤرخينا المصريين المعاصرين، الذين تناولوا دراسة تاريخ مصر الحديثة عامة وإجمالا بعد سنة ١٧٩٨.

نحن نريد – كمصريين – تاريخاً قومياً صحيحاً يدرس فى مدارسنا، ويلم به كافتنا ويفاخرون ؛ نحن لا نريد أن نقيد أنفسنا بالقيود التى وضعها من كتب سابقاً عن تاريخ بلادنا دون بحث مستفيض، فجاءت كتاباتهم منقوصة، تفتقر إلى إثبات ؛ نحن لا نريد فى الوقت ذاته أن نشوه الحقائق، أو أن نتغالى فى الوطنية، فنطمس معالم الحقيقة بسيل من الدعاية أو العصبية، وإنما كل ما نرمى إليه هو أن نبين بجلاء ووضوح، أن مصر الحديثة لها الأخرى تاريخها المجيد، ولها نهضتها وقوميتها وذاتيتها.

وإن باحثاً يريد أن يكتب عامة عن تاريخ بلادنا، ليجب عليه حقاً أن ينفذ إلى أهم المسائل التى ربطت مجموعة الحوادث والصور والتطورات التى تكونت منها قصة القطر، وأن يعرض إلى بحث مظاهر حيويتنا فى تاريخنا الحديث، فيسرد دراسة مستفيضة تكشف عن حياة شعب مجيد، جاهد وناضل بكافة الوسائل المحسوسة وغيرها، حتى تبوأ مقعده تحت الشمس فى مصاف الأمم الحديثة.

يبدأ تاريخ مصر الحديث – سياسياً – منذ أن وطأت قدما (نابليون بونابرت) الأراضى المصرية فى نهاية القرن الثامن عشر، فتفرعت عن المعضلة الشرقية مسألة أخرى هى المسألة المصرية، سرعان ما اتخذت موضعاً هاماً فى التاريخ الدولى عندما اشتدت المنافسة بين انجلترا وفرنسا للاستئثار بالسيطرة وبالنفوذ فى البلاد المصرية ؛ هذه المنافسة هى المحور الأول الذى يدور حوله تاريخنا السياسى الحديث، وهى الرابطة التى تربط مختلف الحوادث والمسائل وتلقى عليها ضوءاً جديداً يكشف عن حقيقة كنهها ومقدار أهميتها، فهى تفسر لنا ما حدث فى فترة الانتقال التى تلت خروج الحملة الفرنسية من مصر مثلا.

وإنا لنود فى هذا المقام – ونحن فى صدد فترة الانتقال هذه – أن نشير إلى مغالطة تاريخية، طالما ذكرها المؤرخون الأجانب، ونقلها عنهم المصريون، فلم يعملوا على تصحيحها، إلى أن ظهرت فى النهاية البحوث الجديدة، فنبهت الأذهان إليها، وإلى وجوب تصحيحها، بعد أن أظهرت الوثائق والمستندات التاريخية بطلانها ؛ والمغالطة هى : أن الفضل فى ظهور « محمد على » واعتلائه فى النهاية أريكة الولاية، يرجع إلى معاونة فرنسا ؛ بينما الواقع خلاف ذلك، إذ وصل « محمد على » إلى الولاية بفضل مجهوداته ودهائه وحيلته.

وتفسر لنا المنافسة الانجليزية الفرنسية فى مصر – أيضاً – كافة الحوادث الهامة التى تلت فترة الانتقال، أثناء حوادث ١٨٣٢ — ١٨٣٤، وأثناء أزمة ١٨٤٠، ثم أيام « عباس الأول »، و « محمد سعيد » والمفاضلة بين الطريقين البرى والبحرى فى عهديهما ؛ وهذه المنافسة هى التى أدت فى النهاية أيضاً إلى احتلال الانجليز للبلاد المصرية منفردين بسبب تردد السياسة

الفرنسية وقصورها فى ذلك الوقت ، وتردد الباب العالى وضعفه وانسجام السياسة البريطانية وخاصة بعد فتح قناة السويس ، عند ما استمرت تعمل لغرض خاص ، هو الاستيلاء على مصر ذاتها ، فتم لها ذلك ؛ وهذه المنافسة ذاتها هى التى أدت حتماً - من جهة أخرى - إلى كافة الطرق (الدبلوماسية) التى اتبعها الساسة الفرنسيون والبريطانيون لدى الآستانة ، وهى التى أذكت فى صدر الباب العالى - من وقت إلى آخر - رغبة الاحتفاظ بسيادته الشرعية على البلاد المصرية ، وتأيد نفوذه بها فنجح فى تحقيق رغبته الأولى حتى أعلنت الحماية رسمياً على مصر عام ١٩١٤ ، بينما فشل فشلا تاماً فى رغبته الثانية منذ أيام « عباس الأول » تقريباً .

غير أن هناك مسألة أخرى يلقى بحثها ضوءاً وضاحاً على نواح كبيرة الأهمية فى تاريخنا الوطنى ، وتفسر لنا أيضاً مظاهر شتى ، هذه المسألة : هى نشوء الرأى العام المصرى وتكوينه ، وظهور الشعور القومى ؛ فقد أخذ شعور المصريين بقوميتهم يظهر منذ أيام الحملة الفرنسية ، واستمر ينشط مدة ويفتر أخرى ، حتى اشتد نموه واكتمل أيام « اسماعيل » ، بسبب إصلاحات الخديوى الكبيرة واهتمامه بالثقافة والتعليم ، وبسبب الرخاء المادى الذى اقترن بارتفاع أثمان القطن ، خلال الحرب الأمريكية فى بداية حكمه ، وظهرت آثار هذا الشعور المستفيض فى صحافة هذا العهد المتعددة ، وفى تذمر القوم من تدخل الأجانب فى شئونهم ، وسرعان ما طالب الرأى العام أن يكف الأجانب عن الاستئثار بمرافق الدولة ، وطالب المصريون بالاشتراك فى إدارة بلادهم ، مما نتج عنه جميعه أن سارت الحوادث سيراً حثيثاً نحو ما يسمى بالحركة العرابية التى لم تحقق شيئاً من مطالب البلاد الوطنية والقومية ، والتى انتهت - لسوء الحظ - بالاحتلال البريطانى لمصر ؛ غير أن الاحتلال رغم مجهوداته العتيدة ، لم يتمكن من القضاء نهائياً على شعور المصريين القومى ، فظهرت آثاره فى النزاع بين سمو الخديو السابق واللورد « كرومر » مثلا ، وفى تشكيل الحزب الوطنى برئاسة المغفور له « مصطفى كامل باشا » .

وتقترن بتكوين الرأى العام وبظهور القوميسة المصرية نهضة البلاد الأدبية العلمية ، وهذه النهضة هى الدعامة التى قام عليها تاريخنا الفكرى فى العصر الحديث ، والرابطة الثالثة التى بفضلها تتكون وحدة وذاتية خاصة لتاريخنا الحى الجديد ؛ بدأت هذه النهضة منذ أن أحدث مجىء الحملة الفرنسية إلى البلاد اهتزازاً فكرياً شديداً ، وما لبثت حتى نمت وتطورت إلى أن وصلت إلى أوجها أيام حكومة « اسماعيل » ، فظهر فى الصحافة : ابراهيم المويلحى ، وآل تقلا ، وميخائيل عبد السيد، ومحمد عثمان جلال وغيرهم، وفى الطب والجراحة: أحمد حسن الرشيدى ، ومحمد على باشا البقلى وغيرهما ؛ كما تميز فى الهندسة والعلوم والرياضيات

بهجت باشا الأرنؤوطى ، وأحمد فايد بك ، ومحمود باشا الفلكى وغيرهم ، وهؤلاء ظهروا أيام اسماعيل .

وإنا لننتقل الآن من ــ بحث هذه الروابط المتعددة التى تضم تاريخنا الحديث فى صورة منسجمة واضحة ــ إلى موضوع آخر لا يقل عن سابقه خطورة ، وهو تحديد العصر الذى بلغت فيه مصر أوج رفعتها فى المدة الواقعة بين (١٧٩٨ — ١٩١٤) .

لكل أمة حية « عصر ذهبى » تشيد بذكره ؛ والعصر الذهبى له مميزات خاصة وطابع خاص ، لتبرير هذه التسمية ، فأين إذن عصرنا الذهبى ، وكيف يمكن تحديده فى تاريخنا القومى ؟ لم يتعرض مؤرخ أجنبى ــ بطبيعة الحال ــ إلى هذا الموضوع ، بينما يميل البعض إلى اعتبار عهد «سعيد» العصر الذهبى لمصر ،أو على الأقل للفلاحين المصريين ، و « سعيد » ــ ولا ريب ــ له بفضل ما كتبه عنه أخصاؤه وأصدقاؤه المعاصرون ، أمثال : كلوت بك ، وفردنند دلسبس ، أحقية التطلع إلى هذا الشرف الرفيع ؛ ولكن لنتريث قليلا !

حقاً تمتع الفلاحون بشىء من السكينة والخلود أيام « سعيد » لكرمه ودماثته وحبه للخير ، وشعرت البلاد فى أواخر حكمه برخاء نسبى بسبب الاصلاحات التى أدخلها فى مرافق البلاد ؛ ولكن « سعيداً » كان فى حاجة دائمة إلى المال يحصله بمختلف الوسائل ، وفى كافة الأوقات ؛ كلفه ولعه بالجيش ما يبلغ السبعة ملايين من (الفرنكات) سنوياً ، كذلك افتقر سعيد إلى الدراية بالشئون المالية ، فكثيراً ما لجأ : إما إلى فرض ضرائب جديدة ؛ وإما إلى إنقاص مرتبات الموظفين عاماً ، أو إلغائها عاماً آخر ، وإما إلى إصدار (تحاويل) على خزانة الدولة ، يتعامل بها الموظفون مع التجار ، ويقبض هؤلاء قيمتها من المالية ، وإما إلى عقد القروض ؛ ومن الثابت أن حكومة « سعيد » كانت استبدادية ، بينما كان هو معادياً لكل ما من شأنه أن يفتق أذهان العامة ،ولم يشأ أن توجد بالبلاد طبقة من المستنيرين قد تفسد عليه حكومته ؛ فمن المغالاة إذاً أن يعد عصر « سعيد » عصراً ذهبياً لمصر والمصريين .

لنبحث إذاً عهداً آخر ، وليكن هذا العهد عهد « اسماعيل » العظيم ، ذلك العهد الذى أخذت صيحات المتذمرين تتلاشى من حوله عند ما أظهر البحث كثيراً من الأسباب التى تدعو بحق إلى اعتباره « عصر مصر الذهبى » فى تاريخها الحديث ؛ كان « اسماعيل » وثاباً ، كما كان عظيماً ؛ ولعل أقسى ما وجه إليه ، هو ما ذكره (كيف) فى تقريره عن الحالة المالية عام ١٨٧٦ ، فقال : « حاول اسماعيل أن يتمم عدة أعمال فى فترة قصيرة ، مستعيناً فى ذلك بموارد بلاده المحدودة ، بينما يتطلب تنفيذها موارد أغنى وأوسع ، ويوجب إتمامها ، مدة أطول مما وطد العزم عليه » ، هذا هو النقد الذى يكشف لنا فى الواقع

عن روح الرجل العظيم الذى يريد أن يرقى ببلاده دفعة واحدة إلى أوج المدنية والجلال ، وهو من هذه الناحية يشبه كل الشبه « بطرس الأكبر » باعث روسيا ومنشئها وعاهلها العظيم .

أراد « اسماعيل » أن يرفع شان مصر ، فدبت الحياة فى شرايين البلاد منذ اعتلائه أريكتها : ازدان القطر بالأبنية الحديثة والمنشآت العمرانية ، كثرت المدارس وفتحت أبوابها ، أرسلت البعثات إلى الخارج ، نشطت الصحافة ، ووضعت نواة الحياة النيابية فى البلاد ، كل ذلك تم فى عهده ؛ انظر إلى عظمة ذلك العصر : افتتاح قناة السويس بحضور الملوك والأمراء ؛ انظر إلى استعراض الاسكندرية المشهور ، يوم عادت الفرقة السودانية التى ساعدت الفرنسيين فى حروبهم مع المكسيك منذ ١٨٦٣ ، والتى أبلى أفرادها بلاءً حسناً رفع ذكر مصر فى الخارج ، فكان يوم ٢٨ مايو ١٨٦٧ - وهو يوم استعراضها - يوماً مشهوداً ، زينت فيه وسامات الشرف الفرنسية صدور ضباط الفرقة ورؤسائها ؛ تمعن فى مجهودات «اسماعيل» التى بذلها ليستكمل استقلاله الداخلى ، ألا يكفيه فخراً نضاله الجسيم مع شركة قناة السويس ، حتى يكسر قيود إذن عام ١٨٥٦ ، تلك القيود التى لو ظلت لسلبت الوالى سيادته فى البلاد ؟ ثم انظر إلى جهوده الهرقلية مع الباب العالى صاحب السيادة الشرعية ، تلك الجهود التى بذلها ليستقل بإدارة البلاد عن تدخل المابين فى شئونها .

وختاماً يا لها من إمبراطورية عظيمة ، تلك التى نجح « اسماعيل » فى تشييدها ، فضمت أعالى النيل إلى مصر ، وثبتت أقدام المصريين فى تلك الأصقاع النائية ؛ ويكفى المصريين فخراً وسؤدداً ، إذا ما تذكروا ما ضحوه ، وما بذله خديويهم العظيم للقضاء على شر الآفات الاجتماعية : كالنخاسة وتجارة الرقيق ، هذه هى صفحة من تاريخنا القومى ، تدعو إلى تسمية عصر الخديوى العظيم بعصر مصر الذهبى الحديث .

هذا هو ما بدا لى ذكرته ، لعلى بذلك قد مهدت طريقاً جديداً للبحث فى تاريخ وطنى وقومى صحيح لبلادنا العزيزة ، يكون موضع فخار أبنائها ، ومناراً للهمم ، ودافعاً للسير إلى الأمام دائماً ، تحت رعاية مليكنا ومولانا المفدى رب النهضة المعاصر ، وحامى العلم والمتعلمين . م ؟

محمد فؤاد شكرى شهبندر

صورة من الحياة

حلاق أنطاكية ..!!

بقلم الاستاذ نقولا شكرى

لو أنه كان من الممكن أن تجتمع لدى المرء دفعة واحدة كل ذكريات حياته ـ سواء أكانت هذه الحياة عادية ساذجة ـ أم مفعمة بالحوادث ، ما تألف من مجموعة هذه الذكريات شىء يمكن أن يجعل الإنسان كياناً على حدة ليس كسائر الناس ؛ ولعل الروائيين حين تعمدوا خلق هذا الشذوذ فى حياة الانسان ، أرادوا أن تستحيل صور الحياة الدنيا ، إلى مثل من اختراع الخيال المحض ، وليس من ذكريات الحياة ما لا يشترك فيه الناس اشتراكاً ظاهراً .

وكأنى بشاعر عبقرى مثل (ديموسيه) ، حين يستخرج شغاف قلبه بارزة مكشوفة ، لكى يحدث الناس عن ذكريات حياته ، لا يختلف عن طير البحر الذى يقذف بمهجته لصغاره حين يعز عليه وجود الغذاء ، ولكن (شكسبير) كان أيضاً شاعراً عبقرياً ، حين بلغ أوج المجد المسرحى عن طريق الحرفة الحقيرة ، التى بقيت مقترنة باسمه إلى بدء القرن التاسع عشر .

ولقد قال (فيغارو) الحلاق اللبق الذى اختلقته مخيلة (بومارشيه) لمحدثه النبيل : « لا تحسبنى ياسيدى حلاقاً عادياً من أهل القرى ، لا أدرى من أمور الدنيا غير تحريك الموسى ! » .

وما كان (فيغارو) حلاقاً عادياً فى اشبيلية ، لا لأن (بومارشيه) أراد أن يجعله مصدر هداية ورشد ، كما جعل (هوغو) شخصية (هرنانى) الوضيعة ، ينبوع كرم ونبل ، وإنما يتفق ـ فى الغالب ـ أن يكون الحلاق لبقاً ، وصاحب نادرة وأقوال مستظرفة ؛ ومنذ عهد روما وأثينا ، كانت حوانيت الحلاقين ملتقى أهل الفراغ من المتظرفين رواة الأخبار .

وكان الشاعر (هوراس) إذا أراد أن يصف شيئاً بالذيوع والاشتهار قال : إنه ذاع فى كل بيوت الحلاقة ، كأن هذه الطائفة هى العمدة فى إذاعة الأخبار ؛ ومن دأب الحلاق فى الحقيقة أن يكون على بينة مما يجرى فى المدينة ، يظل أثناء أداء مهمته يتحدث إلى زبائنه

عن الأمور المختلفة، ومن هنا كان الحلاق ثرثاراً ، حتى إن بعضهم لا يستطيع ان يؤدى مهمته إلا إذا أقسم لزبائنه « آليت ألا أتكلم حتى أنتهى » .

غير أن التاريخ الذى جعل هذه الطائفة موضوع سخرية مرة ، لاتصافها بالثرثرة ؛ روى ـ مع ذلك ـ أن (بطرس لابروس) حلاق الملك (سان لويس) تولى منصب الوزارة لعهد (فيليب الجرىء) ، وأن المعلم (أوليفيه القزم) حلاق (لويس الحادى عشر) ، كان صفياً لذلك الملك وكاتماً لأسراره !

أما المثل الحقيقى الذى لم يبلغه التاريخ من أسماء الحلاقين ، فهو لعمرى ذلك الكائن الحى الذى ما زالت تحفظه الذاكرة منذ نيف وعشرين سنة ؛ وتحفظه كما هو لم يطرأ عليه أى تطور منذ شهدناه لأول مرة فى بعض أحياء أنطاكية ، ذلك الموطن المقدس الذى كان يطلق عليه القدماء اسم « عروس المشرق » ، وكانت لنا وقتئذ فرصة أردنا أن نبعث فيها ذكريات الصبا ، ذلك الموطن الذى تألفه الروح ويعمر حبه القلب ، وإن شغلتنى عنه أعظم المواطن .

وطنى إن شغلت بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

هذا المثل ! هل نصفه بأنه حلاق أنطاكية ، كما وصف (بومارشيه) بطل روايته « بحلاق اشبيلية » اعتقاداً أنه :

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد ! ؟

ولكن ، أين أنفة (فيغارو) الذى كان يتقدم فى الصالونات بأنه الحلاق المشهور ، ويستنكر أمام محدثيه أنه حلاق ، أو على الأقل حلاق عادى ! ؟

وقد روى التاريخ أن (ليسينوس) حلاق (أوغسطس قيصر) ، شيد له قبيل وفاته ضريحاً فخماً يضارع مقابر البطارقة ؛ لأن (ليسينوس) لم يفكر طول اشتغاله بحرفته فى أن يكون وزيراً ، أو كاتماً لأسرار إمبراطوره .

والمعلم حنا حكيم ، وإن شئت فقل الأوسطى حنا حكيم ـ وإن لم تتبرك يداه بلمس لحية شريفة ، مثل لحية القديس بولس ، ولم ينعم بعشرة مليك محب للفقراء ، مثل لويس الحادى عشر ، ولم يطمع فى أن يكون فى منصب الوزارة ، الذى بلغه (بطرس لابروس) ـ فان المزايا المكتسبة التى حبته بها طبيعته الميالة إلى الفنون ؛ يمكن أن ترفعه إلى مستوى يدنيه من عشرة العظماء ! فلقد حظى (شكسبير) بمقابلة (اليصابات) فى بلاطها الأنيق ، ولما تمض سنوات على قيادته الخيول على أبواب المسارح .

والأوسطى حنا حكيم ، وإن كان العصر الجديد قد خلفه فى منتهى ما وصل إليه التأخر فى الحرفة ، فانه رغم عدم اعترافه بالترقى المفروض على كل فرد فى صناعته ، كأنه لشدة

هوايته للتمثيل : والأدب ، والشعر ، وشغفه باقتناء الكتب،ركن من أركان الثقافة فى موطن قديم للشعر ، والحماسة ، والتظرف،هو «أنطاكية» التى أنجبت (فريجيا) و (سزورازوس)، وأطلق فيها اسم المسيحية لأول مرة على حواريى يسوع .

وفى الواقع لا يكاد يجرى حادث يتعلق بالتمثيل أو الأدب إلا كان نبأه عند الأسطى حنا حكيم ، وكان حانوته مصدر القول الفصل فيه، وهو على قدر ما يسخر من الحياة والناس أحياناً ، ويزدرى حرفته إلى جانب الفنون والآداب التى يهواها ، يأبى إلا أن يجعل زعامته مقترنة بفرض معترف به من جميع هواة الشعر والتمثيل فى « أنطاكية » ، وهو ألا يسلموا رءوسهم إلى حلاق غيره ، وأن يكون حانوته مجلسهم وناديهم ، وقد صار بهذا الاعتبار كأنه شيخ أهل الأدب والفنون ، وإن لم يكن شيخ الحلاقين !

ونعتقد لو أن (أوليفيه القزم) سأل مليكه المحب للعامة ، أن يحقق له أمنية ما طلب شيئاً أكثر من أن يكون ملكاً للرعاع ! ولكن مثل الأوسطى حنا حكيم كان يطلب بلا شك أن يكون ملكاً لأرباب التمثيل .

ولعل المزاج الخاص الذى جعل الأوسطى حنا حكيم عمدة فى فن التمثيل ، ولم يجعله أستاذاً فى حرفة الحلاقة ، حال بينه وبين جادة الترقى فى صناعته ، فبقى حانوته من بعد عشرين سنة مضت على عهدنا به فى ذيل حوانيت الحلاقين ؛ لم يستحدث فيه شيء ، كأنما أصابته حرفة الأدب ؛ ورغم هذا التأخر غير الاختيارى ـ الذى جعل حانوت الأوسطى حنا حكيم فى أخريات الحوانيت بلا تجديد ولا أناقة ـ فلم يكن فى « أنطاكية » نادى مثل ناديه يضم هواة التمثيل والأدب فى شبه (أكاديمية) صغيرة ، يتزعمها رجل طويل القامة ، أبيض الوجه ، عصبى المزاج ، هو الأوسطى حنا حكيم !

ونذكر أن بعض الحلاقين دعى يوماً إلى الامبراطور (أركايوس) ، فسأله عن الطريقة التى يختارها لحلق لحيته ، فأجاب الامبراطور : « طريقة الصمت » ؛ فإن مزاج الحلاق فى إذاعة الأخبار صيره مثلا فى الثرثرة ، ولذلك كان الأوسطى حنا حكيم لشدة ميله إلى التمثيل ورواية الشعر حلاقاً ، لا ينبغى أن يعفى من أداء القسم قبل أن يتسلم رأس « زبونه » ، فهو لم يألف أن يقول لزبائنه من هواة الأدب «آليت ألا أتكلم حتى أنتهى من مهمتى .. »» ، وإنما يبلغ من جنونه بالتمثيل أحياناً أن يترك اللحية ؛ أو الرأس نصف حليقة ، ويظل فى إنشاد أو تمثيل ساعات طويلة ناسياً مهمته الحقيقية ، إلى جانب ما يتوقعه ـ خطأ ـ من إدخال السرور على زبائنه ، وهو من أجل ذلك يختارهم ممن يشاركونه هواية التمثيل والشعر .

وربما أدرك البعض من إهمال الأوسطى حنا حكيم مسألة التجديد والتمشى مع ضرورات

العصر – فى حرفة هى رأس التظرف والزينة – أنه رجل غير أنيق ، أو مشوش الهندام ، فإنا نؤكد أنه إذا كان قد أصابته – كما يقال – حرفة الأدب فى جوهر صناعته ، فخلفها مجردة من مستحدثات العصر ، فهو بعد الرجل الأنيق اللباس الذى جعل عنايته بتظرف هندامه ، وجمال مظهره فى مستوى عنايته بالتمثيل .

أما روحه الساخرة ، وخفة طبعه ، وميله الجم إلى المجون ودقة تمثيله للحركات ، وذوقه فى إصدار النادرة ، فقد تكون فى مزاج كل حلاق ، ولكنها صفة ممتازة فى الأوسطى حنا حكيم .

وقد بلغ من تأثير هذه الصفة الممتازة فى حلاق « أنطاكية » أنه أورثها أولاده .

ونذكر أن (جيوتو) كان من الرعاة ، ولكنه خلق التصوير بالألوان ، ولم يكن هذا الابتكار ضرباً من ضروب العبث ، فلا بد أن (جيوتو) تتلمذ على مصور كبير هبط الريف الذى عاش فيه من قبل أن يصل إلى اختراعه ، كذلك وفق الأوسطى حنا حكيم – وهو طالب فى المدرسة – إلى الأستاذ الذى يتلقى عنه حب الفن ، ذلك هو الأستاذ (سليم فرنيني) الذى قام بنصيب وافر فى النهضة الأدبية بأنطاكية ، ولقد يذكره الأنطاكيون بهذا الفضل الذى جعل من الأوسطى حنا حكيم ممثلا وزعيماً لنهضة فنية ، مركزها حانوت حلاق !

ولكن ! ألم يكن أفلاطون الحكيم يبيع الزيتون فى سوق مصر ويشتغل بالفلسفة ؟ أو لم يكن شكسبير يمسك أعنة الخيل مأجوراً على أعتاب المسارح ؟

على أن حرفة الحلاقة التى رفعها (لابروس) إلى درجة الوزارة وألبسها (فيغارو) ، أو إذا شئت (بومارشيه) ، حلة مذهبة من الذكاء واللباقة وخفة الروح ، فإنها ممثلة فى الأوسطى حنا حكيم وسيلة ثانوية للحياة ، فقد كان حلاق أنطاكية ممن يدينون بمذهب عبادة الفن للفن ، فليس عجيباً أن يجعل الحلاقة فى مرتبة ثانوية ، رغم أنها مصدر عيشه !

نقولا شكرى

أيها المشـــــترك !!

إن « المعرفة » تفخر كل الفخر ، بأنها مجلة المثقفين والعظماء ، وبأن مشتركيها من خاصة العلماء والأدباء فى جميع أنحاء الشرق العربى .

لذلك يهمها أن تحافظ على سمعتهم الأدبية من اتهامهم بعدم تقدير المشاق الصحفية ، وما نبذل فى سبيل « المعرفة » من مال وجهد .

فهل أديت واجبك نحوها ؟ وهل سددت اشتراكك ؟ تذكر قليلا ، وتفضل ، شكوراً بتسديد ما عليك إن لم تكن سددته .

٣ ـــ اليابان ونظمها التعليمية*

بقلم الدكتور سيدراس مسعود نواب مسعود جنك بهادر
وزير معارف حيدر آباد سابقاً ونائب رئيس جامعة عليكرة حالا

تعريب الأستاذ احسان سامي حقي
أستاذ الادب العربي بجامعة عليكرة بالهند

[خاصة لمجلة المعرفة]

لم تكن اليابان بأحسن حظاً من غيرها من الدول التي يحدث فيها مثل تلك الانقلابات الفجائية التي ذكرناها قبلا، بل كانت كواحدة منها، وانشعب الشعب بعد هذه الاصلاحات إلى فريقين: فريق الشبان وهو القابض على زمام الحكومة ومناط هذه الحركة الحيوية ، وفريق الجامدين الذين لا يحرم ملك من وجودهم ، وهم المخالفون ؛ ولم يكن خلافهم إلا لأنهم رأوا أنهم أصبحوا بعد ذاك الشأن والعز لا يلتفت إليهم ولا يعبأ بهم، فشق بعض (السمورائيين) عصا الطاعة تحت قيادة (ست سيوما) أحد الملوك السابقين ـ الذى كان قد منح رتبة أقل من رتبه السابقة بكثير ـ ؛ وتعرف هذه الثورة في التاريخ الياباني بثورة (ست سيوما) ، وهي آخر ثورة قضى بها على الاختلاف القبائلي في اليابان ، وانتهت بفوز الحكومة على الثوار ، وبلغ فيها القتلى والجرحى ٣٥٠٠٠ نسمة ، بعد أن دامت تسعة أشهر .

إن ما ناله اليابانيون بسبب هذه الثورة من النفع كان أضعاف ما لحقهم من الخسارة ؛ ذلك أن العوام لما رأوا ما للأسلحة الحربية الجديدة من الفوائد ، ازداد يقينهم بلزوم متابعة أوربا ، ومما زاد إيمانهم أيضاً هو: أن الجيش الذى كان قد جند لاخماد الثورة لم يكن كل أفراده من (السمورائيين)؛ بل كانوا من مختلف الطبقات التي كانوا يظنون أنها لا تصلح للحرب ؛ بل إنما الحرب للسمورائيين وحدهم .

وصل اليابانيون إلى ما وصلوا إليه من الرقى بهذه السرعة الفائقة. ولكنهم لما كانوا تواقين دائماً لمساواة الحكومات الأوربية والفوز عليها ، لم يكتفوا بذلك ولم يرضوا به ، بل قام منهم فريق، طالباً أن تكون الحكومة مسئولة لدى مجلس نيابي (بارلميان)، غير أن الرؤساء الذين هم أركان الحكومة ، والذين كانوا عالمين بأن هذا الحكم لا يتفق مع البلاد اليابانية ـ لأنها لم

* راجع «المعرفة» : السنة الثانية عددى سبتمبر ونوفمبر ١٩٣٢ .

تصل إلى ذاك المستوى ـ خالفوا هذه الفكرة ، ولكن السلطان ـ الذى كان قد وعد الشعب بأن لا يقطع أمراً بغير علمه واستشارته ـ لبى طلب الشعب ، وأصدر أمراً يقضى على حاكم كل ولاية أن يفوض إلى الشعب انتخاب أعضاء لمجلس استشارى يبحث فى أمور الولاية بالاتفاق مع حاكمها ؛ على أن وظيفة هذا المجلس لا تتجاوز حد المشورة والبحث فى مالية تلك الولاية من غير أن يكون الحاكم مقيداً بالمجلس ، بل له حله ـ إذا لم يتفق مع أعضائه أو تمردوا عليه ـ ؛ غير أن هذه المجالس لم تف بالغرض الذى كان يرمى إليه اليابانيون ، ولذلك لم ينفكوا مطالبين بالدستور ، حتى أجابهم السلطان سنة ١٨٨١ إلى طلبهم بتأسيس دستور لبلادهم يعلن فى مدة عشر سنوات ، وللحال أرسلت الحكومة ولى العهد ـ ورجلها الفذ (إيتو) المعروف بمقدرته العلمية والسياسية ـ إلى أوربا لدرس قوانينها الدستورية ، لينتخب منها لليابان ما يلائمها ، فانتخب منها القانون الألمانى ، لما أثر فى نفسه ما تعلمه من (بسمارك) فى هذا الشأن ، ووفى السلطان بوعده ، وأعلن الدستور سنة ١٨٨٩ ، فقابل الشعب هذا الاحسان بعظيم المنة والسرور ؛ ولكن بقيت أمام اليابانيين أيضاً عقبة أخرى كان لا بد لهم من إزالتها ليساووا الحكومات الغربية ؛ وهى محو الامتيازات الأجنبية من بلادهم ، لأنهم كانوا يرونها لا تتفق والحرية ، فقاموا يطالبون الدول الأجنبية بذلك ، ولكنها لم تعبأ بهم أولا ، فظن العامة أن ذلك توهيناً للشعب اليابانى ، فهاج هائجهم ، وقاموا مطالبين بمحاربة أوربا ؛ ولكن السياسيين منهم كانوا يعلمون أن محاربة أوربا بأجمعها من الأمور المستحيلة التى قد لا تؤدى إلا إلى خراب ديارهم ودمارها ، فسكنوا هائج الشعب ، وما انفكوا يدرسون القوانين الأوربية ، ويرتادون دور قضائها ، ويدخلون فى قانونهم ما استحسنوه منها ، ثم رأوا من الصواب أن يتخلوا لأوربا عن أمر فيه نفعهم أيضاً ، وهو : السماح للأجانب جميعاً بالمهاجرة إلى اليابان من غير ما مانع ولا شروط لقاء فسخ هذه الامتيازات ؛ فكان أول من لبى طلبهم هذا الانجليز ، حيث كانوا على يقين من أن الحكومة اليابانية فى الشرق ستكون قرناً للحكومة الانجليزية فى الغرب ، فمدوا لها يد الإخاء ، وأجابوا طلبها ، وعقدوا بين الدولتين حلفاً حربياً دفاعياً لمدة عشر سنوات لم يغمط فيه حق دولة ؛ بل كان على أساس التساوى ؛ وهكذا ، فان دول أوربا جميعها اعترفت لليابان بعد ذلك بحق المساواة ؛ ونحن نرى أن مندوبها الآن[1] فى لوزان ـ التى لم يؤسس مؤتمرها إلا لحفظ حقوق أوربا ـ يصغى إلى أقواله ، وتحترم آراؤه ، مما لا يناله إلا مندوب حكومة عظمى .

وهنا أرى أنه لا تتيسر معرفة نوع الحكومة والدستور الحالى فى اليابان إلا بنقل صورة من

(١) القصد من كلمة الآن : الوقت الذى طبع فيه الكتاب وهو سنة ١٩٢٣ .

الدستور للاطلاع عليه ، وإليكم ذلك بعد أن أنقل الاعلان السلطانى ، وهو :

« إننى تسنمت هذا العرش السلطانى وراثة عن آبائى وأجدادى الكرام ، الذين لم تزل سلالتهم — منذ الأزل — حاكمة على اليابان ، وإننى حباً فى رفاهية شعبى وسلامته ، وترقية لقواه الأخلاقية والعقلية ، وإجابة لطلبه ، أضع له دستوراً كنت وعدت بوضعه فى اليوم الرابع من الشهر العاشر من السنة الرابعة عشر (لميجى) ؛ وهذا الدستور هو الذى يجب أن نجعله نصب أعيننا ، وأن نهتدى بهديه نحن وأولادنا . ورثنا الحكم عن آبائنا ، وسيرثه أبناؤنا عنا ، فليس لنا ولا لأولادنا الاستنكاف من تنفيذ ما جاء فيه بعد هذا الاعلان » .

« وإننا نتعهد باعلاننا هذا أننا سنقوم بحفظ حقوق ومال رعايانا ، ولا نستفيد منهم إلا بما يجيزنا القانون به » .

« يعقد أول مجلس دستورى فى السنة الـ ٢٣ (لميجى) ، ومن ذلك اليوم يعتبر هذا الدستور نافذاً » .

« يحق لنا ولأولادنا — إذا كان هناك من حاجة — التغيير والتبديل عند الاقتضاء ، على أن يعرض ذلك على المجلس ، ولا يحق لنا ولا لأولادنا تحوير أو تغيير شىء فى هذا الدستور بغير موافقته » .

« على الوزراء القيام بتنفيذ هذا الدستور ، وعلى الرعية اتباعه والاقتداء به دائماً » .

الامضاء : سلطان اليابان

(الخاتم السلطانى)

حرر فى اليوم الحادى عشر من الشهر الثانى من السنة الثانية والعشرين (لميجى) .

الدستور اليابانى

الفصل الاول

السلطان

المادة ١ — السلالة السلطانية ما زالت حاكمة منذ الأزل ، وستبقى إلى الأبد .

المادة ٢ — لا يرث الملك إلا الذكور .

المادة ٣ — السلطان مقدس ، ولا يستطيع أحد أن يمسه بسوء .

المادة ٣ — السلطان هو رئيس الحكومة ، وهو الجامع للحقوق السلطانية ، وهو يستفيد من هذه الحقوق طبقاً لهذا الدستور .

المادة ٥ — يسن السلطان القوانين بالاشتراك مع مجلس النواب .

المادة ٦ — يوافق السلطان على تنفيذ القوانين وإذاعتها .

المادة ٧ — يعقد السلطان المجلس ويفتتحه ويغلقه ويجريه ويفضه.

المادة ٨ — فى الحالات التى لا يمكن فيها التئام المجلس يحق للسلطان إجراء الأحكام صونا لسلامة رعيته ، وحينما يعقد المجلس لأول مرة بعد ذلك ، تعرض تلك الأحكام التى أجراها السلطان بصورة استثنائية ، فان وافق عليها المجلس فبها ، وإلا يبطل العمل بها .

المادة ٩ — للسلطان الحق فى إجراء ما يشاؤه من القوانين لحفظ الأمن ، وسلامة الرعية وترفيهها ، ولكن لا يحق له — فى أى حال من الأحوال — تبديل قانون من القوانين الموجودة الآن .

المادة ١٠ — السلطان يعين رواتب الموظفين الملكيين والعسكريين ، ويعينهم ويعزلهم . والأحكام الاستثنائية فى هذا القانون أو فى غيره تكون متعلقة بكل فرد على حدة من الآخر.

المادة ١١ — للسلطان الاختيار الكلى فى أمر القوى البرية والبحرية .

المادة ١٢ — تنظيم الجيوش البرية والبحرية ، وتعيين عدد أفرادها من حقوق السلطان.

المادة ١٣ — السلطان يعلن الحرب ، ويعقد الصلح أو المعاهدة .

المادة ١٤ — ينفذ السلطان قانون المحاصرة (قانون المحاصرة وشرائطها ونتائجها هى طبق القانون المتعلق بذلك) .

المادة ١٥ — للسلطان الحق فى منح الألقاب والرتب وغير ذلك من الألقاب الفخرية .

المادة ١٦ — للسلطان أن يعفو عفواً عاماً عن الجرائم ، وأن يقلل العقوبات .

المادة ١٧ — طبقاً لأحكام القانون المنزلى السلطانى، فان للسلطان الحق فى تعيين نائب عنه، ولهذا النائب من الحقوق ما للسلطان نفسه .

الفصل الثانى

حقوق الرعية وواجباتها

المادة ١٨ — الشروط اللازم توفرها فى الانسان ليكون من الرعايا اليابانيين ستعين فى قانون محلى.

المادة ١٩ — يعين كل فرد من أفراد الرعية اليابانية — حسب قابليته — فى وظائف الحكومة العسكرية والملكية وغيرها .

المادة ٢٠ — اليابانيون مسئولون عن قبول الاستخدام فى الدوائر البرية والبحرية حسب القانون .

المادة ٢١ — الرعية مسئولة عن أداء ما عليها من الضرائب بموجب القانون .

المادة ٢٢ — للرعايا اليابانيين أن يسكنوا فى أى مكان ، ويرتحلوا عن أى مكان ، وإلى حيث شاءوا فى حدود القانون .

المادة ٢٣ — لا يقبض على شخص ، ولا يسجن فرد من الأفراد، ولا تقام عليه دعوى ، ولا يجازى إلا وفاقاً للقانون .

المادة ٢٤ — لا يحرم أحد الرعايا من هذه الحقوق ، ولا تقام الدعوى على أحد إلا أمام قاض قانونى .

المادة ٢٥ — لا يدخل بيت يابانى ولا يفتش بلا إذنه ، إلا فى الحالات التى ينص عليها القانون .

المادة ٢٦ — لا تذاع أسرار تحارير اليابانيين إلا فى حالات ينص عليها القانون .

المادة ٢٧ — الرعايا يتمتعون بحقوقهم فى أملاكهم ، وكل ما يرى نافعاً لليابانيين يسن له قانون خاص .

المادة ٢٨ — للرعايا اليابانيين الحرية المذهبيــة فى معتقداتهم ضمن الحدود التى لا تضر بالنظم ، ولا تخل بالأمن ، ولا تنافى واجبات الرعية ، من حيث إنهم رعية .

المادة ٢٩ — للرعايا اليابانيين الحرية فى الخطابة ، والكتابة ، والاذاعة،وفى عقد المجالس والحفلات ضمن الحدود القانونية .

المادة ٣٠ — لليابانيين حق تقديم العرائض طبقاً للقانون ، مع مراعاة الاحترام والآداب فى الكتابة .

المادة ٣١ — إن هذه الأحكام لا تمنع من نفاذ الأحكام التى يجريها السلطان فى زمن الحرب أو عند الضرورة .

المادة ٣٣ — إن كل الأحكام المدرجة أعلاه ، والتى لا تخالف القانون الحربى ـ البرى والبحرى ـ تنطبق أيضاً على الضباط والجنود .

الفصل الثالث

المجلس السلطانى

المادة ٣٣ — يتألف هذا المجلس من قاعتين : الأولى للأشراف ، والثانية للنواب .

المادة ٣٤ — ينضم إلى قاعة الأشراف ـ طبقاً للقانون الخاص بذلك ـ كل من أفراد العائلة السلطانية ، وأركان الحكومة ، والأشراف ؛ ومن يمنحه السلطان ذلك .

المادة ٣٥ — قاعة النواب هي لنواب الأمة الذين تنتخبهم طبقاً لقانون الانتخاب .

المادة ٣٦ — لا يحق لأحد ـ فى آن واحد ـ أن يكون عضواً فى القاعتين .

المادة ٣٧ — لا بد لتنفيذ كل قانون من موافقة المجلس السلطانى عليه .

المادة ٣٨ — تعرض القوانين التى تسنها الحكومة أمام هذا المجلس ، وللمجلس الحق في عرض ما يرتئيه من القوانين .

المادة ٣٩ — إذا رفض أحد المجلسين مشروع مرسوم قانون، لا يمكن عرضه مرة ثانية فى تلك الدورة .

المادة ٤٠ — لا يعرض مرة ثانية ما رفضته الحكومة من القوانين أو الآراء التى عرضها أحد المجلسين فى نفس الدورة .

المادة ٤١ — يعقد المجلس السلطانى كل سنة .

المادة ٤٢ — دورة هذا المجلس تدوم ثلاثة أشهر ، وعند الضرورة يستطيع السلطان مد دورته .

الماده ٤٣ — عند الضرورة يعقد المجلس دورة استثنائية تعين مدتها من قبل السلطان .

المادة ٤٤ — تحديد مدة الجلسة وافتتاحها واختتامها ، ومدها ومنعها منوط بأمر السلطان . وإذا عطل مجلس النواب ، فتعطيله يعطل مجلس الأشراف .

المادة ٤٥ — إذا ما عطل المجلس النيابى ، يعاد الانتخاب بأمر السلطان ، ويجب أن يتم ذلك فى مدة خمسة أشهر من تاريخ التعطيل .

المادة ٤٦ — لا يبحث فى أمر، ولا يؤخذ رأى فى أحد المجلسين ، إلا إذا كان الموجود من الأعضاء لا يقل عن الثلث .

المادة ٤٧ — الفصل فى هذا المجلس للأغلبية ، وإذا ما تساوت الأصوات يؤخذ فى ذلك رأى الحكومة .

المادة ٤٨ — يكون البحث علناً وجهراً فى هذين المجلسين ، إلا إذا كانت هناك ضرورة للسرية .

المادة ٤٩ — كل من القاعتين لها الحق فى تقديم العرائض إلى السلطان .

المادة ٥٠ — القاعتان مجازتان فى استلام العرائض من الرعية .

المادة ٥١ — علاوة على ما فى هذا القانون من الأحكام ؛وما فى قانون القاعتين ، فإن لهما الحق فى وضع نظم وقواعد داخلية لحفظ النظام وما أشبه ذلك ، لكل منهما .

المادة ٥٢ — لا يؤاخذ أحد الأعضاء خارج المجلس بما أبداه من الآراء فى المجلس ،

ولكنه يؤاخذ عما يبديه من الآراء أمام العامة ، سواء أكان ذلك بالخطابة ، أو بالنشرات ، أو غير ذلك من الوسائل .

المادة ٥٣ — لا يقبض على نائب فى هاتين القاعتين أثناء الدورة السنوية ؛ اللهم إلا إذا اجاز المجلس ذلك ، ويستثنى من ذلك من كان جرمه إخلالا بالأمن الداخلى أو الخارجى .

المادة ٥٤ — للوزراء ونواب الحكومة الحق فى الاشتراك فى هذين المجلسين ، وإبداء آرائهم .

الفصل الرابع

وزراء الحكومة والمجلس الاستشارى السلطانى

المادة ٥٥ — لكل وزير الحق فى إبداء رأيه وعرضه على السلطان فيما يتعلق بشعبه ، وهو المسئول عن عواقب تلك المشورة ؛ ولا بد لكل القوانين والأحكام والأوامر السلطانية التى تتعلق بالحكومة من توقيع وزير .

المادة ٥٦ — على المستشار السلطانى ، عند تكليف السلطان له بأمر من أمور الحكومة ، أن يبحثه جيداً ، ويبدى رأيه فيه .

الفصل الخامس

القضاء

المادة ٥٧ — على الدوائر القضائية تعميم العدل بموجب القانون القضائى .

المادة ٥٨ — تعين أركان الحكومة — وفقاً للقانون — كل حسب مقدرته وعلمه ؛ ولا يفصل مستخدم من وظيفته إلا جزاءً لجريمة ارتكبها ، أو تأديباً ، وفقاً لقانون التأديب .

المادة ٥٩ — تسمع الدعاوى على رءوس الأشهاد ، إلا إذا خشى من ذلك خلل فى الأمن ، أو أثر سيء على الأخلاق .

المادة ٦٠ — كل الدعاوى المستندة إلى قانون ما ، يفصل فيها بموجب ذاك القانون .

المادة ٦١ — لا يحق لدائرة من دوائر القضاء أن تسمع دعوى تقام على دائرة أخرى ، بدعوى أن تلك الدائرة أتلفت حقوق المدعى ، بينما أنه ليس من صلاحية هذه الدائرة استماع مثل هذه الدعوى .

الفصل السادس

المالية

المادة ٦٢ — تحصل الضرائب — القديمة والجديدة — بموجب قانونها ، ولا يزاد أو ينقص فيها شيء إلا بموجب قانون يسن بعد ذلك ، وأما الضرائب التى تتقاضاها الحكومة بصورة

تعويض ، فهى مستثناة من هذا الحكم ، ولا تضرب ضريبة على الرعية غير التى هى موجودة بنص القانون لقاء تحصيل القروض أو ما أشبه ذلك ، إلا بإذن من المجلس السلطانى .

المادة ٦٣ — إن الضرائب المنصوص عليها الآن لا تتغير إلا بنص قانونى آخر .

المادة ٦٤ — تعرض على المجلس السلطانى ميزانية سنوية للمصادقة عليها ، ولا يضاف على الميزانية شىء لم يوجد فيها قبلا إلا بعد الاستئذان من المجلس السلطانى قبل عرضها .

المادة ٦٥ — تعرض الميزانية أولا على النواب .

المادة ٦٦ — تدفع مخصصات القصر السلطانى من خزانة الحكومة سنوياً ـ كما هو مقرر لها ـ من غير إذن من المجلس السلطانى ، اللهم إلا إذا كانت هنالك ضرورة للزيادة .

المادة ٦٧ — لا يحق للمجلس السلطانى أن يرد أو يقلل من المصروفات التى نص عليها الدستور ، والتى حدثت إثر القانون فيما تتعلق مسئوليته بالحكومة إلا بعد أخذ رأى الحكومة فى ذلك .

المادة ٦٨ — يحق للحكومة أن تطلب مبلغاً خاصاً لمدة معينة ـ ليكون لها كرأس مال تستعين به على سد بعض حوائجها ـ من المجلس السلطانى .

المادة ٦٩ — يخصص فى الميزانية مبلغ من المال لسد عجز ما لا بد منه ، أى لم يكن فى الميزانية قبلا .

المادة ٧٠ — إذا لم يمكن ـ لسبب من الأسباب الداخلية او الخارجية ـ عقد مجلس سلطانى ، فحينئذ كل ما تحتاج إليه الحكومة من الأمور المالية يجرى بموجب حكم سلطانى ، ثم تعرض على المجلس ـ لأول مرة ينعقد بعد ذلك ـ تلك الأحكام للموافقة عليها .

المادة ٧١ — إذا لم يبد المجلس السلطانى رأياً فى شأن الميزانية ، أو لم تعرض عليه ، يعمل بها فى السنة التالية أيضاً .

المادة ٧٢ — تصادق على مصروفات الحكومة لجنة مالية ، ثم تعرض ـ جريدة الحساب مع مصادقة هذه اللجنة ـ على المجلس السلطانى للموافقة عليها ؛ (قانون هذه اللجنة المالية وتشكيلات رجالها تعين بقانون على حدة) .

الفصل السابع

قواعد ضمنية

المادة ٧٣ — متى ما اقتضى إصلاح أو تغيير أو تبديل فى الدستور ، تعرض على المجلس بأمر السلطان لائحة الإصلاح .

ولا يحق لإحدى القاعتين البحث فى الإصلاح إلا إذا كان مجموع النواب والأشراف يزيد على الثلثين ، ولا ينفذ إصلاح إلا بأغلبية ثلثى الحاضرين حينذاك .

[البقية على الصفحة رقم ٩٦٣]

كره العرب للحدادة

بقلم الأستاذ مصطفى جواد [بغداد]

كانت العرب تكره الصناعات ، ومن ذلك القبيل « الحدادة »،ولا سيما فى أول الاسلام ، لأنها إلى البداوة أميل ، وعن الحضارة أبعد ، وازدادت هذه الكراهية فى نفوسها ، حينما رأت أن الصنائع من شئون الأمم المغلوبة ، والسيد لا يتدنى عادة إلى شئون المسود ؛ ولاحتقارهم الحداد قالوا فى المثل «إذا سمعت بسرى القين فأصبح»، وأصله أن الحداد ـ على ما قالوا ـ إذا كسد عمله أشاع أنه يريد الارتحال ، ولكنه مقيم حقيقة ، فبذلك تتذكر الناس ما يحتاج إلى عمل الحداد من أشيائهم ويستعملونه لها،وهذا المثل يضرب للرجل يعرف بالكذب حتى لا يقبل صدقه بل يرد [1] .

وبلغ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن أناساً من رواة الأشعار وحملة الآثار يعيبون الناس ويثلبونهم فى أسلافهم ، فقام على المنبر وقال : « إياكم وذكر العيوب والبحث عن الأصول ؛ فلو قلت : لا يخرج اليوم من هذه الأبواب إلا من لا وصمة فيه ، لم يخرج منكم أحد » ، فقام المهاجر بن خالد بن الوليد،فقال : « إذاً كنت أنا وأنت يا أمير المؤمنين نخرج » ، فقال عمر : « كذبت ، بل كان يقال لك : يا قين ابن قين اقعد » ، فقد كان الوليد بن المغيرة ـ مع جلالته فى قريش وتسميته «ريحانة قريش والعدل والوحيد» ـ حداداً يصنع الدروع وغيرها ، ذكر ذلك عنه عبد الله بن قتيبة فى كتاب المعارف[2] ، والجاحظ فى المحاسن والأضداد ؛ ومن الذين اشتهروا بالحدادة وارتفعوا بالإسلام « خباب بن الأرت بن جندلة » ، فقد كان فى الجاهلية حداداً يعمل السيوف [3] .

وبلغ على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ أن عروة بن الزبير وابن شهاب الزهرى يتناولان علياً جده ويسبانه ، فأرسل إلى عروة يقول : « أما أنت فقد كان ينبغى أن يكون فى نكوص أبيك يوم الجمل وفراره ما يحجزك عن ذكر أمير المؤمنين ، والله لئن كان « على » على باطل ، لقد رجع أبوك عنه ، ولئن كان على حق لقد فرّ أبوك منه »،وأرسل إلى ابن شهاب، فقال :« وأما أنت يا ابن شهاب ! فما أراك تدعنى حتى أعرفك موضع كير أبيك [4] » ؛ والكير ـ كما هو معروف ـ منفاخ الحداد، فانظر كيف عدّ الحدادة عيباً ، وجعل الدلالة على موضع الكير مقطعاً لفخره ومجده ، وقال الأخطل يمدح سماكا الأسدى ، ولكنه ذمه :

---

(١) جمهرة الامثال لابى هلال العسكري ص ٦ . (٢) شرح ابن أبى الحديد ج٣ ص٢٤ . (٣)الشرح المذكور ج ٤ ص ٢٦٣ . (٤) كتاب الصناعتين لصاحب جمهرة الامثال ص ١٣ .

نعم المجير سماك من بنى أسد   بالطف إذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قيناً وأنبؤه   فاليوم طيّر عن أثوابه الشرر

وكل مراده أنه لم يكن حداداً ، ولو اقتصر على البيت الأول لكان ذلك أرفع ، وقال نهشل بن حرى يذم الحداد وخلقه :

وعهد الغانيات كعهد قين   ونت عنه الجعائل مستذاق

وسبب ذلك عندهم ، أن الحداد إذا أتى قوماً أحسن لهم الأعمال فى أول أمره معهم حتى يذوقوا منه ذلك فيأتونه ، ولكنه لا يجيد العمل بعد ذلك لهم .

وكراهة العرب لهذه الأعمال ليست من الدين على شىء ، ويوضح لك ذلك قول الإمام على بن أبى طالب – فى عهده – إلى مالك الأشتر النخعى – حينما ولاه على «مصر» وأعمالها – ونصه : « ثم استوصى بالتجار وذوى الصناعات ، وأوصى بهم خيراً : المقيم منهم ، والمضطرب بماله ، والمترفق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق . . . » كما هو مبسوط فى نهج البلاغة .

وإذا عرفنا القراء بهذه الحقيقة لم نجد فى صدرنا حاجة إلى ذكر شواهد أكثر مما قدمنا ، ولا سيما وأن هذه الكراهة زالت عند نزول العرب إلى الأعمال وإيغالها فى الحضارة ، وقد اشتهر فى التاريخ : شعراء ، وفقهاء ، وصوفية ، وزهاد ، وكلهم حداد ، والعجيب من القوم كرههم لما لا بد لهم منه ، ولا غنى لهم عنه ، وكانوا يكرهون الحجامة أشد الكراهية ، ولكنهم محتاجون إليها ، وكنا قد كتبنا فى « لغة العرب » بحثاً طريفاً فى « كره العرب للحياكة » وأكثرنا من أخباره . م؟

[بغداد]   مصطفى جواد

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٩٦١]

المادة ٧٤ — قانون القصر السلطانى لا يعرض على المجلس لتغييره أو البحث فيه ، وليس فى هذا الدستور مادة يستطاع بها تغييره .

المادة ٧٥ — لا يغير هذا الدستور ، ولا قانون القصر السلطانى ، ولا يحور ، إذا لم يكن السلطان بنفسه ، بل كان نائبه .

المادة ٧٦ — كل الأحكام القانونية ، والقوانين والأوامر السلطانية التى لا تخالف هذا الدستور يبقى معمولا بها .

كل المعاهدات الموجودة ، والتى تعود مسئوليتها على الحكومة ، والتى تتعلق بالمصروفات داخلة تحت المادة (٦٧) من هذا الدستور .   (للبحث بقية)

[عليكرة الهند]   إحسان سامى حقى

صفحات فى الأدب الألمانى

فيلاند WIELAND

بقلم الدكتور على مظهر

هو (كريستوف مارتين فيلاند)، ولد فى الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٧٣٣ بالقرب من بيبراخ، وكان أبوه قسيساً من الشباب، ثم صار كبير الوعاظ فى مدينته التى أقامت بها أسرة فيلاند منذ زمان بعيد.

نشأ (فيلاند) وربى تربية دينية شديدة، وكان فى مدرسة (كلوستر برجن) القريبة من (مجد برج) من سنة ١٧٤٧ — ١٧٤٩، وقد استمد أربابها من روح سبنسر تعاليمها ونظمها، وصار أحب الكتاب إليه فى ذلك العهد هما: شيشرون، وإيكزينوفون؛ وتعلم هناك الفرنسية، وقرأ بعض كتب فولتير وغيره من أحرار مفكرى الفرنسيين؛ ولما ظهرت قصة «المسيح» المنظومة شعراً من قلم (كلوبشتوك) سنة ١٧٤٨ تركت فى نفسه أكبر الأثر، واستولت على لبه، وأصبح يتحمس لناظمها، ويجله، ويبجله؛ ثم سافر سنة ١٧٤٩ إلى مدينة (أرفورت) ليستزيد علماً، ولبث فى منزل أحد أقاربه الأستاذ (باومر) سنة كاملة وهو مملاق، وفيها أطلعه باومر على قصة (دون كيشوت) التى حاول أن يأتى بمثلها فيما بعد، ثم رجع إلى منزل أبويه سنة ١٧٥٠، وأقام مدة قصيرة جعل فيها كل ما نظمه حتى ذلك الحين طعمة للنيران، فلحق أمه الأسى والحزن الشديد، وكانت بابنها اليافع معجبة، وعرف (سوفى فون جوترمان) فى (بيبراخ) وعقد خطوبته عليها، ولما كان يناقشها ويحادثها أثار فى نفسه ذلك العزم على إنشاد قصيدة حكم ومواعظ، موضوعها «طبيعة الأشياء، أو طبيعة الدنيا الكاملة»، وقد أعلن الحرب فيها على المادة، معتمداً على ما جاء بالإنجيل فى ذلك الصدد؛ ولما بلغ السابعة عشرة من عمره التحق بجامعة (توبنجن) - من سنة ١٧٥٠ حتى ١٧٥٢ - ليدرس بها القوانين، ولم يقتصر عليها، بل ضم إلى دراستها اللغات، والفلسفة، والتاريخ؛ وقد كتب حينئذاك كتباً خلقية وغيرها عارض بها (أوفيد)، وقوى ميله للتقوى والصلاح عند ما أقام فى (تزيورخ)، وقابل بودمر، وقد أرسل له فيلاند سنة ١٧٥١ قصيدة أبطال من نوع الملاحم، ولكنه لم يتمها، وأسماها (أرمنيوس) ليصدر حكمه عليها، فأضافه

هذا فى منزله فى السنة التى تلتها ؛ وعند بودمر وفى منزله ـ وهو على صلة متينة به ـ نظم قصيدة « إبراهام المبتلى » ، كما نظم غيرها، وبينما هو فى مدينة (تزيورخ) جاءه نبأ من خطيبته تطلب فسخ الخطوبة التى عقداها معاً ، وجاءته الأنباء بزفافها إلى غيره ، لأن بعض ظروف أسرتها اضطرتها إلى ذلك ، ولم يلبث فيلاند طويلا حتى اختاره بعض سكان (تزيورخ) معلماً لأولاده سنة ١٧٥٤ ، ثم إنه انتقل إلى (برن) حيث شغل منصباً كمنصبه المذكور فى (تزيورخ) ، ثم عاد إلى (بيبراخ) سنة ١٧٦٠ ، وصار شيخاً وكاتم سر بها ؛ وبعد خمس سنوات بنى بسيدة تم له معها الرفاء ورزق البنين الكثيرين ، وكان نعم الأب رخى العيش هنىء البال والخاطر ، وما لبث فيلاند أن حسنت علاقاته مع خطيبته السابقة (سوفى) ، وكان يكثر التردد عليها وعلى زوجها (جراف كونت ستاديون) الذى كان وزيراً ، وكان يلقى من الاثنين ترحاباً ؛ وباحتكاكه بذلك الوزير ـ الكبير الحنكة، الكثير التجارب ، العالم بآراء الإيضاحيين الفرنسيين والانجليز ـ عرف الشاعر ما عليه الطبقات الراقية من التهذيب والآداب ، وما هم فيه من عيش ناعم ، وعلم بالأمور . ولما كان فى بيئة تخيرت كل ما هو فرنسى من تهذيب ومزاج وتذوق ما ينتسب للفرنسيين ، فقد أصبح فيلاند بعدها يعتقد أن الحكمة فى الاستفادة كل الفائدة من المسرات الحسية ، وأن الخير فى الاستمتاع الكلى بما فى هذه الحياة من متاع ، وترى ذلك واضحاً كل الوضوح فى (رادين) وفى غيرها من الحكايات ، حيث يصف ما كانت عليه جاهلية الإغريق من حب للشهوات والملاذ الحسية ؛ ولما قرأ الناس له تلك الآراء وسمعوا منه تلك الأنغام التى يضرب على أوتارها ، قام بعضهم فى وجهه ، وقد أحرق بعضهم مؤلفات فيلاند سنة ١٧٧٣ لما اشتموه فيها من رائحة خبيثة فى زعمهم ، وقد أسدل ستار النسيان على جل هاته الرسائل ، كما تنوسى ما قاله من شعر سقيم ظاهره النسك والورع أول ما قرض الشعر ، وقد تخير فيلاند أسلوب الروايات إلى جانب ما للحكايات من تكوين وشكل ليعلن فيها آراءه . وكان يقتدى بالفرنسيين والانجليز ، نخص منهم بالذكر : فيلدنج ، وسترن ، وسويفت ؛ وكان يعمل على تقليدهم فى مزاحهم وفكاهتهم ، وكان يتخذ لحوادثها مسارح فى أسبانيا ، وفى الشرق ، وفى بلاد اليونان عادة ، أعنى أنه لم يكن يجعل مشاهد قصصه وحكاياته فى بلاد ألمانية ، بل إنه كان يصبغها صبغة أجنبية ، وتراه يقلد (دون كيشوت) التى كتبها سرفانتس فى رواية (دون سلفيو فون روزالفو) التى نشرها سنة ١٧٦٤ ، ثم إنه نشر بعدها بعامين أو ثلاثة رواية (أجاتون) ، وهى أشهر ما كتب ، وقد أتى فيها على وصف ما اعتراه هو من التحول والانقلاب ، فيريك أحد أشياع أفلاطون المدعو أجاتون ومعه أحد الصوفية المسمى هيبياس ، وهو يريد أن يقنعه بكذب مثاله

الأعلى فى الحياة ، وفساد رأيه فيها ، وهو يجهد نفسه ليحببه فى احط مبادىء الماديين وإفساد ما جاءوا به،بأن قال له : إن الذى يدعو الإنسان إلى العمل فى هذه الدنيا ، إنما هو أن يتطلب لنفسه كل لذة ، ويتخير لنفسه خير ما فى الأشياء وأطيبها ؛ وفى سنة ١٧٦٨ نشر روايته (موزاريون) ، جعل فيها فلسفة الظرفاء ، وكان زعيمها (موزاريون) يعيب على فلسفة الرواقيين والفيثاغوريين، وقد جعل زعيميها (كليانت) و (تيوفرون) .

ومات (الجراف كونت شتاديون) وانفض من كان يلتف حوله ، فما لبث (فيلاند) حتى دعى ليكون أستاذاً للفلسفة فى جامعة (أرفورت) سنة ١٧٦٩ ، فتقبل الدعوة وسار يحدوه البشر ، وعندها تقمص روحاً غير روحه .

واخذ يدرس فلسفة التاريخ ، ونشر فى سنة ١٧٧٢ روايته الملآى بالحكم والمواعظ ، وأسماها «المرآة الذهبية ، أو ملوك شيشيان » ، وقد جعل حوادثها تجرى فى الشرق ، وأخذ ينفث آراءه فى نظام الحكومات وفي السياسة الداخلية والخارجية، ولما طالعتها أميرة (فيمار الهر تزوجين إميليا) تركت فى نفسها أحسن الأثر،فأرسلت فى طلب (فيلاند) ليأتى إلى (فيمار) ويكون مربياً لأولادها ، وكان ذلك فى نفس السنة التى نشر فيها روايته ، ولبث فى تهذيبه للأمراء ثلاثة أعوام،وعند ما ولى الأمير(كارل أوجوست) الحكم، اختير ليكون مستشاراً للبلاط ، وانقطع لدراساته،ولقرض الشعر،وحسنت علائقه مع جيشه،ثم مع (هردر) و(شلر) ، ونشر روايته التهكمية (الأدريريون) سنة ١٧٧٦ يطلعك فيها على النضال بين السذج والطبقة الدنيا ، ويريك فيها ديمقراط الفيلسوف الذى نشأ فى (أديرا) إحدى مدن تراقية الصغيرة،ويريك الفيلسوف -إبان سفره إلى موطنه- راغباً فى بث تعاليمه الحديثة بينهم لكى يعتنقوها، وأمامه جماعة السذج من بلده وما هم عليه من قصر نظر، وما لهم من آراء محدودة وضيق صدر ، ثم إن فيلاند نشر حكايات وقصصاً أخرى فى مجلة كان أنشأها عند ما دعى إلى (فيمار) ،كان ينشر فيها أهم المؤلفات ، ويصدر أحكامه عليها، وقد نشر فيها سنة ١٧٨٠ أشهر ما قرض فيلاند من شعر ، نعنى بذلك قصيدته (أوبيرون) على مثال الخياليين ، وكان قد نشر كثيراً من قصصه الصغيرة على ذلك المثال من قبل، وكان يقتدى فى ذلك بشكسبير ، فقد سار فى قصيدته (أوبيرون) على غرار هذا الشاعر ، كما أنه قلد رواية فرنسية قديمة اسمها (أفون ده بوردو)،إذ تراه يمزج ثلاث حوادث هامة بعضها ببعض فى تلك الملحمة الخيالية، وقد أحسن فى مزجها،فهو يصف لك مغامرة (هيون) الذى احب(رضا)،وصالح (تيتونيا) مع (أوبيرون) ؛ وملخص القصة هو : أن كارل الكبير أمر الفارس هيون ابن الهرتزوج فون جوينه أن يخرج راكباً جواده فى طريق وعر وعمل كثير المخاوف والأخطار ليكفر

عن جرم آتاه ، إذ كان قد قتل ابناً للملك فى الحرب ، وكان على الفارس أن يذهب إلى بغداد، وأن يقتحم الأبواب حتى يصل إلى بهو الحفلات عند الخليفة اقتحاماً،ويضرب عنق الخليفة ، ثم يجلس إلى يساره ، وأن يحمل بنت الخليفة عروساً له ، وأن يحضر معه أربعاً من أسنانه الأمامية وخصلة من لحيته،وقد أراد الملك (أوبيرون) أن يساعد (هيون) فى مهمته الشاقة،فأعطاه قرناً وكأساً ساحرين ، وبهما أتم هذا ما أريد منه ، وحصل على (رضا) الجميلة بنت الخليفة عروساً له ، ولما كان الاثنان قد نذرا أن يتحملا اختبارات وآلاماً إذا ما تم لهما التوفيق ، فإنهما ظلا يختبران حبهما وإخلاصهما بأنواع عديدة من الاختبارات القاسية ، وبذا كفرا عن سيآتهما ورضى عنهما (أوبيرون) وصالحهما،وعاد الاثنان إلى (كارل) الكبير ورضى عنهما أيضاً بعد حديث يطول؛وقد أجاد الشاعر الوصف الخيالى والتنسيق وتخير لها لغة مقبولة وبحراً سهلا ، فأقبل الناس على مطالعتها ، وقد قال عنها (جيته) فى خطاب أرسله إلى بعضهم : « طالما يلبث الشعر شعراً ، والذهب ذهباً ، والبللور بللوراً ، فستظل (الأوبيرون) آية من آيات فنون الشعر المحبوبة التى يقدرها الناس حق قدرها».

وينشر فيلاند بعد ذلك بعشر سنين رواية (بيريجرينوس پروتيوس) على نظام الأحاديث ، وختم الشاعر حياته الشعرية سنة ١٨١٠ ، عند ما كتب رواية (أريستيب) ، صور فيها الحياة العقلية لأثينا أيام بيريكليس،وقد أتمها على هيئة كتب تبودلت بين أريستيب وعظماء وعظيمات ذلك العصر،أمثال : كليو نيداس،وديوجنيس،ولايس ، وغيرهم،وقد أكسب فيلاند تلك الصور القديمة مسحة حديثة فى التربية والعادات ونظام المعيشة ، وأبدل قوام الحياة القديمة وألبسه روحاً حديثة فرنسية الطابع غالباً .

ولم يكن فيلاند مؤلفاً فحسب ، بل إنه ترجم ونقل عن اللغات الأخرى كثيراً ، فقد عرف الألمان الشاعر الكبير شكسبير لما ترجم له فيلاند آثاره إلى الألمانية ، وقد نشرها فى ثمانية مجلدات بتزيورخ من سنة ١٧٦٢ إلى سنة ١٧٦٦ ، وقد نقل عنه اثنين وعشرين رواية تمثيلية كلها نثر ما عدا « حلم ليلة صيف » فقد نقلها منظومة ، ثم إنه ترجم مؤلفات لوسيان ورسائل هوراس وأهاجيه وكتب شيشرون ، وقد لزم فيها الصدق فى ترجمة الألفاظ ترجمة صحيحة ، ولو أنه نقل المعانى صحيحة فى أسلوب آخر غير الترجمة اللفظية،وانتقل فيلاند إلى رحمة مولاه فى العشرين من شهر يناير سنة ١٨١٣ بمدينة (فيمار)،ودفن فى ضيعة كانت له فيما قبل إلى جانب زوجه،وجوار حفيدة صديقة صباه (صوفى فون لاروش) .

ومع ما كان له من رأى فى الملذات والشهوات التى تتخذ هدفاً للطعن من أجلها ، فانه خدم الأدب الألمانى خدمات جليلة ، نذكر منها أهمها ، وهى :

١ — أنه اكسب اللغة ليونة ولطفاً ، وأكسبها المحبة فى القلوب ، وكانت من قبل على شيء كثير من الصلابة والقسوة ؛ وبذلك حول الأنظار إلى اللغة الألمانية وآدابها ، وجعل الطبقات العليا تستسيغها وتتذوقها ، وما كانت تعرف قبل اليوم غير ما هو فرنسى فى الذوق ؛ فلما جاء فيلاند وكتب ما كتب، عطف الناس على تلك الآداب الألمانية وأخذوا فى مطالعتها .

٢ — أعاد للقريض ما كان قد حطه (كلوبشتوك) من قدره ، وأعطى لنفسه حرية كبيرة حين النظم .

٣ — أعاد للسخرية والألغاز والفكاهة على النهج الألمانى حقوقها ، وأكسبها بهجتها من جديد .

٤ — فتح أمام الشعر الألمانى ميدان الخيال مرة أخرى .

وقد جاء بعد فيلاند من أراد أن ينحو نحوه فى قصائد الأبطال الخيالية المضحكة ، كما أريد تقليده فى كتابة الروايات ، ولو أن بعضهم قد أساء التقليد ولم يحسن النسج على منواله ، وترى أن نضرب صفحاً عن أولئك المقلدين ؟

على مظهر

ما هى الذرة؟

بقلم الاستاذ أنيس ميخائيل
مدرس العلوم بالمدارس الثانوية

يقول العلماء اليوم : إن المادة والطاقة التى تظهر مقرونة بها هما شىء واحد ؛ ولقد كنا نعتقد - حتى عهد قريب - أنهما شيئان مختلفان ، ولو أننا كنا نراهما دائماً متلازمين ؛ فالمادة إحدى صور الطاقة ، أو كما يقولون : طاقة متحولة إلى مادة Materialised energy ، والطاقة هى أبسط قسم من المادة Energy is the ultimate division of matter .

ولقد كنا -حتى عهد قريب أيضاً - نعتبر المادة مكونة من أجسام فى نهاية الصغر لا تقبل التقسيم تسمى بالذرات ؛ ولكننا الآن نعتقد أن الذرة تنقسم إلى مكوناتها من الطاقة Energy elements ، وهى البروتونات والألكترونات ؛ فالبروتون هو نواة الذرة وحوله الألكترونات ؛ والبروتون هذا هو وحدة الكهرباء الموجبة، وله قوة جذب الألكترونات التى هى وحدات الكهرباء السالبة ؛ فالذرة - إذاً - هى مجموعة كهربائية متعادلة ، مكونة من البروتون والألكترونات حوله ؛ والبروتونات يختلف بعضها عن بعض فى عدد الألكترونات التى تنجذب إليها ، وهذا الخلاف فى جذب البروتون للألكترونات هو الذى يسبب تغيراً فى الأوزان الذرية للعناصر ، وهو أيضاً الذى يجعل البروتونات عناصر مختلفة ؛ فالقول بأن العناصر جميعها ذات أصل واحد، ويمكن تحويلها بعضها إلى بعض ؛ أصبح حقيقة علمية ، ولا غرابة إذاً فى أننا نسمع أن الزئبق - مثلا - تحول إلى ذهب،فقد أمكن تحويل الايدروجين إلى هليوم ، كما سيأتى بعد .

وإذن نستطيع أن نقول : إن وزن الذرة من أى عنصر هو وزن البروتون مضافاً إليه وزن ما حوله من الألكترونات ، غير أننا نعتبر هنا أن البروتونات تختلف من حيث قوة جذبها للألكترونات ، وأما الألكترونات فهى متماثلة إذا نحن أهملنا نوع البروتون الجاذب لها ؛ فغاز الايدروجين هو العنصر الذى له أقل وزن ذرى ، فبروتونه يجذب ألكتروناً واحداً فقط ، ولذا اعتبرنا وزنه الذرى (١) ، ثم نسبنا إليه الأوزان الذرية للعناصر الأخرى التى تبلغ التسعين تقريباً،وحيث إن الوزن الذرى للايدروجين (١)،فلا بد أن تكون الأوزان الذرية للعناصر الأخرى هى مضاعفات(١) ، ويلاحظ أن الذرات التى بينها تفاوت كبير فى أوزانها الذرية يكون بينها تفاوت عظيم أيضاً فى خواصها الطبيعية والكيميائية، أما الذرات المتقاربة الوزن الذرى ، فاننا نجدها متقاربة فى الخواص الطبيعية والكيميائية ؛ وممن لاحظوا

هذه الملاحظات ، وكونوا لهـا قانوناً خاصاً من الـكيميائيين : نيولاند ، وماير ، ومندليف ؛ وهؤلاء كونوا أساس الفلسفة الـكيميائية الحديثة.

فالذرات تتحد بعضها مع بعض ، سواء أكانت متماثلة أم غير متماثلة لتكون الجزئيات Molecules ، وهى مأخوذة من اللاتينية ، ومعناها بالعربية : الـكُتَل الصغيرة ؛ ومفردها جزىء ، وهو أصغر جزء من المادة يحتوى على الذرات ؛ والمـادة بأنواعها ـ سواء أكانت صلبة ، أم سائلة ؛ أو غازية تتكون من هذه الجزيئات .

ولم يعلم أن الذرة مكونة من بروتون وألـكترونات إلا سنة ١٨٩٥م ، حيث بحث العلماء فى مكونات الذرة ، وقد تعلمنا من هذه الأبحاث أن أبسط شحنة كهربائية هى شحنة الألـكترون ، وكل شحنة عداه أكبر منه ومضاعفات له ؛ فالألـكترون هو بؤرة الطاقة والـكتلة ، وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن الـكهرباء ذرية ، وإن المادة كهربائيـة ؛ ولأن الايدروجين هو اخف المواد ، فقد استنتج علمـاء الطبيعة والـكيمياء أن المواد الأخرى لا بد أن تـكون قد تـكونت منه نتيجة ترتيب خاص فى الذرات ؛ أو زيادة فى تزاحم هـذه الذرات ؛ ولقد قال بهذه النظرية العالم الـكيميائى (پروت) منذ مائة سـنة تقريباً ، ولقد ساعد هذه النظرية ـ حديثاً ـ تحويل الايدروجين إلى هليوم ؛ ومما يؤيد هـذه الفـكرة ظاهرة الإشعاع الراديومى Radioactivity التى لاحظها أحد علماء الفرنسيس وهو (بيكريل) بينما كان يجرى بعض تجاربه على مركبـات اليورانيوم ، حيث بدا له ـ عن طريق الصدفة ـ أن كل مركبات اليورانيوم ، كانت تشع ألـكترونات ؛ وعقب هذا وجدت (مدام كورى) هى وزوجها عنصر الراديوم ، ولاحظا أنه يشع ألـكترونات أكثر من اليورانيوم مليون مرة تقريباً ، ولذا سميت هذه الخاصية بخاصية « النشاط الراديومى Radioactivity » نسبة إلى الراديوم الذى يشع ألـكترونات بكثرة؛ ولقد ظن الناس أولا أنها خاصة بالراديوم واليورانيوم فقط ؛ ولـكننا نعلم الآن أنه تشترك فيها جميع العناصر ، غير أنهـا تـكون فى بعض المواد أكثر منها فى الأخرى،وهى تقودنا إلى : اختـلاف تركيب الذرة ، وإلى القول بأن الذرة ليست هى ابسط جزء من المادة ، بل هناك جزء أبسط منها ، وهو الطاقة الذى منه تتكون المادة أيا كانت .

ومما سبق ، افترض بعض فلاسفة الـكيمياء أن البروتونات والألـكترونات توجد على حال متحركة فى الأثير،والأثير هذا ـ وهو مادة مفروض وجودها فى جميع الأجسام ، وله نظريات خاصة تتعلق به ـ ينـكره بعض العلماء ، ويقره البعض الآخر ؛ وممن ينـكرونه الطبيعى الشهير

(ستينمتز) ، وهو يقول : إن الألكترونات والبروتونات التى تظهر على صورة اشعة وموجات ضوئية ليست إلا خواصاً لمجال مغنطيسى كهربائى للقوة ، او الطاقة التى تملأ كل مكان ؛ ومن الذين يعتقدون اعتقاداً راسخاً بوجود الأثير العالم الشهير (السير اوليفرلودج) ، وهو يقول : إن الألكترونات والبروتونات ليست إلا حلقات قوة او طاقة فى الأجسام؛ وعلى هذا الاعتبار يكون الأثير هو المنبع الأصلى للمادة ، ويكون معنى هذا أنه لا يوجد ما نسميه بالمادة ، ويكون كل ما هو موجود وواقع تحت حسنا ـ سواء أكان حياً أم جماداً ـ ليس إلا تحويراً فى الطاقة الأصلية التى توجد فى حالة حلقات متحركة ؛ ونورد هنا الأشكال التى تبين تصورنا للذرة فى حالاتها المختلفة ، كما تصورها العلماء :

١ ـ الذرة كما تصورها (نيوتن) حوالى سنة ١٧٠٤ م ، وهى حبة جامدة ذات أشكال مختلفة .

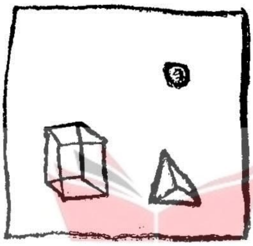
٢ ـ الذرة كما تصورها (بوسكوفش) حوالى سنة ١٧٥٨م ، وهى عبارة عن مراكز قوى .

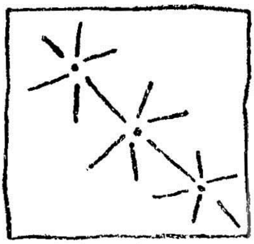
٣ ـ الذرة كما تصورها (دالتون) حوالى سنة ١٨١٠ م ، وهى عبارة عن دقائق متناهية فى الصغر ، ولكن لها وزناً معيناً .

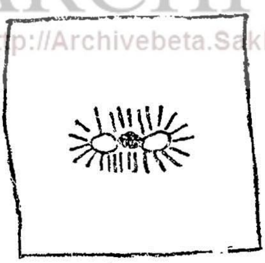
٤ ـ الذرة كما تصورها (كلفن) حوالى سنة ١٨٦٧ م . وهى عبارة عن حلقة .

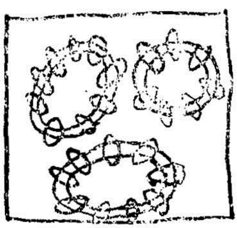
٥ ـ ذرة الليثيوم فى نظر (بوهر) حوالى سنة ١٩١٣ م .

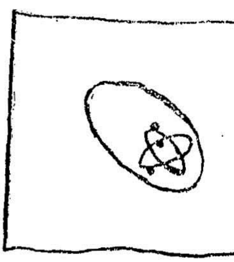
٦ ـ الذرة فى تصور (اسكرودنجر) حوالى سنة ١٩٢٥ م .

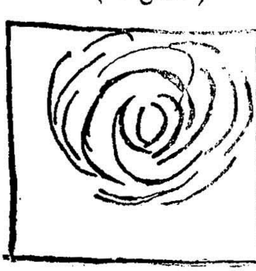

(شكل ١)


(شكل ٢)


(شكل ٣)


(شكل ٤)

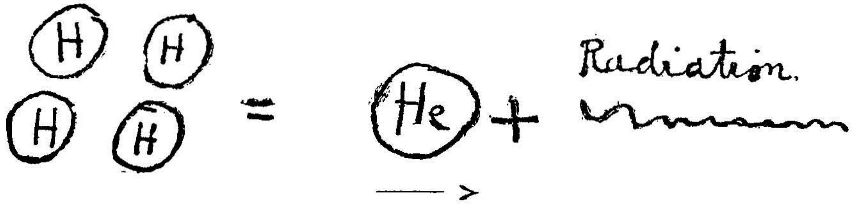

(شكل ٥)


(شكل ٦)

أما النظرية الذرية ، فأول من قال بها هو الفيلسوف اليونانى (لوسيبس) منذ ٢٤٠٠ سنة

تقريباً ، واعتقد بها تلميذه (ديمقريتس) ، وكثيراً ما تنسب إليه ، وفى حالتها الراهنة تنسب لدالتون الانجليزى ؛ ولكن كل هؤلاء لم يتصوروا أن الذرة تنقسم ، وأنها تتكون مما هو أبسط منها ، وهو الطاقة .

والشكل الآتى يبين معادلة تحويل الايدورجين إلى هليوم وأشعة فى عهدنا الحاضر :



أشعة + ذرة هليوم = ٤ ذرات إيدروجين

ومن عهد (دالتون) بدأنا نتصور الطبيعة والكيمياء تصوراً آخر غير ما كنا عليه ؛ فعلوم (نيوتن) الطبيعية كانت تمهيداً إلى علوم (آينشتين) ، وكيمياء (دالتون) كانت تمهيداً إلى (رزفورد) ، وهكذا .

فالذرة — على صغرها — تشبه المجموعة الشمسية فى وسطها البروتون وحولها الألكترونات ، كالشمس ومن حولها الكواكب . وكما أن الجاذبية بين الشمس والكواكب تحفظ توازن الكون ، فكذلك الجاذبية بين البروتون والألكترونات تحفظ توازن الذرة ، وكما أن الشمس تخرج طاقة ضوئية من تحليلها ، فكذلك الذرة تخرج منها هذه الطاقة ؛ فما أكثر التشابه بين هذا الكون وهذه الذرة ، فسبحان من خلق من الحبة قبة ، وسبحان القادر على كل شىء . . ؟

أنيس ميخائيل

(٦) تجاربي في الحيـــــاة*

بقلم الاستاذ أسعد بك لطفي حسن

أعود بك - أيها القارىء الكريم - ونتوجه معاً إلى المدرسة الخديوية بشارع درب الجماميز ، حيث اندمجت بين طلابها ، مع وجود المسافة البعيدة بينها وبين حي باب الشعرية الذى كان يقيم فيه من نزلت بساحتهم من أهلي ؛ فكنت أروح وأغدو مشياً على الأقدام ، ولم تكن هنالك وسائل للمواصلات إلا عربات الخيل،وهي لأولاد السراة والأغنياء أو بالأجر ، وأنا يتيم لا قبل لى على احتمال دفع الأجرة ، وكانت هنالك أيضاً «الحمير» ، ولم أكن متعوداً ركوبها لما تكلفني من النفقات ؛ ولهذا كانت تلك المسافة الطويلة قصيرة أمام عزيمتي ، ويخفف متاعبها عليّ فريق عظيم من زملائي في المدرسة من أبناء الحي؛وأذكر الآن-وقد امتد الترام في ذلك الطريق - أن الشاب الذى تصح له الحركة والنشاط لا يفكر مطلقاً في قطعها بالقدم ، وأن أصغر منها من الطرق لا يتم إلا بالركوب،وبحثت طويلا فيما انتشر من الأمراض وظهر بين الشبيبة وقضى على حياة الكثيرين ، فوجدت أن ذلك التكاسل من أهم أسبابه ، وقد انقلب نشاط الأمس وحركته إلى تهاون وترف وفتور في همة الشباب وعزيمته ؛ ومن الناحية الأخلاقية أذكر أنا كنا نسير من البيت إلى المدرسة لا نفكر مطلقاً إلا في المدرسة،ولا نلتفت إلا إلى واجبها ، وليس فينا من يدخن ، أو يداعب ، أو يتصيد ، أو يغازل ، أو يضيع وقته في مفسدة ، وكان « مصروفنا » القليل الذى يتناوله الواحد منا في اليوم يشجعنا على عدم تغيير خطتنا المثلى ، والاعتدال،والاستقامة ؛ أما الآن ، فاليافع المراهق من أولادنا لا يرضى بعشرات القروش يومياً ، حيث يدخن قبل كل شيء ، ويرتب أوقات فراغه قبل تدبير ساعات عمله ، ويبحث عن دور الملاهي قبل أن يصل إلى مدرسته ، فاذا ما ولج بابها وجد صديقه ينتظره للاتفاق على ما دبره هو بدوره ، وربما شغلهما التدبير عن الإصغاء إلى الدرس،ورحم الله زمن تلك العصا التي كانت في يد المدرس بالأمس،لا يتورع عن استعمالها عند الحاجة ، وقد خلت أيامها، وحلت محلها الملاينة والملاطفة ، وقد كان المعلم موضع المقاومة

* راجع « المعرفة » ج ٩ و ١١ و ١٢ من السنة الاولى و ٥ و ٧ من السنة الثانية .

والمناقشة ؛ أذكر هذا كله ، وأتفكر فى تقلب الليل والنهار ، وفى انقلاب الحال إلى ما نحن عليه ، مما يسمونه الرقى والتمدن ، فأرضى لنفسى الجمود ، وأذكر ذلك الأمس الغابر بالزفرات والحسرات ؛ وأرسل كلمتى إلى الآباء ، وقد كانوا سبب ذلك التغيير ، إذ انصرفوا بدورهم عن واجباتهم ، وتركوا أولادهم بعيدين عن اهتمامهم ، وجعلوهم هدفاً للبيئات التى يوجدون فيها .

فى طريق المدرسة ، وفى سبيل التعليم ، تتمثل مآس ومفاجع ، بل هنات ومخاز بين الشباب فى نوعيه ، وتنقلب الغاية السامية إلى هوى النفس وملاذها،وتضيع النتيجة المطلوبة ، وتصل إلى أسوأ الأدوار ؛ فالفتى الذى ينفق عليه أهله ليتعلم ، والفتاة التى يراد تجميلها بالعلم والأدب ، ينسيان ذلك ويتغازلان ، ويتبادلان النظرات والإشارات ، ويحددان الأوقات للمقابلات ، ويختاران الخلوات للنزهات ، ويعلم الله ماذا تكون العاقبة ، وهذا كله فى ظلال المدنية ، وتحت أفق الحرية الكاذبة .

وما منشأ ذلك ؟ هل هو خفى على الناس،أو هو معلوم لهم؟ إنى أرى-وأنا الرجل المحافظ على الطراز القديم الذى لا يساير المدنية الخلابة،والذى أكسبته التجربة خبرة-أن المفروض على الجاهرة برأيى ، وأرى أن ذلك الرأى ينصب على السينما والتمثيل،لأنهما سببان كبيران من تلك الأسباب ، وأن الغفلة عن مراقبة ما يمثل فيهما أدت إلى هذه الحال المحزنة ، وأن الفتى معذور إذا وجدت أسباب التلقين مشاعة بينه وبين أترابه ؛ ففى دورها تمثل الخيالات على الشاشة ، والوقائع العملية فى فسحاتها وبين جدرانها ؛ وفى الروايات السينمائية مخاز وفضائح ، خصوصاً فى دورها الكبيرة التى يرتادها جمهرة الشعب، ويغشاها سواد العامة الوسط؛فلا تخلو رواية تمثل فيها من عشق وغرام ، وتحايل وتفنن فى أساليب الوصال والدلال ، واللعب بعقول البسطاء والسذج ؛ وقد كنا بالأمس نهزأ بسامعى قصص:عنترة ، وأبى زيد الهلالى ، والزناتى خليفة ، ويعلم الله أنها - مع خرافيتها - كانت تبعث فى نفوس السامعين روح الشجاعة والتحمس ، فيميل بعضهم إلى الانتصار لهؤلاء الفوارس ، ويطرب لذكرهم ؛ وكانت تسلية بريئة من النقائص والرذائل ، وكانت اجتماعات لا تهرق فيها دماء الفضيلة،ولا يستثار الشر من كل جنباتها ونواحيها،فحبذا الاجتماعات التى كنا نهزأ بها ونسخر منها ؛أما دور الملاهى الآن-وهى مهبط شياطين الإنس ، ومأوى قادة الشر المستهترين ، وموطن الفجرة العابثين - فقد أصبحت مفخرة التمدين ، وعنوان الحضارة ؛ وليس ثمة شىء من أمل أو رجاء فى تقويم معوجها وإصلاح فاسدها ؛ فإنه بينما تعرض أمامك - على الشاشة البيضاء (السينما) أو على المسرح - تمثيل عاقبة المضللين وآخرة المغرورين ، تجد من بين أفراد النظارة من يغتنم الفرصة ، ويعمل ما يؤدى إلى الحسرة والغصة ، وإنك لتجد فى هذه الدور - التى يظن أهلها

أنهم قادرون على خدمة الفضيلة ، وإذا بها أسباب تهيأ لنتائج الرذيلة ، وإدماء القلب ، وجرح النفس — أن قوام كل ذلك هى الطبقة المتعلمة ؛ أما أمسنا القريب ، وملاهينا الساذجة فكانت مدعاة للتفكير والتأمل؛فإنى أذكر مسارحنا وملاهيها،ومقدار ما كان يبالغ أصحابها فيه من الحيطة والحذر من تلك المخازى،بل أذكر –فوق ذلك– أننا كنا مفكرين،ينقصنا التنقيح والتحسين ؛ فإن (سينما) بلادنا كان «خيال الظل» تنقصه الكهرباء،فلو تحركنا قليلا،وفكرنا قليلا ، لأمكننا التقدم واستخدامه فى الصالح ، ولكن هو شقاء الشرق العامر بالذكاء والفطنة ، أهله كسالى لا يتخطون موقفهم ، فيأتى الغربى فيأخذ عنهم ، وينكر فضلهم ، ثم تنبثق أمامه أنوار البحث ، فيكتسب المجد والفخر،وينسب إليه الفضل؛وقد دفع هذا النجاح أبناءه، فساروا ووقفنا،وتقدموا وتأخرنا ، وعملوا وتكاسلنا، ونجحوا وفشلنا ؛ وأصبحوا هم رجال العمل ونحن رجال القول ، سنة الله فى خلقه ، من جد وجد ، ومن سار على الدرب وصل ! رحماك ربى ما العمل ؟

نعود إلى المدرسة ؛ دخلت يوماً أحد الفصول ، وكان ذلك فى الفراغ الذى يتخلل حصص الدروس ، فسمعت طالباً يقرأ القرآن ،وإخوانه الطلبة حوله يستمعون إلى حسن تلاوته،وإجادة قراءته ، ورخامة صوته ، وبعد ختامه قاموا جميعاً إلى مسجد المدرسة واستعدوا للصلاة ، فانتشروا للوضوء ، ثم أذّن ذلك الطالب بصوته الجذاب ، فأقبل آخرون ، وصلى هؤلاء الأبرار الأطهار ، وحافظوا على وقت درسهم ، فقفلوا راجعين إلى فصولهم ، ومن محاسن الصدف أن كانت حصة اللغة العربية ، فبدأ الأستاذ يشرح الدرس ، وكان يطبق كل نظرياته على آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وحكم مأثورة ؛ وكان الدرس روضة فيحاء ، وحديقة غناء من آيات العلم والأدب ، تقتطف فيها أزاهير الفضيلة والأمانة والاستقامة ، وينتشر فى أرجائها نور الإيمان والتقوى واليقين ؛ كان هم الأستاذ – وقد جعلنا أبناءه – أن ينبتنا نبتاً صالحاً فى الأمة ، ولا أخفى أن بعضاً من المستهترين أحرج موقفه وأدرك عاقبته ، فجارى بقية إخوانه ، وكانت هذه المجاراة داعية إلى الصدق فى العزيمة ، والإخلاص فى النية ، حتى حسنت حاله ، وعمل مع إخوانه ؛ وكانت برامج التعليم – وقتذاك – فى منأة عن هوى السياسة ، وكانت ذخيرة صالحة نافعة للأمة،ولكن تغير ما كان ، فضل السعى ،وخاب المسعى، وحسبنا الله ونعم الوكيل !

أما الدين فكانت له الأهمية الأولى فى التعليم،لأنه نبراس وضاء يهدى إلى الحق،فكانت الحياة العامة الهادئة أول ما يشجع الفرد على القيام بتكاليفه ، وكانت الجرائم قليلة ، وكان المجرم غير خفى عن الناس ؛ والدين لله كله،لهذا جفاه الناس،وخبت أنوار مصابيحه الوهاجة بين جدرانى

دور التعليم ، فأصبحنا فى ديجور الجهالة ، وحلكة الضلال ، وظلام الفساد ، وتساوى المتعلمون وغير المتعلمين ، وتضاعفت الأوزار ، وتغلب الفجار ، فانقلبت الحال إلى أسوأ الأحوال. كنا فى المدرسة ـ وفيها المسلم وغير المسلم ـ ولا يستطيع واحد أن يتظاهر بالفسوق أو الفجور ؛ وكان لى صديق حميم حفظ القرآن ـ وإن لم يكن من أبنائه ـ وقد أجاد الحفظ ، وأصبح من الفصحاء البلغاء ، ولولا ما وجد عليه أهله وآباءه لفتح لنفسه فى حياته طريقاً حسناً ، ومع هذا فهو عنوان الاستقامة والفضيلة .

كانت المدرسة الخديوية تجمع أبناء السراة وأولاد الفقراء وفيها أبناء الوسط بين الاثنين، فما كنت تشعر بفوارق بينهم ، لأنهم كانوا يحترمون أنفسهم ، ويوقرون بعضهم بعضاً، وليس بغيضاً بينهم إلا من شمخ بأنفه فى ازورار ، أو مسه طيف الغرور ، فكنت تراهم مجمعين على هجره ، متفقين على نبذه نبذ النواة؛ وكان التفاخر بينهم بالتقدم فى الدروس، والتفوق فى الامتحان يسمو الفقير بتقدمه وحسن نتائجه ؛ وكانت المدارس للعلم والأدب فقط ، وللعلم والفضيلة فقط، ولا أستطيع أن أقول: ماذا هى الآن؟ اللهم هيىء لنا من أمرنا رشداً ! وكان المدرسون مع الطلبة بمثابة الآباء الرحماء مع الأبناء الأتقياء ، وجهود المدرس لتعليم وتربية الطالب . وهمّ الطالب : التحصيل والحفظ والأدب ، كلاهما يشعر بواجب عليه يؤديه، فإذا اشتد المعلم وقسا كان لصالح الطالب، وإذا أهمل الطالب وتكاسل وجد عناية واهتماماً باصلاحه وتحسينه. أما الآن . . . ؟ ! ! !

جاوزت السنة الأولى من المدرسة وفزت بنجاحى، وما حلت السنة الثانية إلا وقد رمدت شهرين متتابعين حرمت فيهما الدرس والمدرسة ، وانتهى الأمر بما لا يرضاه الشفيق من ضعف البصر ؛ فكانت حقبة من الزمن لها أثرها عندى، وحفظته ذا كرتى ، لأنه مؤلم شديد، إذ لولا عناية الله الساهرة على اليتيم ، لضاع بصرى بين كفتى القدر .

رمدت عيناى ، فأكرهت على المكث فى البيت ، وفيه عدد كبير من أهلى ، ولهم طبيب يعودهم ، ولكنى محروم الاهتمام من أحدهم ، إذ كل مشغول بأولاده ، وانقطعت عن المدرسة ولا من يحس منهم ما أنا فيه ، حتى أرسلت المدرسة كتاباً تستعلم فيه عن خبرى ممن كان مراسلا لى ، فبدت مسألتى فى الظهور، وإذا بى فى غرفتى أتوجع من باصرتىّ ؛ وجاء الرسول يبحث عنى ، وأرسل نظره إلى ، فرق قلبه لى ، ورجع مع الطبيب فعادنى ، ولولا فضل الله بهذه المنة لفقدت بصرى، وثوى الألم ببصيرتى ، حيث كنت أسمع أن مرضعاً توعكت قليلا، فجىء لها بالطبيب حرصاً على صحة رضيعها ، وبلغ الاهتمام بها مبلغاً جعلنى أدرك أن ذلك المخلوق الصغير الذى ترضعه موضع عناية أبويه ، وغاية رجائهما ، وأنا من يهتم بأمرى ، وقد فقدت الرجاء فى الأبوين ؟ ؟

أسعد لطفى حسن

ديوان ابن زيدون

بقلم السيد على أحمد با كثير (عدن)

إنه ليوم سعيد ، ذلك اليوم الذى أقبل إلى فى أصيله صديقى الأديب الفاضل عمر بن محمد محيرز الحضرمى العدنى ، متأبطاً كتاباً ضخماً ، جميل التجليد ، حسن الشارة ، بديع الرواء ؛ فما أن وقع نظرى على عنوانه المرسوم على جلده بالحبر الذهبى « ديوان ابن زيدون » ، حتى امتلكنى السرور ، واستولى على الجذل ، وشع فى نفسى الطرب ؛ فما المحب الذى واصله حبيبه بعد طول الهجر ، وانقطاع الأمل فى الوصل بأشد فرحاً منى بهذا الديوان الجميل الذى طالما اشتاقت نفوس الأدباء واشرأبت أعناقهم إليه .

ولم اكد أتصفحه ، حتى تجلت لى مظاهر العناية بتصحيح الكتاب ، وإبرازه فى أجمل حلة ، وأنضر رواء ، فشكرت للأستاذ المفضال الشيخ عبد الرحمن خليفة ، وظهيره فى ذلك الأستاذ كامل كيلانى ، تلك اليد البيضاء التى أسدياها إلى قراء العربية ، وطوقا بها — فيما طوقا به — جيد الأدب العربى بإبراز هذا الديوان العظيم لهذا الشاعر العبقرى الكريم .

ولم يقتصرا على تصحيحه وشرحه فحسب ؛ بل وفقا إلى تحليل شاعرية ابن زيدون ، وإظهار ما له من مزايا رائعة ، ومواهب سامية فى شعره .

ولقد استطاعا — بما بذلاه من شرح وتبيان مبنيين على دقة وإمعان — ان يستدرجا القارىء إلى رأيهما فى وضع ابن زيدون فى الصف الأول من فحول الشعراء الممتازين كالمتنبى ، والبحترى ، وابن الرومى ، ومن إليهم .

وقد قرأت الديوان ، وتنقلت فيه بين روضة وغدير ، وأمتعت نفسى بمطالعته كل الإمتاع ، وجعلته سلواى فى غربتى ، وانيسى فى وحدتى ؛ وعنّ لى ان اكتب ملاحظات بسيطة عرضت لى اثناء المطالعة علّ فيها فائدة لنفسى ، ولإخوانى الأدباء الكرام ؛ ورأيت أن اختص بها مجلة « المعرفة » لما لها من مكانة سامية فى نفوس قراء العربية ، ولأن

لها المحل الأول فى قلبى من بين أمثالها من الصحف والمجلات ؛ وها هى ذى الملاحظات على الترتيب :

١ - ابن زيدون بحترى المغرب

إنى لمغتبط جداً بما وفق إليه الأستاذان من الحجج الدامغة ، والبراهين الثابتة فى الابراه على نبوغ ابن زيدون وعبقريته واستحقاقه لأن يلقب بـ « بحترى المغرب » ، وأعد هذا فتحاً عظيماً فى عالم الأدب العربى ، ودرساً نافعاً للمشتغلين به يقضى عليهم أن يتعمقوا فى الدرس ، ويستفيضوا فى البحث ، ولا يقتصروا على النظرات السطحية والخلاصات المدرسية حتى لايقعوا فى أغلاط فاحشة ، أيسرها هضم حق شاعر متقدم نابغة كابن زيدون .

وكان الواجب عليهما أن يكتفيا بهذا الانتصار الباهر ، وأن يتهما رأيهما - ولا سيما بعد أن درسا ابن زيدون دراسة مستفيضة يعلمان أنها ستؤثر فى مشاعرهما إلى حد ما ، كما أثرت مثل هذه الحال فى غيرهما فى غير ابن زيدون، ففضله على جميع الشعراء - فى الحكم الذى أصدراه من تفضيل ابن زيدون على البحترى فى تلك المواقف الشعرية التى قابلا فيها بين الشاعرين مما اشتركا فيه ، أو بعبارة أصح مما حذا فيه ابن زيدون حذو الوليد ، وقلد فيه أسلوبه ، حتى لايهضما حق شاعر نابغة كالبحترى بحجة الدفاع عن شاعر متقدم كابن زيدون .

إنى أوافق الأستاذين فى استحقاق ابن زيدون لقب « بحترى المغرب » لبلوغه الدرجة التى تؤهله لذلك ، ولأنه لايوجد فى شعراء المغرب أشبه بالبحترى منه فى : براعة أسلوبه ، وجمال تركيبه ، وسلاسة نظمه ، وروعة بيانه ؛ ولكنى لا أستطيع موافقتهما فيما يشتم من رائحة كلامهما من تفضيل المشبه على المشبه به فى مجموع شعرهما العام ، ولا فيما صرحا به من تفضيله عليه فى تلك المواقف الشعرية الرائعة التى قابلا بينهما فيها .

ولست بصدد البحث فى صحة الرأى الأول أو فساده ، لأن ذلك يستدعى الفصول الطوال ، ولا تكفى فيه عجالة كهذه ، ولكنى سأنبه على فساد الرأى الثانى ، وأرجو ان يكون معى القارىء فى عذر الأستاذين الكريمين فى هذا الوهم الذى دفعهما إليه الإعجاب والافتتان بشاعر مهضوم الحق درساه دراسة مستفيضة ، فاستطاعا أن يرجعا حقه إلى نصابه .

ولا اقول إنهما قصرا فى دراسة البحترى ، بل أعتقد أنهما درساه دراسة مستفيضة

كما صرحا بذلك ؛ ولكن الجديد يغلب القديم ، ولشعورهما بلذة الفوز الباهر الذى وفقا إليه فى دراسة ابن زيدون ـ ضد ذلك الرأى الذى يهضمه حقه ـ اثره البليغ فى ذلك الافتتان .

قال الأستاذان : « ومن العجيب أن ابن زيدون قد اشترك مع البحترى فى عدة صور شعرية ، كما اشترك مع غيره من الشعراء فكان ماذا ؟ كانت الصور الكلامية التى يبدعها الشاعران جديرة أن توضع فى أرقى المتاحف حين يشتركان فى غرض واحد ، ولكن الصور التى أبدعها ابن زيدون جديرة بالجائزة الأولى فى أغلب الأحايين ؛ قال البحترى :

ولما حضرنا سدة الإذن أخرت ... رجال عن الباب الذى أنا داخله
فأفضيت من قرب إلى ذى مهابة ... أقابل بدر الأفق حين أقابله
كما انتصب الرمح الردينى ثقفت ... أنابيبه واهتز للطعن عامله
وكالبدر وافيناه تم سعوده ... وتم سناه واستهلت منازله
وسلمت فاعتاقت جنانى هيبة ... تنازعنى القول الذى أنا قائله
فلما تأملنا الطلاقة وانثنى ... إلى ببشر آنستنى مخايله
دنوت فقبلت الندى فى يد امرىء ... كريم محياه سباط أنامله
صفت ـ مثل مايصفو المدام ـ خلاله ... ورقت كما رق النسيم شمائله

وقال ابن زيدون :

فلما قضينا ماعنانا أداؤه ... وكل بما يرضيك داع فملحف
قرنا بحمد الله حمدك إنه ... لأوكد مايحظى لديه ويزلف
وعدنا إلى القصر الذى هو كعبة ... يغاديه منا ناظر أو مطرف
فاذ نحن طالعناه والأفق لابس ... عجاجته والأرض بالخيل ترجف
رأيناك فى أعلى المصلى كأنما ... تطلع من محراب داود يوسف
ولما حضرنا الإذن والدهر خادم ... تشير فيمضى والقضاء مصرف
وصلنا فقبلنا الندى منك فى يد ... بها يتلف المال الجسيم ويخلف
لقد جدت حتى مابنفس خصاصة ... وأمنت حتى ما بقلب تخوف

فأى الصورتين يفضل القارىء ؟

الحق أن الإنسان ليحار فى تفضيل إحدى الصورتين على الأخرى ، فقد كادتا تصلان إلى أقصى درجات الكمال ، وتجلى إبداع الشاعرين فيهما إلى أقصى حد ؛ ولكن المنصف

لا يلبث ـ بعد طول الروية والأناة ـ أن يؤثر تلك الصورة الشعرية التي أبدعها ابن زيدون بحتري المغرب على صورة صاحبه بحتري المشرق » .

يلاحظ القارىء على قولهما « إن ابن زيدون قد اشترك مع البحتري في عدة صور شعرية ... الخ » ، أنهما لو قالا : إن ابن زيدون قد حذا حذو البحتري في عدة صور شعرية لكان أقرب إلى الواقع ، وليس في ذلك من غضاضة على ابن زيدون ، ولا يعد من السرف الممقوت كما بين ذلك الأستاذان بما فيه الكفاية .

وإنما ذكرت هذا لأنبه القارىء إلى قاعدة يجب أن يجعلها دائماً نصب عينيه وأن تكون على ذكر منه ، وهي أنه لو جاز لأحد أن يفضل شاعراً على شاعر بالموازنة بين قطعتين من شعرهما ـ وذلك لا يجوز قطعاً ـ أو إذا أراد أن يفاضل بين القطعتين وكان أحدهما محتذياً حذو الآخر ـ كما هو الواقع في هاتين القطعتين ـ وجب عليه أن يتذكر أن الثاني قد اطلع على ما قاله الأول ، ولم يطلع الأول على ماقاله الثاني ، فليجعل هذا في جملة الاعتبارات التي يعتبرها لتفضيل أحدهما على الآخر قبل أن يبت الحكم ، فإذا ظهر ـ بعد مراعاة الاعتبارات اللازمة ـ أن الثاني قد أربى على الأول ، فانه لا يزال للأول شفيع من فضيلة السبق يدرأ عنه ملامة التقصير ، ولكن إذا قصر الثاني عن شأو الأول نظرنا ، فان كان بحيث يدعي ـ أو يدعى له ـ أنه في رتبة الأول أو أنه أشعر منه مطلقاً أو في تلك القطعة فقط ـ كابن زيدون في رأى الأستاذين ـ كان للحكم أن يحمله وقر الملام ويوجه إليه مر التأنيب لتقصيره عمن احتذاه مع ادعائه التفوق عليه ، وإن لم يكن كذلك ـ كابن زيدون نفسه في رأينا ـ فانه إذا أحسن الاحتذاء وسما حتى قارب من الأصل قاب قوسين أو أدنى ـ كما فعل ابن زيدون في هذه القطعة ـ كان على الحكم أن يشكر له هذا الإبداع بدلا من أن يلومه على التقصير ، لأن ثمة عظيمة وهامة كريمة تلك التي سمت به إلى محاكاة شاعر عظيم في الرتبة الأولى من شعراء العربية ـ كالبحتري ـ في أروع أساليبه وأبدع مواقفه ، إذ لم يقصر عن الأصل إلا كما قصرت الصورة عن الحقيقة .

وإذا انتهينا بالقارىء إلى هذه النقطة ، كان عليه أن يردد النظر في هاتين القطعتين ، ويطيل التأمل فيهما ، ويكرر تلاوتهما مرة بعد مرة ، فلا يلبث بعد طول الأناة والروية أن يظهر له فضل الأولى على الثانية ، وله بعد ذلك أن يشكر لابن زيدون إبداعه ، ويعذره في تقصيره ـ إن كان من رأينا ـ وأن يوجه إليه سهام اللوم إن كان من رأى الأستاذين الجليلين .

ولا بأس من أن نساعد القارىء فى بحثه لنسهل له طريق الوصول إلى النتيجة ، فنقول : إن قطعة ابن زيدون هذه ترجع فى الأصل إلى قسمين : قسم **احتذى** فيه حذو الوليد فى هذه الأبيات ، التى يمدح بها الفتح بن خاقان ، وهو قوله : ولما حضرنا الإذن ... البيتين ، وقسم احتذى فيه حذو الوليد فى أبياته الرائية التى قالها فى المتوكل ، بمناسبة عيد الفطر إذ يقول :

فأنعم بيوم الفطر عيناً إنه ... يوم أغر من الزمان مشهر
أظهرت عز الملك فيه بجحفل ... لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعى ... والبيض تلمع والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها ... والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس ساطعة توقد فى الضحى ... طوراً ويطفئها العجاج الأكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت ... تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
وافتن فيك الناظرون فإصبع ... يومى إليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التى فازوا بها ... من أنعم الله التى لا تكفر
ذكروا لطلعتك النبى فهللوا ... لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت إلى المصلى لابساً ... نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما ... فى وسعه لمشى إليك المنبر

وهو ما عدا البيتين المذكورين ، فليقارن القارىء الان بين قطعتى كل موقف من الموقفين الشعريين على حدة ، ليتبين له مقدار ما وفق إليه كل من الشاعرين من براعة التصوير ، ودقة الوصف ، وليقابل أولا بين قوله : ولما حضرنا سدة الإذن ، وقوله : ولما حضرنا الإذن ، يجد أن فى الأول صورة شعرية بديعة ليست فى الثانى بما أفاضته عليه كلمة «سدة» ، ثم انظر إلى قوله : «أخرت رجال عن الباب الذى أنا داخله» كيف وصف لك ازدحام باب الممدوح بالرجال المستأذنين عليه ، وكيف أن البوابين يحافظون على النظام ، فلا يدخلون أحداً إلا باذن خاص ؛ ثم اقرأ قوله : فأفضيت من قرب الخ . . وتأمل فى قوله : فأفضيت تجد فيه روعة ليست فى قوله وصلنا ، ففيه معنى الوصول وزيادة ، لأنه لم يدر كيف وصل.

ولا يعزب عن بالك أن هذا الموقف يقتضى أن تصور فيه الهيبة بأروع صورها وتجلى فى أسمى مجاليها ، وأنت ترى أن ابن زيدون لم يزد فى ذلك على أن قال : «والدهر خادم تشير فيمضى والقضاء مصرف» ، وهو -كما ترى- بديع يصور لك قوة الممدوح وعظمة ملكه ومضى أوامره ، حتى كأن الدهر خادم له ، يمضى ما يشير به والقضاء مصرف له ، ولكنه لم

يشعرك الهيبة العظيمة التى أشعركها البحترى ، إذ مثلها لك حتى تكاد تلمسها ببنانك ؛ وما ظنك بهيبة اعتاقت جنان أكبر شاعر فى عصره ، فأخذت تنازعه ما يريد من القول ، حتى إنه كلما لاك كلمة ليقولها جذبتها هيبة الموقف فألصقتها بحنكه ، فلم يزد على كلمة « السلام » . ثم انظر إليه كيف يصف لك وقوفه حائراً مبهوتاً متهيباً الدنو من الممدوح ، حتى تأمل طلاقة وجهه ، وتهلل أساريره بالبشر ، فحينئذ دنا منه وقبل يده ، بل قبل الندى فى يده ، بل فى يد امرىء كريم محياه ، سباط أنامله ! ثم قابل بين قوله : فقبلنا الندى منك فى يد ، وقوله : فقبلت الندى فى يد امرىء الخ ، تر أن الثانى أبلغ ، إذ لم يبينه بمن البيانية ، وقوله : « كريم محياه سباط أنامله » كناية عن سعة الكرم وفرط الجود ـ أبلغ من قوله : « بها يتلف المال الجسيم ويخلف » ، كما يحكم بذلك الذوق السليم .

وهنا نكل إلى ذوق القارىء ومعرفته ... المقابلة بين القطعتين فى الموقف الثانى ، ليحكم بما يوحى إليه ذوقه السليم ، على أننا لا بد لنا من الإشارة ، إلى أن أبا الوليد ، قد أبدع فى هذا الموقف وأجاد أكثر ـ بكثير ـ منه فى الموقف الأول ، فان فى قوله : « رأيناك فى أعلى المصلى الخ . . . » روعة شعرية بديعة أخاذة ليس إلى وصفها من سبيل ، وكذا فى قوله : « والأفق لابس عجاجته » ، « والأرض بالخيل ترجف » .

٢ ـ جاء فى ختام مقدمة الديوان ص ٥٦ « من لبس البياض وتختم بالعقيق ، وقرأ لأبى عمرو ، وتفقه للشافعى ، وروى شعر ابن زيدون ، فقد استكمل الظرف » ، والذى نحفظه من كتب الأدب ... وروى قصيدة « ابن زريق » ، يعنى قصيدة ابن زريق البغدادى المشهورة التى مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه   قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

فليراجع إذا كان هناك رواية أخرى لا نعلمها بهذا اللفظ .

٣ ـ وجاء فى ص ١٠ قوله :

ولئن تجنبتِ الرشاد بغدره   لم يهو بى فى الغى غير هواك

بكسر التاء من تجنبت ، وأن المعنى لئن وقعت فى الغى بسبب غدرك بى ، فانى أنا لم يوقعنى فى الغى غير هواك ، وأقول : المتأمل فى البيت يجد أنه لا يفيد هذا المعنى إلا إذا كان بضم تاء تجنبت فلعلها غلطة مطبعية .

٤ ـ وجاء فى ص ١٦ قوله :

ولولاك لم تثقب زناد قريحتى   فينتهب الظلماء من نارها سقط

بنصب ينتهب وهو خطأ لا يستقيم به المعنى ، وصوابه فينتهب بالجزم عطفاً على قوله تنقب .

٥ — فى ص ١٧ :

ونظم ثناء فى نظام ولاية تحلت به الدنيا لآلئه وسط

بفتح الواو من « وسط » ، والأقرب أنه بضمها جمع وسطى مؤنث أوسط .

٦ — ص ٢٤ قوله :

وليلة وافينا الكثيب لموعد سرى الأين لم يعلم لمسراه مزحف

جاء فى شرحه أن الأين فى البيت هو الإعياء والتعب ، وهو غير صحيح ، بل هو هنا اسم من أسماء الحية ، وإليه يعود الضمير فى « لمسراه » ، وعلى تفسير المصحح لا يكون للضمير ما يعود إليه ، وعجيب صدور هذا السهو من المصحح ، مع أنه قد فسر فى موضع آخر هذه الكلمة بالحية ، وذلك عند قول ابن زيدون فى ص ١٠٠ :

تهادى انسياب الأيم يعفو اثارها من الوشى مرقوم العطافين ذائل

والمزحف فى البيت أثر المشى ، ولا يجوز أن يفسر بالغاية .

٧ — قوله :

ذكرى لعهدك كالسهاد سرى فبرّح بالسليم

أقول صوابه كالعداد ، كما ورد فى الأصل ، وهو اهتياج الوجع عند الملدوغ ، عند ما تتم له سنة من يوم لدغ ، وعجيب أن يغرب عن بال المصحح ، مع أنه قد فسر هذه الكلمة نفسها بما ذكرناه عند قول ابن زيدون ص ١٩٨ :

أنا حين أطرق ليس يفتأ طارقى شوق كما طرق السليم عداد

٨ — ص ٥١ :

أيها ذا الوزير هأنا أشكو والعصا بدء قرعها للحليم

ما عنانا أن يأنف السابق المر بط فى العتق منه والتطهيم

قال فى الشرح : « وقد وجد هذا البيت ـ يعنى البيت الثانى ـ فى ديوانه على هذه الصورة . . . . . . يأنف المربط فى العتق منه والتطهيم ، فأكملناه مما ورد فى الروايات الأخرى » ، أقول : إن البيت ـ رغم الإكمال الذى أكمله به المصحح ـ لا يزال غير واضح المعنى ، والذى يظهر لى أن أصله هكذا :

ما عنانى من سابق يأنف المربط فى العتق منه والتطهيم

على أن تكون «ما» هنا مفعولا لأشكو، و«من سابق» مميز لضمير المتكلم فى عنانى، كقولك ساءنى ما نابك من أخ كريم .

٩ — ص ٧٤ :

ومتى سعيت لنازح متعذر فوجدته سهل المرام قريباً
وأراد فيك مرادك القدر الذى لا تستطيع لحكمه تعقيبا

قال المصحح: « ومتى سعيت لعل الأصل ولكم سعيت... البيت، والذى يظهر أن هذه الأبيات التى ختمت بها هذه القصيدة وقع فيها شىء من التحريف فليحرر » ؛ أقول : لم يقع فى الأبيات شىء من التحريف ، بل هى صحيحة المعنى ، مستقيمة اللفظ ، وإنما أوقع المصحح فى هذا الوهم توهمه أن متى فى البيت استفهامية ، وأن قوله « فوجدته » عطف على «سعيت» ، وليس كذلك ؛ بل متى هنا شرطية ، و « فوجدته » جملة دعائية ، وكذلك قوله : وأراد فيك مرادك ... البيت ؛ وعلى هذا فالبيتان واضحان ما عليهما غبار .

١٠ — ص ٨٦ :

وسطها دمية يروق اجتلا ء الكل منها ويفتن التبعيض

قال الشارح بعد أن أورد أبيات ابن الرومى فى (وحيد) المغنية: « إلى آخر هذه القصيدة الفذة التى نجترىء منها بهذا القدر اليسير ، فليرجع إليها من شاء فى ديوانه ليقارن بين هذه القصيدة ، وبين قصيدة ابن زيدون » ، وأقول : إن المناسبة بين القصيدتين غير واضحة ، فلا معنى للمقارنة بينهما :

١١ — ص ١٠٠ ، قال ابن زيدون:

يجول وشاحاها على خيزرانة وتشرق فى موشيتين الخلاخل

أقول : قد جرى البحث فى هذا البيت ووقع فيه أخذ ورد بين الأستاذ العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار ، والدكتور زكى مبارك ، كما نشر ذلك فى « البلاغ » ، وإنى أوافق الأستاذ النجار على ضبط كلمة « تشرق » بفتح التاء والراء من الشرق محركة ، ويؤيد أنه مراد الشاعر قوله : يجول وشاحاها لتحصل المقابلة بين جولان الوشاح ، وشرق الخلاخل كناية عن رقة الخصر وامتلاء الساقين .

١٢— ص ١١١ :

يا أيها الملك الجليل بكل ألسننا جلالك

هكذا جاء فى الكتاب مضبوطاً « بكل ألسننا » بالباء الجارة وإضافة ألسننا إلى « كل » المجرور بالباء ، وهو ـ فيما نرى ـ خطأ لا يستقيم به معنى البيت ، وصوابه ـ على ما يظهر ـ يكل ألسننا جلالك ، بنصب ألسننا على المفعولية ليكل بالياء المثناة مضمومة وكسر الكاف ، أى أن جلالك يكل ألسننا ويعييها عن وصفه .

١٣ — ص ١١٥ ، جاء فى الشرح : « وبعد هذا البيت وجد فى الأصل بعض بيت على هذه الصورة :

وحاشاك،رام العذب إبلاغ سمعه فصم . . . . »

أقول لعل أصله :

ومثلك رام العـذل إبلاغ سمعه فصم برغم العاذلين عن العذل

١٤ — ص ١٤٣ ، قال ابن زيدون:

نغاديك ـ داعينا السلام ـ كعهدنا فلا يسمع الداعى ولا يرفع الستر

معنى البيت نغاديك يدعونا إلى مغاداتك السـلام كعهدنا الخ . . . وهو معنى مستقيم ، ويجوز أن يكون أصـل البيت : نغاديك داعين السلام ؛ أى نغاديك رافعين أصواتنا بالسلام عليك كعهدنا الخ . . . وهو عندى أقرب إلى الانسجام .

١٥ — ص ١٥٩ :

للقَّينـا من الواشين حتى رضينا الرسـل أنفاس الرياح

جاء فى شرحه « لقد تعلمنا من الواشين حيلهم فى الوقوف على مكتوم أسرارنا حتى أصبحنا نقنع بأن تـكون أنفاس الرياح بريداً يحمل عنا رسائل الحب والغرام » .

أقول: يتبادر إلى الذهن أن الشاعر لم يقصد هذا المعنى ، وأن معناه لقد لقينا من الواشين عنتاً عظيماً من جراء وشايتهم بنا واجتهادهم فى ذلك حتى أصبحنا لا نطمئن إلى الرسل خيفة أن يستميلهم الوشاة إليهم ، فيبوحوا بأسرارنا لديهم،فاستبدلنا بهم أنفاس الرياح التى لا تفشى سرنا لأحد .

١٦ — ص ١٦٩ قال ابن زيدون :

سأهدى النفس فى نفس الشمال فقد لقح التشوق عن خيال

يظهر لى أن أصله « عن حيال » بالحاء المهملة مأخوذ من قول الشاعر العربى : لقحت حرب وائل عن حيال .

١٧ — ص ١٧٥ قال :

فان آنثيت فالنفس أنأى نفيسة إذ الجسم لا يسمو لتذكيره ذكر

هكذا ضبـط وفيه تحريف ظاهر ، وصوابه فان أنثت من التأنيث ، وقوله : فالنفس أنأى نفيسة ، لعل صوابه « أسنى نفيسة » بالاضافة ، أو « أنثى نفيسة » برفع نفيسة على أنه خبر المبتدأ الذى هو النفس ، وأنثى حال منها ، ومعنى البيت يشبه قول المتنبى :

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

١٨ — ص ١٧٨ :

إذا استحفظت سر السرى جنح ليلها تناسى النومان الألوة والند

ضبطت كلمة استحفظت بالبناء للمفعول ، ويظهر لى أن صوابه استحفظت بالبناء للفاعل ، والمعنى أنها إذا استحفظت جنح الليل سر سراها، تم به عرفها الطيب .

١٩ – ص ١٨٧ :

فلو صرفت صرف المنون جلالة لكنت محياهن تود ممتعا

هكذا جاء فى الكتاب وصوابه – فيما أظن – لصنت بدل لكنت ، فيستقيم به المعنى .

٢٠ – ص ١٨٨ قال ابن زيدون :

أسرتم فرأى نجى عيوبكم شيحان مدلول عليها ملهم

أقول قد تبوحث فى هذا البيت ، والأرجح عندنا أن يكون أصله : فرأى نجى غيوبكم ، ولا حاجة لبيان ذلك فقد استوفى فيما نشر فى « البلاغ » .

٢١ – ١٨٩ قال ابن زيدون :

بالقدر يبعد والتواضع يدنى والشر يشمس والندى يتغيم

وجاء فى الشرح « فى الأصل :

بالقدر يبعد والتواضع يدنى والبشر شمس والندى يتغيم

والذى أثبتناه هنا هو ما يعطيه المعنى » ، أقول : إن إصلاح البشر بالشر غير صحيح ، ولا يستقيم به المعنى بل صوابه : والبشر يشمس أى تشرق شمسه ، أى يتهلل وجه الممدوح بشراً عند العطاء كالنهار المشمس ، ويتغيم نداه لتكاثفه وتلبده ، وهو معنى بديع كرره ابن زيدون فقال فى موضع آخر :

ياندى يمنى أبى القاسم غم ياسنا شمس المحيا أشمس

٢٢ – ص ٢١٥ قال ابن زيدون :

لما وردت بورد حضرتك المنى فهمت لدىَّ جمامها الأعداد

هكذا صححه المصحح وأصله « فهقت لدى جمامها الأعداد » ، والمتأمل يرى أن الأصل هو الصواب من فهق الاناء إذا امتلأ ، وأن التصحيح كان سهواً إن استقام به المعنى فلا يستقيم به اللفظ ، لأن « همت » فعل ماض ، والماضى لايحتاج إلى الفاء إذا وقع جواباً للشرط .

٢٣ – ص ٢١٩ قال ابن زيدون :

دهاه إذا ما جنه الليل أنه أقام عليه آخر الدهر سرمدا

هكذا جاء فى الكتاب وجاء فى شرحه « يقول : وقد أصبح يترقب جزعاً أن يكون حينه مرتبطاً بيومه وصار يتوجس الشر خوفاً من أن يكون ليله سرمداً إذا قتلته » ؛ وهو – كما

يراه القارىء - معنى متكلف لايعطيه البيت، والذى يظهر لى أن فيه تحريفاً ، وأن كلمة «دهاه» تحرفت عن « مناه » ؛ والمعنى أن ذاك الخائن إذا جنه الليل تمنى أن يكون ذلك الليل سرمداً لأنه يخاف أن يدلك عليه الصباح فتقتله أو تأسره ، ويدل على أن هذا المعنى هو المراد لا غيره قوله بعده:

يحاذر أن يلقى قتيلا معفراً ـ إذا الصبح وافى ـ أو أسيراً مقيدا

٢٤ - ص ٢٣١ ، قال ابن زيدون :

أليس عجيباً أن تشط النوى بك فأحيا كأن لم أنس نفح جنابك

وصوابه فيما يظهر « كأن لم أنش نفح جنابك » ، وقد استعملها ابن زيدون فى محل آخر فقال فى ص ٢٣٨ :

ألم تنش من أدبى نفحة حسبت بها المسك طيباً يغض

٢٥ - ص ٢٤٧ ، قال ابن زيدون :

فتلطفت لأن حليتنى مولياً طولى محلى ملبس

والظاهر أن كلمة « طولى » محرفة عن « طوق » فليحرر.

٢٦ - ص ٢٥٠ قال :

ويافرط مابى إذا ما طلعت فقمت أقبل تلك اليدا

وفى الأصل « ويافرط بأوى » ، وهذا هو الصواب ، أى يافرط عزى وفخرى . فاصلاحه بـ « يافرط مابى » سهو ولا معنى له ، إذ المقام مقام مدح ملك وليس مقام تغزل بمحبوب .

هذا ماتيسر لى تقييده من ملاحظاتى على ديوان ابن زيدون عند مطالعتى - المستعجلة - له ، وأنا فى (عدن) نازح الدار والسكن ، وليس لدى ما أستعين به على البحث من الكتب لاقليل ولا كثير ، فأرجو أن يكون فيما ذكرت عاذر لى فيما عسى أن يكون فى هذه الملاحظات من غلط أو شطط .

وفى الختام أكرر شكرى الخالص وثنائى الجميل لحضرتى الاستاذين الجليلين ، عبد الرحمن خليفة، وكامل كيلانى على حسنتهما العظمى بخدمة هذا الديوان الجليل ، وعنايتهما الفائقة بتصحيحه وشرحه إلى جانب حسناتهما الكثيرة وأياديهما البيضاء فى سبيل خدمة الأدب العربى ، راجياً أن يقدرا هذه الملاحظات الضئيلة قدرها ويحملاها على المحمل الذى يليق بها ، فحسبها أنها وليدة الإخلاص فى خدمة الأدب العربى ، وعنوان التقدير لعملهما الكبير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

[عدن] على أحمد باكثير

تاريخ استعمار انكلترا

للهند الصينية

بقلم السيد طه السقاف العلوى (سنغافورة)

إن جزر الهند الصينية ، لم يكن شأنها بالتافه الذى لا يستحق التقدير ، ولا يستدعى الدرس والعناية ، فإن لهذه الجزر عمراناً قديماً وتاريخاً يرجع إلى آلاف السنين ؛ وقد اشتهرت هذه الجزائر بوفرة الحاصلات الزراعية وكثرة مناجم الذهب والأحجار الكريمة ، أضف إلى ذلك (البهارات) الموجودة فيها بكثرة فائقة .

لهذا تطلعت إليها الأنظار ، واشرأبت إليها الأعناق ، وتهافتت عليها لتتمتع بخيراتها الشعوب فى صور شتى : من غزاة مستعمرين ، إلى قرصان بحرية ، إلى شركات تجارية ، وأصبحت فى مستهل القرن السادس عشر فما بعده مهوى كثير من الشعوب وطلبتهم .

وانثال عليها ـ لأول مرة فى تاريخ استعمار الغربيين لها ـ البرتغاليون ، فالهولنديون ، فالانجليز ، فى عهد الملكة (أليزابيث) ؛ جاء هؤلاء الغربيون فى فترات متفاوتة ، ويعلم القارىء مما مر أن أسبقهم إلى هذه الجزائر هم البرتغال ، وجاء على أثرهم الهولنديون ميممين الطريق الذى اكتشفه قرصان البرتغاليين ، ثم قفت آثار أولئك شركة الهند الانجليزية .

أما عمران هذه الجزر القديم وعظمتها التاريخية ، فليس أدل عليه من أن إحدى بلدانها المسماة (ملاكا) الواقعة فى الجنوب الغربى من شبه جزيرة (ملقا) ، كانت تضم من السكان ما بين هندى إلى برتغالى، وهولندى إلى انجليزى ، وغربى إلى صينى ـ فى عهد ملكها « محمد شاه » فى منتصف القرن الخامس عشر ـ أكثر من تسعمائة ألف نفس ، ولما أحصى سكانها عام ١٩٣١ وجد أنهم لم يتجاوزوا ٢٠٣٠٠٠ نسمة بالرغم من أنها ليست يباباً ولا خراباً فى عهدها الحالى .

واختلف المؤرخون فى أصل الملايو ؛ فقال كثير منهم : إنهم من سلالة « الجنس الجاكونى المتوحش » ، وقال آخرون : إنما هم من جنس آخر يدعى سمغ ؛ وفصيلة سمغ هذه سبقت ـ فصيلة الجاكونية بقرون ، ولا يزال أعقابها موجودين حتى الان ، ويكثر وجود هؤلاء فى غابات (كدح) وأحراشها ؛ ويقول كثير من المؤرخين : إن هذه الجزائر

يسكنها قوم متوحشون ، فلما جاء الملايو اختفوا وفروا إلى رءوس الجبال ؛ وهناك قوم من المؤرخين يردون أصول الملايويين إلى الأسكندر المقدونى ، وهذا منقوض من أساسه ؛ وبعض المؤرخين ينسبون سكان (ملاكا) ، و(بغكاليس) ، و(سلاغور) إلى مزيج من الجنسين الساكى والجاكون ، ومن هذين تفرعت أغصان الدوحة الملايوية ؛ وللمؤرخ « جورجى زيدان » كلام طويل لا يعدو أحد هذه الأقوال ، وزاد على هذا شيئاً غريباً ، وهو : أن الإنسان الأول وجد فى الهند الشرقية ؛ قاصداً بهذا أن السلالة البشرية أصلها من جزائر الهند الشرقية .

وكما ثارت زوبعة الخلاف فى أصل الأمة الملايوية ، وإلى أى جذر من السلالة البشرية يتصلون به - كذلك احتدم الخلاف بينهم فى أول رقعة من جزائر الهند الشرقية وجدوا على سطحها ، فذهب قوم إلى أن أصل وجودهم كان فى(جوهور)، ورد هذا ؛ وقال آخرون : إن أول بقعة وجدوا على ظهرها إن هى إلا فى (سومطرا) ، وقال البعض الآخر : إن وجودهم كان فى (Mengkabau) فى الجهة الغربية من (سومطرا) ، ومع ما يكتنف هذه المذاهب والأقوال وما يحيطها من غموض وإبهام ، إذ أن الملايويين الأول لم يخطوا شيئاً مما يتعلق بتاريخهم وأصلهم ؛ بل لم تكن وسائل التدوين لديهم معروفة ، فلم يعرف التدوين فى أوساطهم إلا بعد أن غمر الاسلام هذه الجزر ، حينذاك أنشأوا لهم الألفباء ، وهذه الألفباء مؤلفة أكثرها من الحروف العربية إلا خمسة حروف لا غير - نعم مع كل هذا ، فلا تزال الأكثرية الساحقة من مؤرخيهم يتفقون على أن أول وجودهم كان فى قلب (سومطرا) .

وأول دين عرفه أهل هذه الجزائر هو الدين البرهمى ، ثم تلاه الدين البوذى ، وهذان الدينان تسربا إليهم من الهند ، فإن سهولة المواصلات بين الهنديويين بجزائر الهند الشرقية معروفة لدى القارىء .

ولما كثر تردد تجار العرب بهاته الجزائر للكسب والتجارة ، وقبضوا على زمام الأعمال التجارية - شرعوا يبثون الاسلام وينشرون الرسالة المحمدية من حين إلى آخر من أواخر القرن التاسع ، فلم يكد ينتصف القرن الخامس عشر حتى اكتسح الاسلام جزر الهند الصينية من أقصاها إلى أقصاها، وفاض على(جاوا)فوجد فيها قلوباً مستعدة تلقفته كما تتلقف الأرض الجرداء قطر الندى وحب الغمام .

وأول ضيف من الجنس الأبيض فتحت هذه الجزر صدرها لاستقباله غير (مركو فولو السائح الايطالى) هم البرتغاليون ، فالهولنديون ، فالانجليز ؛ ويرجع عهد البرتغاليين بها إلى سنة ١٤٩٨ م ، فقد مر على عاصمة جزائر الملايو (ملاكا)رجل برتغالى اسمه (بسكوديكاما)

كان قد سمع عن وفرة حاصلات البلاد وخصب تربتها وخيراتها الكثيرة ، فجاء كطليعة فى ثلة من أصحابه فانذعر الملايون حينما وقعت أنظارهم على أولئك الأناسى البيض ، وأطلقوا عليهم لقب (Benggali Puteh) ، أى الهندى الأبيض ، وقد بلغ بهم الهلع والخوف منهم ، أن كانت المرأة الملايوية إذا أضجرها ابنها الصغير بكثرة الصياح وأرادت إسكاته صاحت : Benggali Puteh Datang ، أى جاء الهندى الأبيض ، فيضطرب الولد وينام . . . !

وحدث من نتائج زيارة (بسكوديكاما) وأصحابه عاصمة بلاد الملايو أن أعجبتهم كل الاعجاب ، وحدثتهم أنفسهم بالاستيلاء عليها ، ونفذوا هذه الفكرة إلى حيز الوجود ، ولم يكلفهم إبراز هذه الفكرة كثير عناء أو جهد ، فقد كانت أساطيلهم العديدة مرابطة حول شاطىء المحيط الهندى بقيادة قرصانهم الشهير (الفنسو ذا البكركى) ، وكان البرتغاليون فى ذلك الحين قد بلغوا من القوة والصولة وكثرة الأساطيل ما لا يجهله المطلع على أسفار التاريخ ، فكانوا أشبه بانكلترا فى هذا الزمان من وجهة القوة البحرية .

وزحفوا على (ملاكا) يقودهم قرصانهم الكبير ، ومعه العدة والعدد من المدافع وآلات الحرب ، وانزعج أهل (ملاكا) لما سمعوا قصف المدافع ، ورأوا الرصاص يتساقط عليهم كالمطر ، فلم يستطيعوا المقاومة كثيراً ، فدخل البرتغاليون (ملاكا) واحتلوها ، وخدم الحظ ملك (ملاكا) ، فتسلل لواذاً إلى (جوهور) ، وهى ولاية تابعة لحكومته ويعتبر حاكماً عليها .

ويظهر أن حكم البرتغاليين لم يرق فى أعين الملايويين ، إما لشدة ظلمهم وعجرفتهم واحتكارهم صادرات البلاد وارداتها ، وإما لمحاولتهم تنصير المسلمين من أهل البلاد ، وبث الديانة المسيحية أو لكليهما ، فكانوا يتربصون بهم الدوائر ، وينتظرون ساعة الخلاص من عسف عمالهم .

وجاءت ساعة الخلاص ، فإن شركات هولندة كانت قد عرفت الطريق إلى هاته الجزائر ودخلت إليها سنة ١٥٩٠ م للاتجار فى (البهارات) ، وتعددت شركاتهم وضخم شأنهم وربحوا أرباحاً طائلة من تجارة (البهارات) الموجودة بكثرة فى جزائر الهند الصينية .

وعلى أثر هؤلاء ، أى فى سنة ١٦٠٢ م ، جاءت شركة الهند الانجليزية من أوربا إلى سومطرا وتفرقت فى نواحى البلاد ، وفتحت لها مراكز كثيرة لتصفية (البهارات) وإرسالها إلى أوربا ، وكان رئيس شركة الهند الانجليزية (المستر جيمس لنكستر) الذى استأذن من مليكته فى الذهاب إلى جزائر الملايو للاتجار والتكسب ، فأذنت له وزودته برسالة رقيقة إلى ملك (أجيه) توصيه بهذه الشركة خيراً ، وأفهمته فى هذه الرسالة الغرض من هذه الرحلة ، وأنها تجارية محض .

ومن تلك الاونة ابتدأت أواصر الصداقة تنمو وتشتد بين سكان (أجيه) فى سومطرا وشركة

الهند الانجليزية ، وشرعت تفتح لها مراكز تجارية فى جزر الملايو ، وتجاوزت هذه الجزر ففتحت لها فروعاً فى جزيرة جاوا ، وترناتى، ومكاسر وسوكدانا وغيرها، ولما كانت هولندة فى ذلك الوقت صاحبة الكلمة النافذة فى جزيرة الهند الصينية،وذات سلطة كبيرة فيها – فقد تساندت هى وملك جوهور السلطان « عبد الجليل » عام ١٦٤١ م على طرد البرتغاليين من (ملاكا) التى استولى عليها البرتغاليون ، وكانت معركة حمى فيها وطيس الحرب ، وانتهت بتشتيت شمل البرتوكيسيين ، وتقلص ظلهم منها بالكلية ، وكان من جراء ذلك أن ارتفعت منزلة الهولنديين وامتد نفوذهم ، ولما جاءت شركة الهند الانجليزية نفسوا عليها ما لقيته فى أعمالها من نجاح وظفر ، وارتفعت حرارة المنافسة التجارية بين الشركات الهولندية والانجليزية،وزاد احتكار محصولات البلاد عن الرقم الطبيعى،وكثيراً ما بذلت شركات هولندا جهد الجبابرة فى القضاء على شركة الهند الانجليزية بمراكزها وفروعها المنبثة فى : أجيه ، وبنتن ، وسوكدانا ، وأمبون، وترناتى،وجكرجا،وكريسيك،فذهبت محاولاتها أدراج الرياح ، وأخذت شركة الهند الانجليزية تتعدد فروعها فى كل صقع حلت به شركات هولندا بسرعة مدهشة .

ولا شك فى أن هذه المنافسة الحامية كبدت شركات هولندا خسائر فادحة كان لها أسوأ أثر فى مركزها الاقتصادى ، ودفعت ثمن هذه المنافسة مضاعفاً ، وذلك فوق ما يكابده الهولنديون من خسائر أرواح وأموال فى الحرب التى لا يخبو أوارها بينهم وبين البرتغاليين من جهة ، وبينهم وبين الأسبان من جهة أخرى .

ولما أنهكتهم الحرب وأحسوا الخسائر الفادحة الناتجة عن ثغر هذه المنافسة ، رغبوا فى التكاتف وإحلال الصداقة بينهم وبين شركة الهند الانجليزية ليكونوا يداً واحدة على من ناوأهم ، فرفضت الشركة الانجليزية طلبهم ، محتجة بأن علاقاتهم مع من ينازع الهولنديين السلطة والسيادة جد حسنة ، وليس من السياسة فى قليل أو كثير خلق الأعداء من العدم .

فتوترت العلائق السياسية بين الأمتين المتنافستين، علاوة على توتر علائقهم الاقتصادية ، ولم تظهر آثار هذا التوتر الشديد إلا بعد طرد الهولنديين – متساندين مع أهل (بندا) فى أمبون – للبرتغاليين المستولين عليها ، واشترط الهولنديون على أهل (بندا) مقابل طرد البرتغاليين منها ، ألا يخلص شىء من حاصلات البلاد إلى غيرهم ، وهذا معناه احتكار مرافق الاقتصاديات ، فرضخ (البنديون) لهذا التعاقد .

وكانت شركة الهند الانجليزية لا تنفك تجوس خلال تلك الديار ، فأدى بها المطاف إلى تلك الجزيرة ، فابتاعت كمية من (البهارات) من أهلها ، فاحتج الهولنديون وعدوا هذا

ماساً بكرامة التعاقد ، وكان هذا هو القنبلة الأولى لاصطدام الهولنديين بالشركة الانجليزية واشتعال الحرب بينهم ، فكان الظفر والغلب بادىء ذى بدء سجالا ، وأخيراً رجحت كفة أساطيل الشركة الانجليزية ودمرت كثيراً من أساطيل منافسيها ، مما أوهن قوائم السياسية والاقتصادية ، بيد أن الانجليز - وهم لم يبيتوا فى قلوبهم نية استعمار جزيرة جاوا وما حواليها - اكتفوا بذلك الانتصار وغادروا تلك البلاد ، تاركين لهم فيها أثراً حسناً ونفوذاً كبيراً.

وعظم شأن شركة الهند الانجليزية بعد ذلك وتعددت مراكزها التجارية، فامتد نفوذها وكثرت أساطيلها ، فقررت أن تطرد الاسبانيين من (منيلا) ، وجهزت الشركة عام ١٧٦٢ م أسطولا كبيراً ، والتحم القتال بين الطرفين وغلب الاسبانيون واندحروا ، وحدث فى خلال ذلك أن كانت اسبانيا وانجلترا فى أوربا فى عهد تصافٍ،فأعيدت(منيلا) إلى الاسبان احتراماً لعهد الصفاء.

وبين سنة ١٧٨١ وسنة ١٧٩٥ م استولت الشركات الانجليزية على الـ (Badang) ، فملاكا ، اللتين كانتا مستعمرتين هولنديتين ، وانتحى الهولنديون صوب جاوا وسليبس ؛ ثم فى عام ١٧٨٦م اشترت شركة الهند الانجليزية جزيرة (فولوفينغ) من ملك (كدح) وتولى المستر رفليز منصب الحاكم فيها ، يحكمها ويدير شئونها ، وظهر بعد ذلك نجم المستر رفليز واشتهر أمره فى هذه الجزائر.

ولما جردت شركة الهند الانجليزية الحملة للاستيلاء على جزائر جاوا وسليبس وانتزاعها من يد الهولنديين ، كانت تلك الحملة الكبيرة تحت قيادة اللورد مينتو والمستر رفليز ، وكان لهم من ضعف هولندا بتلك الجزائر وسوء التفاهم بينها وبين انجلترا فى أوربا أكبر محفز ، فاستولوا عليها دون كبير عناء ونصب ، ولكن تحسن العلائق ورجوع المياه إلى مجاريها بين هولندا وانجلترا عقيب ذلك ، كان ثمنه إرجاع جاوا وملاكا لهولندة ، وكان هذا فى عام ١٨١٤ م.

وأعجب المستر رفليز بسنغافورا ، وهى إذ ذاك جزيرة مقفرة وموحشة ، وعرف بذكائه وفطنته مركز هذه البلاد فى المستقبل وأهمية موقعها فاشتراها من السلطان « حسين شاه » عام ١٨١٩ م.

وجاء عام ١٨٢٤ م بمعاهدة ودية بين هولندا وشركة الهند الشرقية ، كان من ضمن شروطها إرجاع (ملاكا) إلى الشركة الانجليزية ، فضمت (ملاكا) نهائياً إلى (فولو فينغ) و(سنغافورة)،وصارت تلكم البلدان الثلاث باسم الشركة الانجليزية حتى الآن،وكانت(ملاكا) من عام ١٥١١ م إلى عام ١٦٤١ م فى يد البرتغاليين ، ومن عام ١٦٤١ إلى عام ١٧٩٥ م

فى يد هولندة ، ومن ذلك التاريخ إلى ساعتنا هذه صارت فى يد الانجليز كما يعرفه الباحث؛ ونحب أن نذكر هنا ـ بمناسبة إرجاع المستر رفليز جزائر جاوا للحكومة الهولندية ـ حادثة تاريخية لم تحل عقدتها إلا فى الوقت القريب ، وهى : أن بعض الانجليز توهموا ممالأة المستر رفليز للهولنديين وخيانته أمته، وعابوا عليه قبوله إرجاع جزيرة (جاوا) الغنية مقابل جزيرة (ملاكا) الحقيرة التى لا تكون شيئاً مذكوراً إذا نسبت إلى جزيرة (جاوا) ، ومات المستر رفليز المفكر العظيم مغضوباً عليه من أكثرية الشعب الانجليزى ؛ غير أن الأعوام الأخيرة أظهرت لهم أن المستر رفليز بعمله ذلك وإقصائه هولندا عن شبه جزيرة (ملقا) برهن على بعد نظر وسداد رأى يستحق لأجلهما خلود الذكر ،وانقشعت عن أعينهم تلك الغشاوة السوداء،فقاموا بنصب تمثال له فى أكبر شارع فى سنغافورا تخليداً لذكراه ، وسموا باسمه إحدى المدارس الثانوية بسنغافورة ، وهى مدرسة رفليز .

وبقيت هذه الجزائر تحت اسم (شركة الهند الانجليزية) إلى عام ١٨٥٨ م،حيث ألحقت بمستعمرات التاج فى أيام الملكة فيكتوريا ؛ وكان من أهم وصايا الملكة فكتوريا لولاتها وعمالها : عدم التداخل فى شئون البلدان الأخرى المستقلة التى تجاور مستعمرات التاج إلا فى حال الاضطرار، كاندلاع الثورات والتخوف من امتدادها إلى مستعمراتها .

ولما كثرت الثورات فى تلك الجزائر المستقلة ، ولم يعد فى طاقة ولاتها من ملوك الملايو القضاء عليها وتهدئة أولئك الثائرين ، أوجس الانجليز خيفة من امتداد هذه الثورات إلى مستعمراتهم الهادئة ، فذهب بعض الولاة منهم إلى (فيرق) والبعض الآخر إلى (نكرى سمبيلن) و (فهغ) وهدأوا أولئك الثائرين وقعد فى كل من البلدان الثلاثة مستشار .

أما (كدح)و(فرليس)و(ترغكانو)و(كلنتن)،فقد كانت تابعة لولايات ملك(سيام)،ثم تنازل عنها ملك سيام لانكلترا فى عام ١٩٠٩ م ، فوضعت فى كل منها مستشاراً ، ثم انتهى الأمر بإرسال مستشار آخر إلى (جوهور) ، وضمتها إلى مستعمرات التاج ، كما يعرف ذلك المتتبع لسير الحوادث وأحوال الشعوب . ؟

[سنغافورة] طه السقاف العلوى

مصادر المقال :

(١) سجارة ملايو .
(٢) تواريخ الملايو بقلم د . واو . ونستيديه
(٣) تواريخ الامة الملايوية .
(٤) حكاية عبد الله منشى لعبد الله منشى .
(٥) طبقات الامم لجرجي زيدان .
(٦) حياة الشرق للطفي جمعة .

ساعة فى بيت مرب

[الأستاذ أحمد فهمى العمروسى بك ناظر معهد التربية]

بقلم المربية الكبيرة الآنسة زينب الحكيم

الآنسة زينب الحكيم من كبريات المربيات اللائى تخصصن فى رياض الاطفال – بجامعة (فربل) بلندن – تخصصاً واسع المدى ، وقد خدمت التعليم اثنتى عشرة سنة ما بين مدرسة وناظرة في وزارة المعارف العمومية ، فكانت موضع اجلال وتقدير .

وقد يدهش القارىء اذا ما علم أن الآنسة المهذبة تجمع الى اضطلاعها بعلوم التربية ، اطلاعاً كبيراً فى علوم الفلسفة الاسلامية والتصوف الاسلامى ، معدوم النظير . وأذكر – لهذه المناسبة – أنى اختلفت معها مرة فى نص من نصوص « ابن عربى » العميقة ، فأدهشنى منها مناقشتها لى فى ذلك النص مناقشة صوفية فلسفية عميقة دامت أكثر من خمس ساعات .

أليس ذلك من الغرابة بمكان ؟ أجل ! ولكنك متى علمت أنها شقيقة كبرى المربيات الآنسة نور الهدى الحكيم ، وفضلاهن السيدة نظلة الحكيم سعيد ، متى علمت ذلك كله زالت عنك الدهشة ؟

المحرر

حين كان الناس فى غفوتهم ... كان أيقاظ النهى فى معزل
قام منهم نابه الذكر الذى ... قد تجلى فى المقام الأول
« أحمد فهمى » (عمروس) التى ... أنجبته من كرام كُمَّل
ينثر الدر على ندواته ... مستفيض العلم بالبحث الجلى
فاستثار العزم فى زمرته ... من رجال العلم بين الجحفل
سددوا الرأى وهبوا أنجما ... كل نجم فى مدار ينجلى

***

ثم ها هم قلدوه « معهداً » ... هو أولى بالعليم العامل
ليتهم ما قربوا عزلته ... كيف يعتاض عليم بالخلى ؟

***

عالم القطر مرب ، حققوا ... كيف يحيا ، فى جنان المنزل
ها كم فذلكة عن ساعة ... قد قضيناها « بدار الأمثل »

***

نعم إنها ساعة من أقيم ساعات الحياة النافعة التى تتراءى فيها للعين مواهب البشر فى سمو مداركها ، وجمال الفنون فائضة عن تلكم المدارك الحساسة ، المنبعث منها جمال الذوق وبهاء العبقرية .

ولعمرى إن الزيارة التى اتيحت لى لمنزل حضرة المربى الكبير الأستاذ «العمروسى بك» ناظر معهد التربية ، مع نفر غير قليل من المهتمين بالعلوم والفنون ، لتؤيد ما أشارت إليه جريدة « الأهرام » ، بمناسبة حفلة التعارف التى أقامها طلبة « معهد التربية » ، حيث قالت: « كانت الحفلة جامعة بين جلال العلم وجمال الفن ، وتجلت فيها مظاهر التفاهم والمحبة ، التى تسود معاهد العلم » ، وهذه الإشارة قد نطقت عن حق وأدت أشمل معنى يعبر عن بيئة يترأسها أمثال « العمروسى بك » ، والشىء من معدنه لا يستغرب .

فا ننا ما كدنا نصل المنزل الذى تصورناه بيت القصيد ، حتى سألنا (البواب) الجالس أمام البوابة الأنيقة ، كم رقم المنزل ؟ فأجاب على الفور : تريدون منزل « العمروسى بك » ؟ تفضلوا ـ قلنا يقرأ الكتاب من عنوانه ، وما هى إلا ثوان حتى قابلنا على درج السلم الرخامى الجميل صاحب الدعوة ببشاشته الوسيمة ، وأجلسنا فى حجرة أقل ما يقال فيها إنها تحفة فنية قيمة ، وخيل لنا أن هذا كل ما هنالك من تحف ومعرض دائم ؛ ولكن بعد قليل وقف الأستاذ « العمروسى » وأخذ يفرجنا ويشرح لنا محتويات الحجرة النفيسة ، فاذا ما انتهينا من هذه انتقلنا إلى أخرى أجمل منها ، وقد مدت فى وسطها مائدة الشاى التى تعتبر بحق من ضمن التحف ، لما اصطبغ به ترتيبها من روح الفن العربى والذوق المصرى العالى،ثم انتقلنا إلى حجرة ثالثة يطلق عليها « المكتبة » ، ولكننا عند ما توسطناها لم نر فيها أثراً للكتب ظاهراً ، وما هى إلا لحظة حتى بدأ العالم ـ بما تكن الدواليب المنسقة حول الجدران ـ بإزاحة الأقفال المتواضعة السهلة الاستعمال ـ وكانت عبارة عن عصافير من الخشب ـ فرأينا بدعاً من الكتب ، أما عن شكل (دولاب) المكتبة فالأجدر أن يراه الانسان بنفسه لصعوبة تقريب وصفه إلى خيال القارىء .

وفتح(دولاباً) آخر ينوء بما فيه،وأبى الكرم الحاتمى إلا أن يحمل كل فرد سفرين من بعض ما دبجته يراعه ؛ وفى هذه الحجرة رأينا أعجوبة الفن العربى (وهو دولاب يشبه دواليب الملابس الحديثة ، غير أنه أقل منها حجماً وارتفاعاً ، وقد صنع بابه من أجزاء زخرفية كلها متحركة ـ ولم نعلم كيف تتحرك ـ وإذا نظرت إلى بعضها على غير احتياط ، خيل لك أن حدقات نجلا تنظر إليك) .

ويشبه هذا (الدولاب) آخر رأيناه فى الحجرة الأولى ، أما عن فتحات هذه (الدواليب) العتيقة وكيفية استعمالها ، فالوصف فيها لا يفيد والأفضل رؤيتها ؛ هذا عدا مجاميع الزجاج المكفت الطريف ، والأوانى القيشانية النادرة المثال ، والأقداح (الشفتشية) من الفضة ، والاطارات التى تدل على التفنن فى الكتابة ودقة التنسيق وسمو الخيال وحذق الصناع ؛ أما عن السجاد فحدث ولا حرج .

بعد كل هذه الجولة العامرة انتقلنا إلى حجرة البيان والحاكى ، وقد أشجتنا الأنامل الطاهرة

بحسن توقيعها الفطرى ، نعم أنامل « عائدة » التى ربما لا تتجاوز الثامنة من العمر ، والتى يحق أن يطلق عليها اسم « ليلى » ، ويطلق اسم « سعدى » على شقيقتها الكبرى، لأن الجو العربى البديع ترك طابعه الأنيق على الشقيقتين العمروسيتين .

ومن سمو البيئة بأجمعها لم تحرمنا ليلى الصغيرة « عائدة » ألعابها الرياضية ، فتارة تذهب إلى الحديقة تدير شئون أرجوحتها ، وطوراً تداعب حمامها الوديع ،ومرة تحضر إلى والدها ـ وافرحتاها به ـ ، وقالت له : ضع ذراعك على خصرك من فضلك (با با) ، فلبى طلبها ، فاتكأت بذراعها الرفيق على ساعده ولامست رأسها الأرض،ثم تركت ذراع والدها فكونت قوس نصر أمامنا ، وهكذا حقق الأستاذ « العمروسى بك » رسالته الوالدية ، وأجاب نداء (فروبل) القائل « دعونا نعش مع أطفالنا » .

وعند ما عزمنا على الانصراف ـ بعد أن مكثنا ساعات حسبناها دقائق ـ طاف بنا فى حديقته الغناء ، التى ابتسم فيها جمال الفن العربى أيضاً ، وخرجنا محملين فى عقولنا وأفئدتنا وايدينا فى غير عناء .

• هذه صورة تقريبية من جولة فى بيت مرب أقل ما يقال فيه: إنه من أقوى دعامات النهضة العلمية والفنية والاصلاحية فى مصر ، أما عن متحفه الدائم النفيس ، فلنا فيه عودة اخرى ، غير إنه لفت نظرى للأبواب العشرة البديعة النظير ، وقد أفهمتنى هذه الزيارة معناها الحقيقى إذا أردنا نسبتها إلى الأستاذ « العمروسى » فيكون تفسيرها كالآتى :

الباب الأول : النظام .
« الثانى : اليقظة ورحابة الصدر .
« الثالث: الذوق السليم .
« الرابع : تاريخ السلف .
« الخامس: الفن الحديث .
« السادس: التسامح .
« السابع: الأبوة الصالحة .
« الثامن : الانسانية السعيدة .
« التاسع : التربية أو التضحية العظمى
« العاشر : الاطمئنان .

وهذه الأبواب العشرة قد أدى رسالتها « العمروسى بك » على أكمل وجه وأتم نفع ، وهو سمح فى نشاطه وماله ووقته ، فليهنأ به طلبة « معهد التربية » الذى يتوجه برياسته هذا العبقرى المتواضع .؟

زينب الحكيم
N. F.U. London

قصة مصرية

ضحـــــايا الحب

بقلم الأديب السعيد حسن طه

نشأت «مبروكة» مدللة فى حجر أمها، لأنها الابنة الوحيدة بجانب أخويها الذكرين ـ التى هى وسط بينهما ـ فنشأت كأنها وردة بين أشواك.

كانت ساعد أمها الأيمن، ومفرج كربتها وقت الملمات؛ وكانت موضع آمال أمها، ومحط أمنيات أبيها.

نشأت ذات بنية سليمة ـ شأن جميع فتيات القرية ـ، ولا سيما وأنها اشتغلت من صغرها فى مزرعة أحد الملاك الكبار، جرياً وراء قروش معدودة تبتاع بها ما يزينها، ويزيد فى إدخال السرور على قلبها؛ وما كان لأمها أو أبيها أن يقفا حائلا أمام أمنيات ثمرة حبهما ـ وهما صفر اليدين ـ فيزيدان آلامها بمنعها من التمتع بما ترغبها.

كبرت وترعرعت، وبرز نهداها، واعتدلت قامتها، وكمل تكوينها، وتمت أنوثتها.

كان الزهو يملأ قلبها، لا سيما وأنها على قسط ـ ليس بالهين ـ من الجمال، وجاذبية العذارى المغرية.

وكثيراً ما كانت تنام الليل وهى توجس خيفة من ذلك الرجل الفظ، الغليظ القلب، المسلوب العاطفة؛ ذلكم هو «عم غنيم خولى الزراعة»، الذى تأتمر فى النهار بأمره؛ وليس فى قدرتها مخالفته؛ فكثيراً ما كان ينتهرها إذا هى حاولت اختلاس نظرة، ممن يا ترى؟ من «يوسف» الذى بدأ يشغل تفكيرها.

و«يوسف»: شاب عامل فلاح، مفتول العضلات، معتدل القامة، شهم، قوى الشكيمة، المثل الأعلى للعمال، موضع سر الجميع، المشمول برعاية (خولى) الزراعة؛ ولكنه فقير، بل معدم.

وكثيراً ما حضرت مبكرة إلى الضيعة ـ التى تعمل فيها ـ لتحظى بنظرات من شاغلها الأوحد؛ ولكن أنى لها ذلك، والرجل يتعقب نظراتها، فيزجرها وينهرها بشدة، ويرفضها من مجلسهم إلى حيث تعمل بمفردها، حتى يوافيها زميلاتها؟

وما فتىء يتتبعها حتى علم (الخولى) أن هذه الفتاة حاولت وتحاول جهدها الاتصال بالرجل الذى

يعتمد عليه ، فخاف سوء العاقبة ، ومغبة القيل والقال ؛ لا سيما وهو الرجل المهوب ـ بصفته رئيس العمل ـ ؛ فكيف يسمح للظروف أن تهىء لهما مقابلة .

وأخيراً تنبه « يوسف » إلى تلك العينين الناعستين اللتان تنظران إليه،وخيل له أن هناك داعياً يدعوه : أن لبِّ نداء تينك العينين ، خشية أن ترمياك بسهامهما الفتاكة ؛ وكثيراً ما أحرجته الظروف حتى جعلت رئيس العمل يلحظه بعين الشدة ، وعدم الاعتبار ، كسابق عهده ؛ فخاف على هيبته وسط الفتيان والفتيات زملائه وزميلاته ، فكانا يتقابلان تحت ستار الظلمة الحالكة ـ عقب خروجهم من العمل ـ أو داخل غيطان الأذرة .

اشتد الحب بين الاثنين ، حتى كانا ـ فى مقابلاتهما ـ يسبحان بعقولهما فى سماء الحب التى لا نهاية لها .

وفى ذات يوم ، وهما فى نشوة الحب ، وفرحة اللقاء ، إذا بصوت جهورى يدوى كالرعد القاصف فى آدانهما : « الله الله ! عال أوى عال ! حتى انت ياللى كنت بأول عنك إنك راجل تعمل كده يايوسف! طيب يا عم طيب، ينعل أبو اللى عاد يعرفك بعد النهار ده منى أنا، وانت رخره يا بنت أبويا عبد الله يا مفعوصة ، ياللى لسه ما طلعتيش من البيضة ؟ والله ما انا الا قايل لابوك واخواتك يكسروا لك اضلاعك !) .

هكذا تم آخر موقف لقلبين تاقا ان يضمهما عش واحد قبل أن يزمهما قبر واحد ، فمنع الرجل ذلك الشاب الذى كان يكسب قوت يومه من العمل فى تلك المزرعة ، وعمل جهده حتى إنه أكثر من عيون الرقباء حول تلك العذراء المستهترة فى عرفه ، الملبية لنداء الحب ذى السلطان القاهر فى الحقيقة ؛ فاشتد كمدها ، وكثر عبوسها ، وساءت صحتها، ولزمت الفراش؛ وطفق الشاب يبحث عن مورد رزق، ولكن كلما لاح له أمل، كان كأنه السراب، لا يزال يغريه، وكلما اقترب وكاد يلمسه لم يجد نفسه إلا مخدوعاً .

وبعد التى واللتيا، قبل ذلك (الخولى) أن يرجع «يوسف» إلى العمل، على شريطة ألا يتصل بأية فتاة تعمل فى تلك الضيعة ، ففرق بين هذين القلبين ؛ وما كان ليوسف أن ينبس ببنت شفة ، وهو العائل الأوحد لأخويه الصغيرين وأمه العجوز .

وقد كان ما أراده العاتى الجبار من تفريق بينهما ، خصوصاً وأن الظروف هيأت له الفرص ، فقد هد المرض كيان الفتاة ، واشتدت بها الحمى ، حتى أخفت معالم ذلك الحسن البض ، وأنستها ما كان عالقاً بقلبها من صبابة وهيام .

أما الآن وقد مضى شهران وهى طريحة الفراش ، فقد بدأت تتقدم فى دور النقاهة، وقد علمت أن هذا الفتى هيأت له الظروف ما ساعده على الانتقال هو وأهله من هذه الضيعة إلى مكان لا يعلمه إلا الله .

تنبهت إثر حلم لذيذ على صوت ما كادت تتبينه من حديثه مع أبيها ، حتى عرفت فيه سبب مرضها وبلائها ، فقال لها أبوها :

— مبروكة ، مبروكة ؟ قومى سلمى على عمك غنيم لحسن جه يسأل عنك .

هى (تتناوم بتكلف) .

— مبروكة ، فوقى يا ختى فوقى لحسن آبوك غنيم جه عشان يشوفك ، وجالك لحدك .

هى (تقوم بتكلف وتتثاءب) ، ثم تبتسم وتقول :

— أهلا وسهلا ، صباح الخير يا با غنيم .

— صباح الهنا والسعادة يا بنتى ، سلامات يا مبروكة ، جرى إيه يا ختى ؟ ما تشدى حيلك ، الرز عاوز النقاوة ، شدى حيلك وبالله ساعدينا بأه ، إيه ! كده برضه يا مبروكة ! اجدعنى يا بنتى اجدعنى ، وازاى الحال دلوقت ، مش اتحسنت شوية ؟

— الحمد لله ، ده بس بقدومك يابا غنيم .

— الله يشفيك ، والله وحشتينا يا مبركة .

— إنشالله ما تشوف وحش ، والله أنا كنت دايماً أشوفك وأنا نايمة زى اللى بخرف.

— أنا عارف يا بنتى إنك زعلانة منى قوى ، ولكن لو عرفت الحقيقة ، والله وبالله يا مبروكة وعهد سيدى السيد البدوى إنى ما عملت إلا اللى فى مصلحتك،وانت زى أولادى وأخاف عليك زيهم سوى ، بقى الواد المغموص ده اللى ما حلتوش عشاه كان طمعان فيكى ، وانت تستاهلى واحد يكون بس على الأقل عليه طين ؟!ومع كل بكرة ـ يا بنتى ربنا يوعدك بابن الحلال وانشاء الله يكون على إيدى أنا برده .

— كتر خيرك وربنا يخليك لنا يابا غنيم .

— بقى شوفى أنا حلفت لك بالعهد اللى أنا واخده على إيد الشيخ عبد الرحيم ، فأنت لازم تعرفى إنى أنا بدور على مصلحتك . .

— والله كده ياعم الشيخ عبد الله .

— صادق يا شيخ صادق ، إيه دانت كلك بركة .

— وعلى كل حال ابقى اتعشى كده لحدنا شمى الهواء واتفرجى على الأولاد بينقوا الرز . هيه ... أما أقوم بأه .

— ما هو بدرى . دى خطوة عزيزة .

— الله يعزك يا بنتى . خليتك بعافية . شدى حيلك .

— الشد على الله . ربنا ما يسئناش فيك .